تاريخ حي

أحمد حسني



الكتـــــــاب	تاريخ حي
النـــوعيـــة	كتاب تاريخ
اسم المؤلــف	أحمد حسنى
تصميم الغلاف	أحمد الشاذلي
تنسيق داخلي	هبــة خليــل
الطبعة الأولى	يناير ٢٠١٩
رقــم الإيــداع	2018/25149
الترقيم الدولي	978-977-6534-64-3
إشراف عام	رباب الشهاوي
مديرة النشر	هند عبد الله (نور مانجا)
لطلب الكتاب	01022897649 - 01126652278

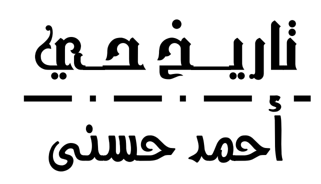


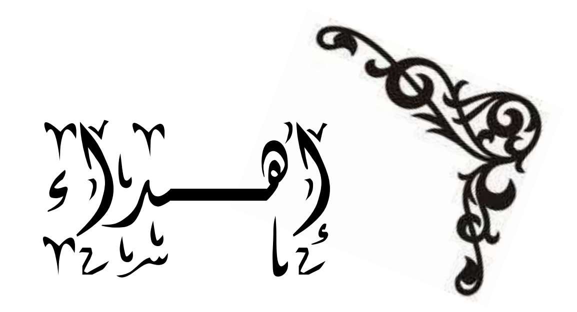
ويمكن طلبه عن طريق موقع جوميا من Elfoad Publishing Marketplace

Alfouad_publishing@hotmail.com
facebook.com/fouadpublishing


الفؤاد
للنشر و التوزيع


نسعى للمعرفة


تاريخ حي
أحمد حسنى



إهداء

إلى ذلك الأسير خلف القضبان..

توكل وابتسم واهدأ ولا تحزن..

فإن مع العسر يسراً.



المحتويات

إيش تاخد من تفليسي

دوشة كبيرة أوي في دماغي وأنا واقف هنا..

زي ما يكون حد ماسك زمامير ودفوف وعمال يشجع المنتخب في راسي.. صداع ذكريات عنيف بيفرتك النافوخ أول ما قريت الاسم ده.

البرديسي..
يا سلاااااام.. والله زمان يا بتوع الضرائب.. يا شفاطين "بصوت محمود عبد العزيز".

اهو صاحبنا ده حكايته حكاية كبيره وملعبكة.. المشهور عنه هو الهتاف بتاع "إيش تاخد من تفليسي يا برديسي" و"الشعب.. يريد.. إسقاط المماليك" و"مش هندفع.. هوا يدفع".. مع شوية نصايح من المشير محمد علي باشا.. رئيس المجلس العسكري لحكام مصر.. الراجل اللي لبس معارضينه خوازيق محترمة.. منهم اللي الخازوق طلع من نافوخه زي البرديسي.. ومنهم اللي الخازوق طلع من جنابه زي خورشيد باشا.. ومنهم اللي اندبح وفاته الاستمتاع بالخازوق زي باقي أكابر المماليك.. بس عموما.. يشتركوا كلهم في المعاناة من البواسير بسبب خوابير محمد علي الحارقة.

نسمى.. ونبدأ.

عارفين مراد بك؟

مراد بك.. أسوأ مملوك دخل مصر في كل العصور..

مراد بك كان عنده مملوك اسمه عثمان.. بعته إعارة للصعيد علشان يتولى كشوف وتحصيل الضرائب في بلد اسمها برديس تبع مركز البلينا في سوهاج.. المملوك عثمان أبدع وتألق في تحصيل الضرائب من الناس.. قعد هناك فترة طويلة لحد ما الإعارة خلصت ورجع المحروسة علشان

ياخد الأمارة والناس عرفته باسم عثمان بك البرديسي.. اللي جاي من برديس يعني.

طيب.. إحنا دلوقتي سنة ١٨٠٣م.

الفرنسيس لسه خارجين من سنتين ومصر متقسمة إلى ٣ مناطق نفوذ..

-الانجليز معسكرين قرب إسكندرية منتظرين الفرصة علشان ينطوا على مصر.

- العثمانيين في القاهرة والدلتا بيحلبوا مصر لحد آخر نفس.

- المماليك اتلموا على بعض في الصعيد في انتظار الفرصة لرد ألم ١٥١٧م للعثمانيين.

كل فرقه منهم بتسخن التانية علشان تحارب الثالثة ويختنق المنتصر بجثة المهزوم ويدخل اللي بيتفرج من بعيد علشان يخلص في الليلة وياكل مصر كلها لوحده.

صاحبنا عبده مشتاق البرديسي كان طماع ومش مكفيه كل اللي عنده.. ده كان حاطط عينه كمان على الحكم بأي طريقه خصوصا إن سيده مراد بك فطس في الصعيد من سنتين غير مأسوف عليه والبلد عمالة تتمرجح بين خسرو باشا وطاهر باشا وأحمد باشا.. وفى غفلة من الزمن كده رجع مملوك تاني اسمه إبراهيم بك للحكم علشان يصحي الأمل النائم عند المماليك في استرداد ما اغتصبه منهم سليم الأول بالقوة من ٢٨٠ سنة.. كل ده بيحصل وفي الظل لابد ذئب اغبر بعيون زرق.. الكل خايف منه وعامله ألف حساب رغم انه في الظاهر ملوش دعوة بأي مصيبة بتحصل خالص.. بريء يا جدع ولا المعلم بيومي بتاع رصيف نمرة خمسة.

ذئب اسمه محمد علي..

مماليك الداخل كانوا قارفين محمد علي آخر قرف.. فرقة المرادية وعلى رأسهم عثمان بك البرديسي.. وفرقة الألفية وعلى رأسهم محمد بك الألفي اللي رجع من إنجلترا راكب جمل الخيبة بعد ما فشل انه يقنع الانجليز بمساعدتهم في تحرير مصر من العثمانيين.

وتبدأ حفلة الكراسي الموسيقية بين محمد علي والمماليك والوالي العثماني.

بعد ما محمد علي طير خسرو باشا.. أقنع الناس إنها تجيب اللي أوسخ منه للحكم.. خورشيد باشا.. رغم معرفته بظلمه وقسوته.. إلا انه قدر يقنع المشايخ انه أنسب من يحكم مصر دلوقتي..

- الله.. ليه كده يا أفندينا؟؟ وأنا اللي بقول عليك طيب وجدع؟

- افهم يا حمار.. ماهو لما يحكم.. أكيد هيظلم.. ولما يظلم.. هيبقى سهل نطيره أوام أوام ويبقى خلصنا من واحد.

- اااه.. منطق برضه

- وهنطيّر معاه واحد كمان.

- إزاي بقى؟

- اتفرج وانت ساكت.. اتفرج واتعلم يا مقطف.

دلوقتي قوات عثمان البرديسي أكبر من قوات محمد علي.. محمد علي كل اللي معاه ٢٠٠٠ عسكري أرناؤوط.. أرناؤوط يعني بتوع فلوس وملهمش ولاء ولا ملة.. إن دخل بيهم أي عركة يبقى لازم يعمل حسابه إنها فرصة واحدة بس ولازم يطلعلهم حسنة من العركة دي وإلا هياكلوه.. كمان لو حارب أي حد في طرف هيفضل يتفرج لحد ما يخلص وبعدين يخلص هو في ايد المتفرج.

وهو مش عاوز كده خالص..

تعمل إيه يا أفندينا..

تعمل إيه يابو طوسون..

أيوه.. هو ده.. إحنا نمسك عثمان بك البرديسي الضرائب.. إن فلح يبقى هيملى الخزينة فلوس وكلنا نكسب.. وان فشل – وهو المتوقع لان الناس مفلسة

أساسا – يبقى وقتها لكل حدث حديث خصوصا إن النيل سايق المستهبلة من سنتين وجاي كده بأيده فاضيه.. لا فيضان ولا يحزنون.

خورشيد باشا كمان عاوز فلوس.. مفيش حاكم هيقول للرزق لا أبدا.. ومصر مفيهاش اكتر من الرزق المسروق من أصحابه.. طبيعي إن خورشيد باشا يفرض ضرائب عالية على المصريين.. وطبيعي كمان إن محمد علي يرشحله أجدع مأمور ضرائب فيكي يا مصر.. يسهر محمد علي مع عثمان بك البرديسي في مصطبة فرايدايز الموجودة في صحراء القبة بعد ما قتلوا علي باشا جزائرلي.. يخططوا ويتفقوا ويشوفوا هيقسموا التورتاية بينهم إزاي..

- بص يا بردس.. أنا ظبطتلك خورشيد باشا الجديد وبلفته البلفة الصح.. هو دلوقتي مستنيك تعدي عليه وتتفقوا
- تسلملنا دماغك يابو طوسون.. خد يسطى ولع دي خلي الكلام يحلو
- انت تلم الضرائب بصياعة.. بس متنساش أخوك لاحسن جهاز البت توحيدة جابني الأرض.. كُل وأكلنا معاك ومتقلقش من المصريين.. دول شعب كده كده ميت لا بيقول ولا بينيل.
- أمان يا صاحبي
- وخد عندك كمان.. عارف المنطقة اللي خوزقوا فيها سليمان الحلبي؟
- آه عارفها.. تل العقارب.. دي اللي بناها قلاوون الله يرحمه.. بس دي بقت خرابة يا عم بعد اللي عملوه فيها الفرنسيس.
- تمام.. انت بقى هتروح هناك.. تبنيلك قصر فخيم وحلو كده بأبراج عالية يليق بكبير المماليك.. منها تلم ناسك حواليك ومنها تطفش الواغش من هناك.. ارسم نفسك كده يا صاحبي إحنا داخلين على أيام مفترجة.
- الله عليك يا كبيرنا.. يعني نبني القصر ونحط عليهم في الضرائب؟
- آه ياعم.. خد راحتك متقلقش.. وهبعتلك عساكر من الأرناؤوط بتوعي تحطهم في الأبراج علشان لو حد قل عقله وللا حاجة.
- طب وإن المصريين هاجوا علينا؟؟
- ساعتها يبقى انت عبد المأمور.. والمأمور يركب الحنطور.. بالجلابية الدمور.. ويطير على اسطمبور... ها ها ها.. ألش رخيص..
- ها ها ها.. انت صح يا زميلي.. انت صح رغم الألش الرخيص.

وبلع عثمان البرديسي الطعم لحد آخره.. نام وصحي وراح فارض ضرائب مضاعفة على المصريين.. طلق مماليكه في الأسواق تلم الجباية من التجار والفلاحين والملاك والمستأجرين وهو مطمئن تماما في قصره أبو أبراج عالية.. إذا كان عسكر محمد علي بيحرسه، وعسكره مستكنيص جوه القصر.. يبقى مين هيقدر عليه؟؟

وخلصت سنة ١٨٠٣م.

وبدأت سنة ١٨٠٤م.

النيل لسه عامل فيها عبيط.. وفلوس الضرائب مش مكفية والناس دفعت سنة مقدم.. خورشيد باشا ده طلع كرشه واسع أوى ويا دوب اللي جاي لعثمان بك على أد اللي رايح.. شاليه مارينا مدفعلوش لسه آخر قسط.. ومتأخر لسه فلوس مدرسة السلطان حسن للغات.. قطيعة تقطع العلام الأجنبي.. كان مالها مدرسة وكتاب الأمير صرغتمش الأميري بس.

طبعا محمد علي راجل جدع ميسيبش صاحبه أبدا في أزمة.. في قعدة صفا من إياهم يرمى كام كلمه كده لصاحبه يلقط منهم ضريبة مبتكرة وجديدة هتجيب رزق بالهبل.

إيه بقى؟؟

الضريبة العقارية..

طالما مفيش مية ولا فيش زراعة والتجارة وقفت.. يبقى نلم فلوس على البيوت.. كل واحد هيدفع فلوس للبلد على أد مساحة بيته.. العدل مطلوب وإحنا ناس نعرف ربنا كويس.. إيه.. عاوزين تاكلوا مصر.

فرح أوي عثمان البرديسي بالفكرة.. يومين بالظبط وحطها محل التنفيذ.. نزل بتوع الحي والمهندسين على الشوارع يقيسوا مساحات البيوت.. كل بيت حطوا عليه نمرة.. الناس مش فاهمة إيه اللي بيحصل.. طلع شاب صغير يسأل البشمهندسين.. هو في إيه يا باشوات.. هو انتوا هتوصلولنا التليفونات أخيرا؟؟

عرف الناس اللي فيها.. الأرقام دي عبارة عن ضرائب جديدة هيدفعوها للبرديسي ورجولهم فوق رقابيهم زي ما بيحصل معاهم كل مرة.

لا بقى.. المرة دي غير.. هنجيبلكوا منين يعني يا ظلمة؟؟

لم الناس بعضهم وطلعوا على مشايخ الأزهر.. يرضيكوا كده يا ناس.. العيشة بقت ضنك ومش عارفين نأكل العيال.. مشايخ الأزهر أفتوا بعدم مشروعية الجباية الجديدة وطلبوا من الناس العصيان.. محدش يدفع يا مؤمنين ومعانا ربنا في الثورة على البرديسي الظالم.

اتحركت جموع الناس ومعاهم الحريم من بيوت مشايخ الأزهر إلى باب الشعرية.. الحسينية تحديدا.. مطرح ما كان مهندسين الحي شغالين قياس وترقيم.. الحريم صبغت ايديها نيلة زرقاء وخدت الحلل والمغارف وانطلقت على رجالة عثمان بك اللي مكانوش رجالة خالص وضربوا الحريم.. شاف المنظر ده فتوات الحسينية وعرفوا إن اليوم ده لو عدى تبقى شنباتهم دي على حريم.. قاموا على رجالة عثمان بك بالنبابيت وهاتك يا ضرب.. اللي مات مات واللي بيعرف يجري كويس هرب على قصر عثمان بك البرديسي الموجود في تل العقارب.

الناس مش عايزة تسكت.. جابوا الدفوف وبدأوا يطوفوا في الشوارع يطبلوا يغنوا ويشتموا.. إيش تاخد يا برديسي من تفليسي.. وعلشان الشعب المصري زياط بطبعه.. المظاهرة ماشية في الشوارع وكل ما يقابلوا ناس جديدة يعرفوا انهم عاملين ثورة على الضرائب.. فيخرجوا معاهم يصرخوا هما كمان ضد البرديسي والعدد يزيد.

البرديسي عرف القلق ده واتضايق أوي.. عم النرفوز قالك هيدفعوا هيدفعوا.. ولا يقدروا يعملوا حاجة مع العبد لله.. عسكر محمد علي صاحبي فوق الأبراج زي الأسود.. ال يهجموا عليا ال.. كل ده علشان بنصب في مصلحتهم!!

وقال التاريخ هأو.. صحتين وعافية على بدنك يا أبو البراديس.

وصلت الأخبار لمحمد علي.. اللي قرر يصطاد في المية العكرة.. استدعى رؤساء الجند الأرناؤوط والإنكشارية وعسكر الوالي وسألهم بكل براءة:

- إيه يا رجالة.. في رحلة لشرم.. جايين وللا النسوان مكلبشة فيكو؟
- نيجي منين يابو طوسون.. مفيش فلوس والحالة ج.

- مفيش فلوس.. ايهيييي.. ده كلام.. إزاي بقى.. امال فين الضرائب اللي عثمان البرديسي جمعها السنة دي؟
- قلبك ابيض.. مفيش ضرائب.. النيل بلح.
- بلح مين يا كاوركات.. الراجل لم الضرائب كلها.. ده حتى بعتلي حصتي وموجودة تحت الكنبة اللي انتو قاعدين عليها دي.
- ابن ال.. ده قعد يحلف بالختمة الشريفة انه مشافش فلوس.. وربنا لننفخه.
- هو عثمان مش هيبطل الخصلة الوسخة اللي فيه دي.. دايما عاضض في الرمة كده.. عموما متقلقوش يا رجالة.. زيارتكو على عيني.. مجبورة إن شاء الله.

وينزل محمد علي للشارع علشان يعلن انضمامه للناس والعسكر.. أخص عليك يا عثمان.. مكنتش متخيلك رمة كده.. متقلقوش يا أهل المحروسة.. محدش فيكو هيدفع حاجة.. ربنا ميرضاش بالظلم.. روح يا إبراهيم على قصر المدعوء عثمان بك وهاته متكتف في شوال.. ولو عصلج معاك.. اديله على بوذه.. ما هي البلد دي لو ليها والي عدل يحكمها مكانش واحد هفأ زي ده ذل الناس الغلابة دي كده.. ان هذا الشعب لم يجد من يحنو عليه يا أخي.. هو إيه.. معادش فيه رحمة!!!

وتهتف الناس بحياة الألباني اللي أنقذهم من ظلم البرديسي.. عسكر الأرناؤوط ما صدقوا سمعوا الأوامر بالهجوم على قصر البرديسي.. يعني مزز وفلوس بالهبل.. هييييييييه.. فرجت.

كل ده وعثمان البرديسي قاعد في القصر مطمئن.. عنده حق.. ما هو فاكر ان عسكر محمد علي بيحميه من فوق الأبراج.. قاعد بيشيش مع نسيبه عثمان بك يوسف في اوضة المسافرين والحياة آخر انتخة.. إلا وبص من الشباك لقى عسكر بالهبل زي التيران بيهجموا على القصر بالمئات.. الموقف مش محتاج ذكاء.. في الخباثة كده استأذن من عثمان بك يوسف علشان يروح المستراح.. لبس هدوم الحريم وخرج من القصر يقول يا فكيك.. اجري يا مجدي.. أتاري عسكر الأبراج اللي كان فاكرهم بيحموه.. طلعوا محلقين عليه وبيراقبوه ومحمد علي أكله الشاورما للآخر.

اقتحم العسكر القصر وملقوش إلا عثمان بك يوسف.. أصول الفتونة بتقول إن السلاح لو خرج من مكانه مينفعش يرجع إلا متزفر بالدم.. جابوا رقبة عثمان بك يوسف اللي كل ذنبه انه كان بيزور نسيب الغبرة اللي هرب على الصعيد من غير ما يبص وراه.

وخلصت سنة ١٨٠٤م.

ودخلت سنة ١٨٠٥م.

الكرسي يهتز بشدة من تحت خورشيد باشا.. الشعب في حالة ثورية من أيام الفرنسيس.. كل حاجة تحصل مش عاجباه يقوم ينزل الشارع ورا رجالة الأزهر علطول.. مكانش في بقى اللي إحنا عارفينه.. ورجالة الأزهر كان الواحد منهم يساوي جبل.. قيمة وعلم وتاريخ ونسب.. ده غير إن عمر مكرم في قلب وعقل الكل.. وعمر مكرم دلوقتي بيقول انه جاب التايهة في الوالي الجديد أبو عيون زرق.

خلصت شهور الشتاء وجت الأخبار الحلوة من إسطنبول.. محمد علي ركب الكرسي وبقى الوالي.

ابتهج الناس في الشوارع بفرض اختيارهم للمرة الأولى من قرون طويلة على المحتل الغاصب.. الست ياسمين خاتون بنت الحصري كتخدا عملت حفلة كبيرة أوي في خيمة سميراميس وغنت اغنيتها المشهور "المماليك اهما".. والأمير عمار بن الشريعي الصالحي عمل طقطوقة حلوة أوي سماها "اخترناه وبايعناه".. أخيرا حصد الباشا ما زرعه من ٤ سنوات مستمرة من الكفاح التآمري ودانت له مصر بالطاعة زي ما تنبأ عدوه محمد بك الألفي قبل ما يموت.

طاااايب..

عثمان بك البرديسي راح فين بقى؟

بعد ما هرب من قصره في المحروسة.. طار على الصعيد.. حبايبه هناك كتير ومش هتطوله ايد محمد علي.. فلت بحياته آه.. بس عاش بعد كده ذليل ونفسه مكسورة.. لا إمارة ولا بطيخ.. يا دوب بيت صغير في منفلوط "أسيوط" وحصلته مراته بعد كده وكام جارية كده لزوم الخدمة والطبيخ.

ومفيش كام شهر ودخل نوفمبر ١٨٠٦ بزعابيبه.. محمد بك الألفي عدو عثمان الانتيم يبعتله واحد يحطله السم في الأكل علشان يستفرد هو بمحمد علي ومصر.. يبلع البرديسي السم ويموت في نفس البيت الكئيب في منفلوط ويندفن في قبر صغير لا يليق أبدا بمكانته اللي كان راسمها لنفسه..

سبحان الله.. وتقدرون.. وتضحك الأقدار.

محمد بك الألفي بعد ما قتل عثمان بك البرديسي.. يموت بعدها ب ٣ شهور بس بالكوليرا.. وحيد مهزوم من محمد علي.

طيب وقصر البرديسي في القاهرة.. حصل فيه إيه؟

استولى عليه محمد علي وانتقلت ملكيته من ايد لأيد.. مكانه مميز وسعره عالي.. ده مين ده اللي يسكن مطرح عثمان بك كبير المماليك المرادية اللي كان فاضله تكة ويحكم مصر.

الزمن قاسي أوي على المباني زي قسوته على الإنسان بالظبط.. القصر الفخيم بقى فندق لأي غريب عاوز يبات ليلة ولا ليلتين في القاهرة وحالته بتسوء مع الزمن.. لحد ما جه إسماعيل حفيد محمد علي وبقى خديو مصر.. مصر الخديوية مبانيها مبهجة وشوارعها أحسن من شوارع أوروبا.. تبدأ زوجته جشم آفت هانم في تأسيس مدرسة السيوفية في شارع الصليبة كأول مدرسة للبنات في مصر.. سنة ١٨٩١م في زمن الخديو توفيق تقرر وزارة المعارف نقل مدرسة السيوفية للبنات إلى مبنى كبير جدده الخديو إسماعيل في شارع خيرت قصاد شارع المبتديان علطول.

مبنى كان زمان قصر جامع الضرائب الظالم في مصر.

قصر عثمان بك البرديسي.

ويتغير اسم المدرسة إلى المدرسة السنية للبنات.. المدرسة اللي خرجت منها نبوية موسى بشهادة البكالوريا سنة ١٩٠٧م كأول بنت مصرية متعلمة واللي خرجت منها بعد كده أول مظاهرة اشتركت فيها النساء ضد الانجليز سنة ١٩١٩م. واتخرج منها الوزيرة عائشة راتب والمحامية مفيدة عبد الرحمن والإذاعية صفية المهندس والإعلامية سامية صادق.. وتبدأ النسوان من ساعتها تاكل دماغنا بعاوزة اشتغل وأحقق ذاتي والخلع والكلام الفاضي ده كله.

عثمان بك البرديسي مدفون في منفلوط في أسيوط.. بس أهله مدفونين هنا في تربِ الغفير.. ٥٠ متر بالظبط على شمالك بعد قبة أفندينا.. محدش من أهله مشهور.. بس لزوم الفشخرة.. عندنا أمير وانتو لا.. يبقى لازم نكتب اسمه على القبر.. حتى لو كان أمير ظالم.

بالذمة مش لو كان محمد علي هد قصر البرديسي على نافوخ اللي فيه.. مش كان زمان المدرسة السنية متعملتش ولا الحريم خرجوا من البيوت ولا اتعلموا وكان زمانهم لسه قاعدين لا شغل ولا تحرش ولا نيلة.

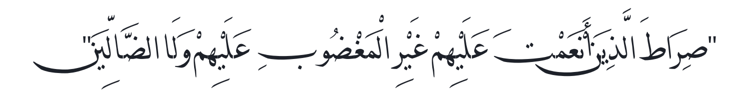
لما تشوف قبر أسرة البرديسي.. إبقى افتكر دايما ان قصاد ثورة المظاليم.. مفيش أي حماية بتنفع.



مدفن آل البرديسي – شارع الخاصة الملكية

الحرمة المجدع

المكان: باب زويلة



آمين.
ألف رحمة ونور عليك يا مولانا السلطان الأشرف طومان.. ربنا يرحمك راجل بحق وحقيق.. الله يرحمك ويرحم أيامك وأيام ما كان عسكر سليم الأول العثماني بيجري ويستخبى منك زي الفئران.. يرحم أيام القاهرة لما كانت قاهرة.. حلوه بهية معطرة بالقرنفل والريحان.. غيرش بس انت اللي صدقت الملعون اللي اسمه خاير بك ده.. كان زمانك طاحنهم كلهم التراكوة دول.. ياللا.. متجوزش عليك ولا عليهم إلا الرحمة.

- احوسنااااااااااااااااي.. انجز يا عم.. انت هتفضل موقفنا هنا سنة.. إخلص يا تقيل.
- يا بني ما تتنيلوا تستنوا.. بقرا الفاتحة للجدع
- جدع مين.. المتولي؟
- متولي مين يا عبيط منك ليه.. ده باب زويلة.. آخر سلاطين مصر المماليك اتشنق هنا
- أيوه يا عم.. مش باب زويلة ده اللي احمد مظهر علق عليه العيال بتوع التتار؟
- تقريبا آه.. بس مش احمد مظهر يا قلل.. دوكها السلطان سيف الدين قطز.. لحقتوا تنسوا.. مانا لسه قايلكم على حكايته من أسبوع.
- أيوه يا عم فاكرين وربنا.. قطز.. اللي هو احمد مظهر اللي هزم حمدي غيث.. المهم يسطى.. مد شوية علشان نلحق ناكل.. خلاص يا عم.. عصافير البطن بتسبلنا ١٠٠ ملة.

نظرة سريعة على باب زويلة ومآذن مسجد المؤيد شيخ.. مش عارف ليه سامع صوت طبل وزمر وعياط.. صوت راجل قوي بيقول لعشماوي "اعمل شغلك".. سامع صوت نواح المصريين على طومان باي.. كان مملوك آه.. بس كان طيب وصالح وبتاع ربنا.. ياللا.. كل من عليها فان وسبحان من له الدوام.

- ياللا يا حاج.. عاوزين نلحق زيزو النتن قبل ما يقفل.. انا هاخد ٣ كبده و٢ مخ وواحد سكلانس من غير مربى.
- لا.. انسوا زيزو النهاردة.. هنروح مكان تاني.. فاااااااااااااااااجر.
- فين يا عم.. إوعى تكون هتودينا عند بيت الراجل اللي قالك شلت يدي ده..
- لا يا خفيف.. هنمشي في شارع الأزهر شوية وبعدين نلف حوالين الجامع.. أو نخرم من الكحكيين هنا على سيدي الدرديري.. بعدها هنلاقى نفسنا هناك.
- هناك فين؟
- عندها.. عند زينب خاتون.



المكان: قهوة بلدي خلف الجامع الأزهر

- الباشا هنا يؤمر بحاجة؟
- آه يا ريس.. عاوز شاي بالنعناع.. كوباية ازاز وبراد.. كشري مش فتلة.. ومتجيبش للعيال دي حاجة.. خسارة فيهم أساسا المية.
- صحة وهنا يا باشا.. وعندك واحد شاي نعناع للباشا بتاع التاريخ وصُحبته اللي مش عارفة هي قاعدة فين وعمالة تشيش وخلاااااااااااااااااااااااااااص.

نظرات يمين وشمال.. إيه المزز العريانة دي كلها!! الناس دي جت منين وسهرانة ليه لحد دلوقتي في الشارع.. إيه كل كمية الشيشة دي.. عيني خبطت في ست سمراء شكلها مسكين.. بترسم حنة من كتالوج.. جبر الخواطر على الله.. تعالى يا ست ارسميلي حنة على دراعي.. تاتو يعني زي العيال البيجي بيجي.. عاوز ارسم جيفارا.

- جافارا مين يا أستاذ.. انا عندي الرسومات دي بس.
- بس دي حريمي يا ولية.
- ماهو محدش هيشوفها يا باشا.. اعملها لام العيال.
- والله مانا كاسفك.. خدي.. ارسمي هنا.. بس خلى بالك من عضلة الباي لأحسن تعبت فيها أوي.

بترسم الست الحنة على دراعي.. والشباب قاعدة بتهري في أي كلام.. اللي يقولك شايفين البيت ده.. اهو ده بتاع عيلة أمي.. أوقاف من أيام عبناصر.. واللي يقول اهو البيت اللي جمبه ده يبقى بتاع يحي شاهين لما كان عامل فيها سي السيد.. أي كلام في أي حواديت.. نظرة ساخرة مني خلت كله يلم لسانه ويستنى القول الفصل فيما ورد من كلام الهزل على لسان اجدع شباب فيكي يا بلد.

- هقول.. بس هتسمعوا وللا هتترياأوا؟
- هنترياً طبعا.. قول قول دي شكلها حدوتة كبيرة أوي.
- صلوا بينا على النبي يا رجالة..
- عليه الصلاة والسلام
- نبدأ الكلام بالسلام على سيدنا النبي خير الأنام.. دايما ما يحلى الكلام إلا بذكر النبي عليه الصلاة والسلام.. هنرجع لورا شوية.. أيام المماليك وخناقاتهم اللي مش بتخلص.. أيديهم كانت تقيلة أوي على العدو الصليبي.. وتقيلة أوي على بعض برضه.. رغم انهم بهدلوا عسكر أوروبا المرتزق في الشام ومصر.. إلا انهم وقت الخناقة على مين يسوق العرش.. مكانش عندهم يامه ارحميني.. حتى الواد أبو شعر احمر وعينين حولة ووش مليان نمش اللي شبه حزلئوم ده.. بدر الدين أبو المعالي الحسن "السلطان حسن".. تصدقوا انه طلع على العرش عيل صغير خالص كرامة لأبوه وسيرته الحلوة.. بس المماليك الفلول كبارات البلد استهيفوه خالص.. أوام أوام قلبوه من على العرش ورموه في جناح الحريم.. بس ربك بقى. الواد اللي كبر وسط النسوان.. عوده شد وبقى شبح.. ركب العرش وقام طايح في العيال دي كلها دبح وتقطيع.. عمل عليهم حفلة دم

بحق وحقيق.. بس للأسف الفلول مش بتخلص من مصر أبدا.. اتمكنوا منه في الآخر وقتلوه وهو عنده ٢٧ سنة بس.. زيه زي عمه الأشرف خليل كده.. الاتنين ماتوا في نفس السن تقريبا بعد ما عملوا بلاوي.. واحد خرّج الصليبيين من عكا بيجروا بالولامؤاخذه الاندروير.. والتاني سابلنا مسجد ومدرسة في الدرب الأحمر كان فيها ٢٥٠٠ طالب علم قايمين نايمين واكلين شاربين مع بعض بيتعلموا صحيح الدين من أئمة علماء الإسلام ليل ونهار.

- إيه ده.. انت تقصد جامع السلطان حسن اللي قصاد باب العزب بتاع القلعة!! هو ده بتاع المماليك؟؟
- أيوه.. ده بتاع المماليك.. المماليك لسه بيصرفوا علينا يا جدعان بالسياحة لحد النهاردة.. هههههه.
- خيبة يا عم.. إيه بقى علاقة الكلام الحلو ده بالبيت ده ولمؤاخذه؟
- شوف يا عم.. السلطان حسن كان له حفيدة شبهه بس على حريمي اسمها شقراء هانم.. كانت حلوة أوي بنت الإيه.. حتى إنها كانت منفضة كيس فلوس جوزها أول بأول ..آخر حركاتها مع الجدع إنها ضحكت عليه في القرن ال ١٥ "حوالين سنة ١٤٠٠ كده" وخلته بنالها بيت فخيم أوي.. بحري وواسع.. ٥ أدوار يجري فيه الرهوان ويرد.. كل ركنة فيه تحفة في المعمار وشغل الخشب والزخرفة والألوان.. البيت اشتهر أوي لان مكانش فيه حاجة حواليه في المنطقة.. اتسمى على اسمها.. بيت شقراء هانم.
- وبعدين؟؟
- ماتت شقراء هانم.. ومات المماليك البحريين كلهم.. جه بعدهم الظاهر سيف الدين برقوق.. وراح سيف الدين برقوق.. جه المنصور جقمق والصالح ططر.. وراح المنصور جقمق والصالح ططر والظاهر خشقدم كمان.. نقف بعجلة الزمن شوية عند الأشرف قايتباي.. طلة سريعة كده على بيت شقراء هانم.. الا يكون جاله قرار إزالة ولا حاجة.
- إيه يا عم.. هدوه وطلعوا مكانه بقلعة قايتباي بتاعة إسكندرية وللا إيه؟
- إيه اللي جاب إسكندرية للمحروسة يا قلل.. لا طبعا.. الأشرف قايتباي كان عنده مملوك بيعتمد عليه في مواضيع الفلوس.. من أهل الثقة يعني..

راجل من رجالة الحزب الوطني المملوكي.. اسمه مثقال السدوني.. الراجل ده اشترى بيت شقراء هانم.. وسعه وغير فيه شوية ألوان.. كان بيغير على حريمه شوية فعملهم جوا البيت أوضة مخصوصة للولادة تقعد فيها الحرمة من دول من أول ما تولد لحد ما العيل يتم ٤٠ يوم.. تاكل وتلغ في فراخ وبط ووز.. وهو مريح نافوخه من العيل وصريخه.

- تصدق فكرة.. حلوة أوضة الولادة دي..
- نجربها إن شاء الله لما نبيع الأرض.. المهم بقى.. وقعت دولة المماليك التانية كلها ودخل العثمانيين مصر بالخيل والعسكر سنة ١٥١٧م. لفت على مصر أيام أسود من قرن الخروب انعكست على بيت العز والفخفخة.. بيت شقراء هانم.. حالة البيت بقت زي حالة مصر كلها كرب وكآبة وفقر.. لحد ما جه حاكم مصر العثمانلي "والي باشا" سنة ١٧١٢م. أيامه حصلت فتنة بين الناس بسبب فتاوى راجل رومي محدش عارفله أصل ولا فصل مسك ودان الناس وبقى يقولهم حرام عليكم بناء الأضرحة.. حرام عليكم التبرك بأهل القبور والدعاء باساميهم.. البلد كانت هتولع.. لولا إن قاضي القضاة احتوى الموقف وطلع فتوى "مايعة" كده من الأزهر.. الناس هديت والموقف عدى.. ويقرر والى باشا انه يهادي القاضي ده بإيه؟؟ ها؟؟
- إيه؟؟
- بيت شقراء هانم.
- يا سلام.. والبيت كل ده عايش؟؟
- اه.. ماهو كان مبني بذمة بقى
- وبعدين.
- تعدي الأيام ويمسك مصر "صورياً" واحد من أسوأ أمراء المماليك في تاريخ مصر.
- أكيد مراد بك.
- صح كده.. برافو يا رجالة.. ٣ فطيرات مشكل لحمة هنا معاك يا ذوق للشباب الجدعان دي.
- ماهو انت كل ما تكلمنا عن المماليك لازم تسب وتلعن في مراد بك.. جرى إيه يا عم.. هو خد ورثك؟

- مش كده.. بس هو فعلا كان مثال لكل شيء سيء في العصر ده.. احمد عز بتاع زمان.. كان عنده مال وجاه وسلطان ونسوان ومماليك بالهبل.. ومع ذلك مرفعش عصاية مقشة يحارب علشان مصر.. كان كل همه انه يكوّش على كل حاجة بزيادة أوى.. كان حنين وكريم مع الأجانب بس.. حتى إن تاجر شامي اسمه سليم أغا الغزاوي اشتهر باسم تيمور لنك بعتله مملوك كده من بلد اسمها جورجيا.. يظهر انه كان مملوك مميز شوية.. فرد عليه مراد بك بألف إردب قمح.. وخد المملوك قربه منه وأحسن رعايته وسماه محمد الألفي.. اللي تمنه ألف يعني.. شوفوا الرمة.. يدفع ألف كيس قمح في مملوك.. ولا انه يفتح خزاينه للفقراء المصريين علشان ياكلوا.
- إيه!!! محمد بك الألفي.. عدو محمد علي!! اللي بيته كان في وسط البلد في القاهرة مكان شارع ألفي بك اللي فيه آخر ساعة بتاع الفول والطعمية؟
- ايووون.. هو بعينه.. وزي ما مراد بك كبر وسمن.. محمد بك الألفي كمان كبر وتختخ وعمل فلوس بالهبل.. مصر بالنسبة للمماليك كانت الكويت.. كل واحد منهم يدخلها عبد شحات.. يموت فيها أمير مليونير.. والمصريين زي ما هما.. موظفين في شركة الكهرباء.
- وبعدين؟؟
- محمد بك الألفي كان عكس أميره مراد بك.. كان بتاع حرب وقلق ومشاكل ومزز برضه.. من ضمن الحريم بتوعه كانت في جارية تركمانية إنما إيه.. لوز الجوز.. كان اسمها زينب بنت عبد الله.. بيضاء كده وشعرها عامل زي الدهب... حاجة كده مرفت أمين على صافيناز.. من كتر تقديره ليها قالها انتي حرة يا زوزو.. وقعد يعيط يا حرام من حزنه على فراقها.
- وتلاقيها راحت لافت على واحد تاني.. هما النسوان كده.. ملهمش أمان.
- بالظبط كده.. زينب نفضت لمحمد بك الألفي وشقطت عريس تاني إنما إيه.. لقطة برضة.. أمير الحج بذات نفسيته.. الشريف حمزة الخربوطلي اللي كان بيطلع على رأس حملة الحج المصرية كل سنة وهو شايل كسوة الكعبة وسايق جمل المحمل.. اتجوزته

- من هنا وبقت شريفة هي كمان من هنا.. خدت لقب خاتون "عالية المقام يعني".. كان راجل تاجر وسمعته كويسة وبيلعب بملايين.. من كتر حبه ليها عمل إيه؟؟ ها.. فكروا كده؟؟
- كتبلها قايمة؟
- لا
- عملها فرح في الفور سيزونز؟
- لا
- امال؟
- اشترالها بيت شقراء هانم اللي عمال يلف معانا من الصبح.. البيت اللي انتوا قاعدين قصاده ده وعمالين تنفخوا فيه دخان الشيشة وترموا عليه أعقاب السجاير.. واللي لسه ٣ كلاب مطرطره عليه من شوية([1]).
- يااااااا!!
- آه وربنا.. شفتوا بقى إننا نستاهل الولعة.. إحنا والكلاب اللي عماله تطرطر على البيت دي.
- طيب الحاجة زينب دي عملت إيه في البيت.. ليه يعني بقى اسمه بيت زينب خاتون.. إن كانت شقراء هانم هي اللي بنته؟
- ماهو الحدوتة لسه مخلصتش.. زينب خاتون كانت حرمة مجدع.. لما الفرنسيس الرمم هجموا على مصر.. هي وهبت البيت لخدمة فتوات القاهرة اللي كانوا مورين نابليون الويل.. كان الفتوات يستخبوا عندها في البيت ويقوموا على عسكر نابليون بالليل يعملوا فيهم حاجات عيب.. ويجروا يستخبوا تاني عند زينب.. كل ده ونابليون مش فدماغه إن الفتوات أصحاب النبابيت والشنبات مستخبيين عند حرمة.
- يا ولاد الصايعة..
- مش بس كده.. ساعات مثلا كانوا يشقطوا عيل فرنساوي سيس من عسكر نابليون.. يسحبوه لحد بيت زينب.. يقلبوا منه سلاحه والمحفظة والساعة والانسيال.. ويدفنوه في بدروم كئيب كده تحت بيت زينب.

---

(١) للأسف يوجد حاليا حول بيت زينب خاتون مطاعم شعبية ومقاهي تسبب أسوأ أنواع الضوضاء والتلوث البصري والفعلي بالمخلفات

- إيه يا عم شغل ريا وسكينة ده!!
- شغل ريا وسكينة اه.. بس في الحق.. البدروم كله مخصص لحرب الفرنسيس.. مستشفى تعالج فيها المصابين ومقبرة تدفن فيها اللي يموت.. واهو كله في سبيل الوطن.
- وبعدين؟
- بعد ما الست الجدعة زينب ماتت.. الأوقاف المصرية حطت ايدها على البيت وبقت تأجره للناس.. آخر واحد سكن فيه كان عسكري انجليزي من عسكر الاحتلال.. طردوه مع صحابه من البلد من هنا.. واتقفل البيت على السكنى من هنا.. اتسجل في وزارة الآثار وخد رقم.. واتقلبت المنطقة قهاوي كده زي ما انتوا شايفين.. قهاوي زبالة بتشغل أغاني مهرجانات رخمة علشان تقلق الأموات في منامهم وتخليهم يحزنوا زيادة على مصر وحالها.
- طيب والحكومة سايباه كده ليه؟
- الحكومة بتحاول تغزل برجل حمار.. سنة ١٩٠٥م. عملت حملة ترميم للبيت.. تخيل يا مؤمن وهما بيرمموا البيت لقوا بالصدفة زلعتين مدفونين تحت البلاطة.. الزلعة الاولانية كان فيها ٣٦١١ عملة ذهب وفضة.. والزلعة التانية كان فيها ٢٠٠٠ حتة من عملات ذهب كانت مصنوعة في إيطاليا واسبانيا والمجر.. الناس زمان مكانش عندهم اتش اس بي سي علشان يشيلوا الفلوس فكانوا بيخبوها تحت البلاطة علشان الزمن.. الكنز ده كله شالوه وبعتوه على المتحف الإسلامي.. على الله ميكونش اتقلب[٢].
- يا عم الحكاية دي اتهرست في فيلم عادل إمام قبل كده لما راح بيت حرفوش اللي في الجمالية وطلعوا كنز من جوا الحيطة.
- عادل إمام مين يا ولاد ال...!!! تصدقوا أنا غلطان.. مش دافع حساب الفطير.
- خلاص خلاص يا عم.. انت عصبي ليه كده.. عادل إمام مش تبع زينب فعلا ومفيش بيت حرفوش ولا حاجة.. ده شغل سيما يا عم.. عارفين والله.

(٢) يقع بيت زينب خاتون خلف الجامع الأزهر مباشرة

- صح كده يا رجالة.
- احمد مظهر بقى هو اللي بتاع زينب.. بأمارة لما عيسى العوام علق نادية لطفي من ريتشارد قلب الأسد
- أشكو إليك يا رب



قمت ادفع الحساب.. نظرة سريعة للخلف.. وكأني سمعت صوت نواعم بينده عليا.. بصيت على المشربية اللي فوق.. لمحت طيف عيون كحيلة من ورا اليشمك.. صاحبتها شاورتلي بمنديل حرير اخضر.. قالتلي بعيون نعسانة.. شكرا أحمد بك.. شكرا على الزيارة.. متتأخرش عليا تاني.

من عينيا يا ست زينب.. المرة الجاية هجيلك ومعايا ضيوف تانيين يسمعوا مني حكايتك يا بنت الأصول.. انتي بس أبقى طلي عليا إن شاله من ورا المشربية.. طلي وارمي عليا وردة، وأنا ادعي للسلطان بالنصر.

محدش يقول لمراتي والنبي.. أحسن دي لو عرفت اني بروح لست تانية.. يا لهوااااي.. هتعلق من كعوبي.

ربنا يستر.

فيديو لبيت زينب خاتون

https://youtu.be/ykCO1Kd3LNg



بيت زينب خاتون

عظمة زرقاء

يا أبويا على شارع المعز وحكاويه اللي مش بتخلص..

كل حجر وزلطة في الشارع ده وراها قصة وحكاية ورواية وحدوتة..

كل زقاق وكل حارة.. كل بيت.. كل أسم هنا وراه بدل الحكاية ألف حكاية من حكايات المحروسة..

خد عندك مثلا حكاية الميضأة بتاعة مسجد الأقمر..

مسجد الأقمر يبقى مسجد صغير في شارع المعز بتاع الأكابر.. مولانا الخليفة الآمر بأحكام الله أمر وزيره المأمون البطائحي انه يبنيه في المكان ده.. فبناه زي ما أمره سيده.. مسجد مميز علشان واجهته الهندسية.. ومميز كمان علشان حجارته البيضاء اللي في لون القمر علشان كده سموه مسجد الأقمر.. ومميز كمان علشان الميضأة بتاعته.. مكان الوضوء يعني.

اهو الميضأة دي حدوتة لوحدها.

الميضأة دي عمرها من عمر القاهرة حرفيا.. بيحكي عمنا المقريزي في خططه اللي مش بتخلص إن القائد جوهر الصقلي "الحلواني" لما دخل مصر.. في أول يوم قرر انه يبني قصر الخلافة.. قصر الحكم المميز الكبير علشان خاطر مولانا الخليفة المعز لدين الله يعيش فيه ويحكم منه.. القصر اللي كان واحد من أبوابه مصنوع من ٥٠٠ كيلو من الذهب الخالص.. عمنا جوهر وهو بيفحت علشان يعمل أساس القصر.. قام خبط في دير قديم أوي كان معمول حوالين بئر.. يبدو إن مع الزمن والوقت الدير خرب وأهمل ومحدش بقى عارف إيه حدوتة البئر ده.. يمكن علشان كده جوهر وهو بيفحت مخدش باله من مكان الدير إلا لما خبط في البئر.

البئر ده يبقى اسمه بئر العظام.. أو بئر العظمة زي ما كان المصريين بيسموه.

عارفين جواه إيه بير العظام ده؟

المسيحيين بيقولوا إن البير ده مدفون فيه عظام حواريي المسيح عليه السلام.. تلاميذ القديس بطرس وشهداء تانيين من عصر الاضطهاد الروماني وعصور الاضطهاد المختلفة بعد كده.. طبيعي جدا إن المكان يبقى مقدس بعظام الشهداء.. علشان كده اتعمل حواليه دير كامل كان نصيبه الهدم لما جوهر حب يبني قصر الخلافة.. أول مباني قاهرة المعز.

طيب والعضم اللي كان في الدير ودوه فين؟

جوهر مكانش مفتري.. علشان يصالح الجماعة المسيحين ويبشرهم بعصر حريات.. بنالهم دير كبير في شرق القاهرة.. منطقة بحري وهواها جاف ومعزولة تماما.. سموه دير الخندق.. وتم نقل كل محتويات دير العظام إلى دير الخندق.

طيب دير الخندق حصلله إيه؟

المنصور سيف الدين قلاوون لما اتسلطن على مصر سنة ٦٧٨هـ هدم دير الخندق وبنى مكانه كنيستين كبار..

واحده منهم كانت شمال موقع دير الخندق.. دارت بيها الأيام وبقى اسمها دير الملاك البحري الموجود حاليا في أجمل مناطق القاهرة.. منطقتي.. حدائق القبة.. والتانية اتبنت مكان الدير الأصلي.. تحديدا مكان قرافة الأقباط اللي كانت موجودة في شارع الملكة نازلي من ناحية الدمرداش..

عارفين شارع الملكة نازلي بقى اسمه إيه دلوقتي؟

شارع رمسيس..

طيب وهو شارع رمسيس فيه كنايس كبيرة أو أديرة لحد دلوقتي؟

آه.. عارفين الكنيسة التانية اللي اتبنت مكان دير الخندق في شارع الملكة نازلي "سابقا" بقى اسمها إيه دلوقتي؟

الكاتدرائية المرقسية الموجود في العباسية.. جمب كلية طب عين شمس علطول..

الله!!!

يعني عظام شهداء المسيحية اللي كانت موجودة في بير العظام اللي كان موجود في شارع المعز.. موجودين هناك؟

آه حضرتك.. وموجود فيها كمان مدفن الوزير بطرس نيروز غالي.. عميد العائلة البطرسية في مصر.. المتوفى اغتيالا سنة ١٩١٠م. مدفون في حتة قبر تحفة فنية بكل المقاييس.. مبني على الطراز الإيطالي وممنوع عنه الزيارة.. حاولت أجيب واسطة "صديقة مسيحية" علشان ندخل هناك ونصوره.. الرهبان طردوها قبلي.. حاولت أصور المكان حتى من بره.. الظابط المسئول عن الحراسة كان هيلبسني قضية تكدير الصفو العام وتهديد السلم الاجتماعي زي الواد محروس بتاع الوزير كده.

يا دين النبي.. أنا دماغي لفت.. يا عم خلينا في شارع المعز.. إحنا إيه اللي جابنا العباسية!!

حاضر حاضر..

القائد جوهر لما هدم دير العظام بنى مكانه السور الغربي لقصر الخلافة الفاطمية.. وفي زاوية التقاء السور الغربي بالسور البحري.. بنى زاوية للصلاة.

راحت أيام الفاطميين وجت أيام الأيوبيين.. اليهود كانوا من أصحاب الحظوة في أيام بيت أيوب.. واحد يهودي اسمه موسى بن عمران اشترى حتة أرض من الأراضي اللي فضلت بعد ما اتهدم قصر الحكم الفاطمي.. حتة أرض صغيرة جمب المسجد اللي بناه جوهر علطول.. وعمل فيها معبد يهودي سماه معبد موسى بن عمران.

وبعدين؟؟

راحت أيام الأيوبيين وجت أيام المماليك.. الظاهر بيبرس كان كل ما يتزنق في فلوس.. يلم من المسيحيين واليهود أولا.. كانت ايده تقيلة عليهم شوية.. من ضمن الحاجات اللي الظاهر بيبرس استولى عليها من اليهود.. كان معبد موسى بن عمران.. المصريين بيقولوا إن في سنة من السنين حاج مصري وقع منه طاسة مكتوب عليها اسمه في بئر زمزم.. وظهرت تاني يوم في مكان معبد موسى.. لا سحر ولا شعوذة.

تروح الأيام والسنين والناس داخلة خارجة على مسجد القائد جوهر.. إذ فجأة يلاقوا زلطة جوا المسجد مكتوب عليها "هذا معبد موسى بن عمران".. طبعا اليهود معدوش المعجزة دي بلوشي.. راحوا عاملين هالة كبيرة ومعجزات

وحواديت حوالين الحجر ده.. قدسوه وبقوا يعطروه بالزعفران.. وبقى اسم المسجد.. مسجد معبد موسى بن عمران.. والمنطقة كلها بقى اسمها الركن المخلق.. من تخليق الحجر "تعطيره يعني" بالزعفران.

لو حبيت تصلي في مسجد الأقمر في يوم.. لازم هتتوضى الأول.. وانت داخل الميضاه بتاعة مسجد الأقمر أبقى بص قصادها علطول على البيت رقم ١١ في حارة التمبكشية.. اهو البيت ده اتبنى فوق مسجد معبد موسى اللي هو اتبنى فوق معبد موسى بن عمران اللي هو اتبنى فوق السور الغربي للقاهرة اللي هو اتبنى فوق بير العظام بتاع شهداء المسيحية.. اللي كانوا بيرغموهم أيام الحاكم بأمر الله انهم يلبسوا صلبان حديد تقيلة أوي.. من تقل وزنها عملت حز ازرق في عظام رقابيهم.. علشان كده بقى اسم المسيحين في مصر.. عظمة زرقاء.

وافتكر وقتها إن انت واقف في مكان عمره اكتر من ألف سنة..

افتكر وعيط على حاله حاليا.

ممكن تعرفوا الحدوتة كلها من النجوم الزاهرة لابن تغري بردي.. المجلد الرابع.



الطاعون.. خد ولا خلّى

واحد من أحبائي المتابعين بعتلي مره رسالة على الخاص بيستفسر وهو مش مصدق عن أيام المصريين أكلوا فيها لحم بعض بعد ما خلصوا على القطط والكلاب.. هل ده حصل فعلا وللا أفورة فيس بوك؟

جاوبته حسب ما عرفت من الكتب.. ٧ سنين نهر النيل فيهم عمل الجلاشة مع المصريين.. وصل فيهم الفقر مستويات غير مسبوقة.. حتى ان المستنصر بالله سمح للمصريين انهم يبردوا باب الدهب "درة قصر الحكم الفاطمي وكان وزنه اكتر من ٥٠٠ كيلو دهب خالص" ويقطعوا منه حتت يبيعوها ويشتروا بتمنها أكل.. المقريزي كتب عنها كتاب مخصوص سماه إغاثة الأمة برفع الغمة.

لاحظت إن الراجل مندهش.. فقررت ابهره زيادة.

- فكرك إن دي أسوأ بلوة عدت على مصر؟
- هو في العن من كده؟
- يا ابني الشدة المستنصرية دي بتاعة العيال التوتو.. أنا معايا النهاردة الأنقح والأسوأ.
- يا حفيظ.. دي إيه دي!!
- صلي بينا على النبي

وقمت أعقم إيدي لاحسن السيرة تجيبلي عدوى وللا حاجة.



الكلام ده كان في رمضان سنة ٧٤٩ هجرية.. سنة ١٣٤٨م. بالبلدي ومن غير أرقام تبقى وقت حكم السلطان الناصر بدر الدين أبو المعالي الحسن.. الناصر حسن بتاع المسجد الموجود في ميدان القلعة.

الناصر حسن لسه ماسك الحكم بقاله كام شهر.. عمره يا دوب ١٤ سنة.. كعادة ولاد الناصر قلاوون سلطان عيل راكب على أنفاسه أمراء خانقين البلد..

الأمير منجك اليوسفي السلاح دار (المسئول عن السلاح) وأخوه بيبغا آرس الاستادار (والمسئول عن بيوت السلطان).

هنرجع محطتين بس لورا.. مع دخلة سنة ٧٤٢هـ أخبار من الشرق عن طاعون بدأ من بلاد القان الكبير "الصين" وماشي نحو الغرب.. أخبار تانية مش ولابد عن فناء ٣٠٠ جنس في توريز "إيران" وارض الخطا والمغل "المغول" والاوزبك "اوزباكستان.

لو فكرنا إن كل قبيلة بتمثل جنس.. زي التتار والقبجاق والمنايفة كمثال يعني.. هنلاقي إن عمنا المقريزي كاتب الكلام ده:

"وأول ابتدائه من بلاد القان الكبير حيث الإقليم الأول وبعدها من توريز إلى آخرها في ستة أشهر وهي بلاد الخطا والمغل وأهلها يعبدون النار والشمس والقمر وتزيد عدتهم على ثلاثمائة جنس هلكوا بأجمعهم من غير علة في مشاتيهم ومصايفهم وفى مراعيهم وعلى ظهور خيولهم وصاروا كلهم جيفا مرمية فوق الأرض".

يا قوة الله.. ٣٠٠ قبيلة.. في ٦ شهور!!

اتقل.. إحنا لسه مقلناش حتى بسم الله الرحمن الرحيم.

وبيكمل المقريزي ويقول:

"ثم حملت الريح نتنهم إلى البلاد فما مرت على بلد ساعة ويشمها إنسان أو حيوان إلا ومات من ساعته.. فهلك من القان الكبير خلائق لا يحصي عددها إلا الله ومات القان وأولاده الستة ولم يبق بذلك الإقليم من يحكمه"

تحس إن المقريزي شغال معددة.. عمال يعيد ويزيد ويقولك الطاعون خرج من بلاد الأوزبك إلى إسطنبول وقيصرية وبعدين نزل على أنطاكية ومنها إلى الشام.. الموت بالآلاف والناس مرعوبة.. هربوا من البلاد على الجبال.. أدركهم الطاعون هناك وماتوا.. رجعت خيولهم على المدن تاني.. الناس تتبعت أثر الخيل لحد ما وصلوا للموتى في الجبال.. سابوهم في العراء وأخدوا فلوسهم ومصاغهم.. علشان الجثث تتحول إلى وباء جديد يضاف إلى الطاعون اللي شغال فعلا ويموت اللي هربوا على المدينة بعد ما نهبوا الفلوس.. المدن أصبحت مدن أشباح والفلوس أكوام متلتلة مش لاقية حد "حي" يصرفها.

الطاعون ماشي بيتحرك من فوق لتحت.. الأكراد فنوا.. التتر بيفنوا.. مبقاش في أحياء في ارض الصين.. نزل المطر على ارض العراق وأجزاء من إيران وباكستان.. الناس استبشرت خير.. اتاري المطر كان سيول محدش شاف زيها قبل كده.. سيول رهيبة جرفت الجثث الملوثة بالطاعون ونقلتها من مكان لمكان علشان ينتشر الموت مع سريان السيل.. ١٦ ملك ماتوا في الصين لوحدها في اقل من ٣ شهور.. عشرات الآلاف بتموت كل يوم بمنتهى السرعة.. حتى إن الواحد من دول كان بيطلعله خراج في جسمه.. مسافة ما يمد ايده يحسس عليه.. يروح ميت علطول.

إيه الرعب ده!!

دي حاجة عاملة زي عذاب الله عز وجل لأهل القرون الأولى في عصر معجزات الأنبياء.

مع دخلة سنة ٧٤٣هـ الوباء بدأ يتحرك ناحية حلب.. ٥٠٠ ميت في اليوم.. وبعدها دمشق وبعدين غزه.. الجثث مرمية بخراريج ورا الودان أو تحت الإبط.. يقال إن المريض كان يطلعله الخراج وبعدها يكح دم.. وفى خلال ٥٠ ساعة أو اقل يكون مات.. ويحكى من غزه إن مزارع نزل أرضه ومعاه ٢٥ نفر يفلحوا في الأرض.. عدى عليهم نسمة هواء ملوثة بالطاعون.. فصاحب الأرض شاف الناس وهى بتسقط ميتة ورا بعض واحد ورا التاني في غمضة عين.. يكح النفر منهم دم ويقع ميت.. وهو بيقع يكون اللي بعده بيكح دم.. ويستمر السلسال.. واضح من الوصف إن الموت كان سريع جدا.. ده بيبذر بذر ومات.. ده بيحرث ومات.. وده ساحب بقرته ومات هو والبقرة.. وهكذا.

مات في الشام في الكام شهر دول ما يقرب من ٢٠ ألف إنسان حتى إن أسواقها أصبحت خرائب.. كسدت البضاعة والأسعار بقت في الأرض.. أكوام من الأموال والجواهر مكدسة.. لا في بيع ولا شراء.. كله خايف "أو ميت" من الطاعون.

طيب الحال في أوروبا كان إيه؟

عدى الطاعون على قبرص وبدأ يحصد في المواشي والأطفال.. لما كتر الموت خَرّج القبارصة الأسرى المسلمين وقتلوهم كلهم خوفا من إن الوباء ده يحصد القبارصة وتفضل الجزيرة للمسلمين يحكموها.. في عز المعمعة قامت عليهم ريح

شديدة وزلزال رهيب خلاهم يشكوا إن القيامة قامت.. خرجوا هربانين على المراكب يرموا نفسهم في عرض البحر.. وصلت المراكب للبر التاني وهى شايلة جثث.. مات الملوك على البر ومات الهربانين في البحر.. البضائع على المراكب ببلاش.. هجم عليها الطلاينة وهما مش عارفين البلوة المستخبية.. نهبوا السفن وتفشى فيهم الوباء علشان يحصد عشرات الآلاف.. ومنهم اتنقل للأندلس اللي مفلتش من المصيبة دي فيها إلا مملكة غرناطة.. بلاد الفرنج أصبحت خاوية مفيهاش حد يحميها.. عرب إفريقيا طمعوا فيها.. شدوا الرحال على أوروبا ياخدوا اللي يقدروا عليه.. اترعبوا من منظر الجثث وكمية الموت.. حملوا السفن والخيول على أد ما قدروا وحاولوا يرجعوا تاني على بلادهم وهما بيتسقطوا موتى واحد ورا التاني.. لحد ما وصلت المراكب لسواحل ليبيا وتونس فاضية.. مفيهاش صريخ ابن يومين وكنوز ملهاش حصر.

ومن أوروبا إلى إفريقيا.. بيحكي المقريزي إن الموت عم إفريقيا بجبالها وصحاريها ومدنها.. وجافت جثث العربان ومواشيهم.. الخرفان كانت تندبح فيلاقوا لحمتها سوداء منتنة من إثر الطاعون.. في اليوم الواحد كان بيموت ١٠٠ أو ٢٠٠.. واتحرك الطاعون من برقة إلى الإسكندرية.. وتضاعف عدد الموتى حتى انهم في أحد صلوات الجنازة صلوا على ٧٠٠ فرد دفعة واحدة.. وفضل الطاعون يتحرك من إسكندرية للبحيرة لدمياط.. لحد ما غطى وجه بحري كله.. كسدت التجارة وبارت الأراضي نتيجة موت الفلاحين.. انتهت سنة ٧٤٨هـ والمدن في مصر عبارة عن مدن أشباح مفيهاش إلا جثث مرمية منتنة مش لاقيه اللي يدفنها.. حتى الحانوتية ماتوا.

طيب.. نسيب المقريزي شوية.. يبدو إن الراجل ده بيبالغ.. نشوف كده ابن تغري قال إيه؟

"ومع هذا كان فيها أيضا من الوباء ما لم يقع مثله في سالف الأعصار.. فانه كان ابتدأ بأرض مصر آخر أيام التخضير.. فما أهل المحرم سنة تسع وأربعين حتى اشتهر واشتد بديار مصر في شعبان ورمضان وشوال وارتفع في ذي القعدة.. فكان يموت بالقاهرة ومصر ما بين عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألف نفس في كل يوم"

سلم يارب.. إيه ده!!

حفرة واحدة يدفنوا فيها ٤٠ و٥٠ واحد!!

عدة الحانوتية والتغسيل والأكفان كانت متسابة كده.. ببلاش من غير أجرة!!

الحانوتي كان بيغسل في اليوم اكتر من ١٠٠ جثة.. ده قبل ما يموت هو كمان في آخر اليوم بعد ما يكح دم.. طبعا أخد العدوى.. الناس خافت وأصابها رعب عظيم.. بقت تهرب من البلد ورا البلد مهتدين بحركة الطير.. اتارى الطير نزلت من فوق كلت رمم موتى بالطاعون وماتت هي كمان.. بقت الناس تهرب من بلد مصابة.. إلى بلد مصابة.. موت هنا وموت هناك.. موت في البر وموت في البحر.. موت للبشر والبهائم والطيور وكل كائن حي بدون تفرقة.. الحكماء وقفوا عاجزين قصاد سرعة الموت.. ملحقوش حتى يجربوا أي شربة دواء ولا دهان ولا اعشاب.. المصاب كان يصحى الصبح سليم.. الظهر يظهرله خراج.. العصر يكح دم.. وشكرا.

الميراث كان بيعدي على ٤ أو ٦ وارثين في يوم واحد.. القلعة فضيت من المماليك.. فرق الجند ماتت زي ما هي.. الشوارع أصبحت مسكن للذباب.. حارة زي حارة برجوان كان فيها ٥٠ بيت.. مات منهم في يوم واحد ٤٠ بيت كامل.. الخشبة كانت بتشيل في المرة الواحدة ٥ أفراد وزيادة.. دفن جماعي.. صلاة جنازة جماعية.. دعوات جماعية للأموات.. اصطفت توابيت الموتى في الشوارع لحد ما كله اتلخبط على كله ومبقاش معروف مين تبع مين.. فيوم جمعة في مسجد الحاكم بأمر الله رصصوا التوابيت جمب بعض اتنين اتنين بمساحة الصحن كله لحد خارج المسجد.. الساحة الكبيرة اللي عيالنا بتروح تلعب فيها في مسجد الحاكم دي.. كلها كانت توابيت وجثث.

مبقاش في أغاني ولا أفراح.. لا صلاة ولا قراءة قران إلا على الأموات.. الناس كلها تحولت إلى مغسلين وحانوتية ومقرئين.. حتى الأمراء الكبار زي شيخون العمري مثلا "صاحب المسجد الكبير الموجود في شارع الصليبة حاليا". كله قلع هدوم الأبهة وشال الخشبة.. آلاف من القصص المرعبة عن سرعة الموت وخراب الأراضي انتقلت بين الناس علشان تزود الرعب.. قالوا إن ست كانت بتغسل ست.. بالغلط كده ايدها جات على خراج في جسمها.. مفيش دقائق إلا وكانت ميتة جمبها وفى ايدها أثر الخراج.

بطلت ٥٠ صنعة واتقفلت المحلات.. اتنقل الطاعون من وجه بحري للقاهرة.. ومن القاهرة للصعيد.. خربت قرى الصعيد وأراضيها لحد ما الثمر كان بيقع من على الشجر والزرع دبل في الأرض علشان مفيش فلاحين تحصده.. الأسعار هبطت هبوط فظيع وأبو ١٠٠ بقى بخمسة لان مفيش حد لا يشتري ولا يبيع.. خلت ٤٠ قرية من سكانها وفقدت مصر ٦٠% من أهلها.. حسب ما قال ابن اياس في البدائع:

"وقد ضبط في شهر شعبان ورمضان من مات في هذا الطاعون.. فكان نحو من تسعمائة ألف إنسان من رجال ونساء وكبار وصغار وجوار وعبيد وجنود وأمراء.. لم يسمع بمثل هذا الطاعون فيما تقدم من الطواعين المشهورة في صدر الإسلام"

هو ابن اياس يقصد إيه بالطواعين المشهورة دي؟

في كتاب "الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام" نقل الشيخ شمس الدين الذهبي عن أبو الحسن المدائني الكلام ده عن ٥ طواعين رهيبة أصابت ديار الإسلام من أيام الرسول عليه الصلاة والسلام وما بعدها

- طاعون شيرويه "كان في أيام الرسول وبدأ في إيران"
- طاعون عمواس "كان في أيام الخليفة عمر.. بدأ في الشام ومات فيه صحابة كتير زي أبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة"
- طاعون الكوفة "مات فيه مليون وستمائة وخمسين ألف.. سموه طاعون الأشراف نسبة إلى كم كبير من الأشراف ماتوا فيه"
- طاعون البصرة "سموه الطاعون الجارف لان السيول كانت بتجرف جثث الموتى.. قعد ٣ أيام مات فيهم ربع مليون إنسان"
- طاعون الفتيات "وده حصل في البصرة سنة ٨٧هـ. مات فيه بنات كتير"

اهو طاعون السلطان حسن كان اشد من كل دول.. حتى انه – لأول مرة – يدخل الطاعون إلى مكة.. السلطان حسن من كتر الرعب اللي عاش فيه ساب البلد كلها وهرب على سرياقوس "شرقية". عانى الناس معاناة شديدة أوي من ضرائب الأمير منجك وأخوه.. كعادة أهل مصر اجتمع عليهم بلاء الطاعون وبلاء الجباية علشان نكتشف إن اللي مات فعلا ارتاح.

محدش عارف الوباء ده إيه سببه ولا خلص إزاي.. ابن اياس بيقول انه قعد في مصر ٧ سنين وابن تغري بيقول انه قعد في العالم ١٥ سنة.. تطابقت الروايات بين المؤرخين الثلاثة الكبار عن كم المصايب والخراب اللي حصل للناس بسبب الطاعون ده.. يمكن الطاعون ده يوضح إزاي السلطان حسن قدر يبنى مسجد ومدرسة بالفخامة الرهيبة دي كلها والبلد أساسا مكانتش حالتها كويسة ولا فترة حكمه كانت مستقرة.. الفلوس كانت كتير والصنايعية العطلانة اكتر.. علشان كده لمهم كلهم يشتغلوا في الصرح العظيم بتاعه.. يمكن كانت محاولة لإلهاء الناس عن التركيز في الموت وسيرته؟ الله أعلم.

شايف حضرتك كل اللي كتبته عن الطاعون ده؟

ده مثلا ١ على ٥٠٠ من الموجود في بدائع الزهور "ابن اياس" والسلوك "المقريزي" والنجوم الزاهرة "ابن تغري".

تحس إن مصر دي ارض اللعنات.. ما بين معجزات موسى والشدة المستنصرية وطاعون السلطان حسن وشح النيل المصحوب دايما بطواعين.. الفقر والجهل والمرض.. صراع الأكابر على الحكم.. غرق الشباب في البحر والناس اللي اتحرقت في قطر الصعيد.. مئات الآلاف اللي ماتت بالكبد والسرطان اللي بيفرتك أجسام الناس.

وفى الآخر تلاقى حد يقولك دي مصر ذكرت في القرآن.

يا أخي..

بلاش دي.



كيلو خيار

عارفين قبر مين اللي في الصورة ورايا ده؟

هو واحد مات أكيد.. بس قبل ما تترحم عليه.. شوف الحكاية دي.. وبعدها انت حر.

جنابه كان والي على مصر في مرحلة من مراحل الاضمحلال والانهيار الحضاري والفكري والمادي.. كان نائب للسلطان قنصوه الغوري على حلب من سنة ١٥٠٤م. ما هو أصل الشام كلها كانت جزء من السلطنة المصرية.. كان شركسي معروف الأصل والنسب.. شيعي الانتماء من غير هوى سياسي معين.. مستعد يبيع نفسه وبالفعل باع نفسه لمن دفع أكثر.. كان خرم في جيش المماليك المدافعين عن سلطانهم في مصر في مواجهة جحافل السلطان سليم الأول.. تسبب في سقوط السلطان الغوري من فوق حصانه مصابا بالفالج في سهل مرج دابق لما عرف خيانته.

مكافأته من سيده الجديد – سليم الأول – كانت ولايته على مصر لحد موته.. لم يكن والي بكلربكي أصيل زي ما تلاه من ولاة.. لم يكن ذو حظوة او مكانة او هيبة بين الناس.. لم يكن ذو شجاعة او بطولات حربية.. كل مقوماته انه فتح سكة لجيوش سليم الأول علشان ينفذ منها الى قلب جيش المماليك ويحقق انتصار كان بعيد عنه جدا لولا خيانة هذا الرجل.

لقبوه بملك الأمراء.. جلس على عرش مصر ٥ سنين و٣ شهور بالظبط.. في آخرهم ابتلاه الله بمجموعة من الأمراض حسسته ان الدنيا مش دايمة وفيه آخرة هيسأل فيها عما فعل.. بقى يعطف على الفقراء والمساكين ويوزع فلوس ويذبح للغلابة.. بنى مسجد كبير في شارع باب الوزير وطلب المغفرة من الناس.. الناس المجروحة منه رفضت تصلي فيه وبقت تعدي على المسجد.. وتتف.

تتف طبعا مش على المسجد.. انما على الراقد في غرفة الدفن الملاصقة للمسجد.

يا ساتر!!

هو من امتى المصريين فيهم قسوة كده؟ يا اخي ده الميت متجوزش عليه الا الرحمة.

صحيح.. علشان كده بقولك تعالى نترحم على مؤذن بسيط فقير الحال.. ضاقت بيه سبل العيش فدخل متلصص الى غيط مزروع فيه خيار شمبر في البحيرة.. قطف من الشجر ما يوازي كيلو علشان يبيعه ويسترزق بتمنه.. ظبطه خولي الغيط ورقعه علقة محترمة.. الراجل حس بكرامته اتهانت.. مش كفاية علينا الفقر يا ناس!! هيبقى فقر ومهانة كمان؟

مسك في الخولي وبقت عاركة.. الخولي رجل الأمن.. رجل النظام.. امين شرطة المنطقة.. سحب الراجل الغلبان من قفاه على نائب البلد.. نائب البلد كلب النظام.. شاف خيار الشمبر مع الراجل وشه بقع.. سحبهم الاتنين وطلع على قصر الوالي في المحروسة.. وقفوا الاتنين بين ايدين الوالي.. الراجل الغلبان بيصرخ من الفقر والجوع.. اتاري الوالي الظالم كان محتكر تجارة خيار الشمبر في البلد لحسابه.. محدش يزرع ولا يبيع ولا يشترى خيار شمبر في البلد الا هو.. مفيش خيارة شمبر واحدة تبقى في ايد أي بنى ادم الا لو كان تبع الوالي..

الوالي حكم على الراجل بالشنق.. خدوه الحرس من قفاه.. ركبوه على حمار وعلقوا في رقبته قفة خيار الشمبر اللي سرقه من غيط الوالي.. لفوا بيه القاهرة كلها لحد ما وصلوا عند زقاق الكحل اللي جمب باب الفتوح.. علقوه في المشنقة وشدوا الحبل.. خرجت روح الرجل الى بارئها تصرخ من ظلم الظلمة المتجبرين.. بعد كده صلبوا جسمه وسابوه ٣ أيام متعلق بدون دفن لحد ما صعب على اهل الناحية فخدوه ودفنوه بمعرفتهم من غير ما يعرفوا ان له زوجة ترملت وعيال أصبحوا يتامى بسبب ابوهم اللي سرق كيلو خيار شمبر.

ابن اياس بيحكي عن الوالي ده انه..

"كان يبات يسكر بطول الليل ويصبح في خبال السكر يحكم بين الناس بما يقتضيه عقله.. ولم يظهر العدل في محاكماته قط منذ ان ولى على مصر"

كان اسمه خاير بن ملبان الشركسي.. أبوه خده من ايده هو واخواته الثلاثة واهداهم الى السلطان قايتباي.. نشأ وكبر في قصر السلطان.. معروف مين أبوه مش "ابن ناس" زي باقي المماليك.. لحم كتافه اللي كبر من خير البلد دي كان

هو المساعد ليه في خيانة نفس البلد.. وعلى فكرة.. المصريين مش هموا اللي سخروا منه وحقروه.. ده سيده سليم الأول بعد ما استفاد منه سماه كده "خاين بك".

خاير بك كان نموذج حي للتشتت والفشل والقسوة المفرطة اللي في الحقيقة بتغطي على شعور بفقدان الثقة في النفس وفى المحيطين وفى الشعب والكل كليلة.. كان لوحده في كفة والبلد في كفة والعسكر اللي هما مفروض حمايته في كفة ثالثة.

بلغ من فرط ولعه بالقتل والدم انه اخترع طريقة جديدة لإعدام الناس اسمها شك الباذنجان.. كانوا يعلقوا المراد إعدامه على عمود خشب وبدل ما يخزوقوه من تحت الى فوق كالمعتاد.. كانوا يخزوقوه بالعرض.. رمح كبير يتغرس في صدر المحكوم عليه ويسيبوه بقى على العمود يومين أو ثلاثة أو أربعة.. يموت براحته بقى وهو رزقه.

ساعات تانية كان يأمر بتوسيط المتهم.. يعني قطعه نصين بالسيف.. او يبقى فاضي فيطلع حكم فجائي كده بقتل كل الكلاب في الشوارع ويلزم كل بيت انه يعلق راس كلب قتلوه على باب البيت.

جنون مطبق لا محالة.

وانت معدي في شارع باب الوزير في اتجاه باب زويلة هتلاقي المسجد بتاعه على ايدك اليمين قبل مسجد آق سنقر "المسجد الأزرق" علطول.. المسجد نظيف ومترمم حلو.. الوزارة واخدة بالها منه كويس.. متنساش وانت داخل المسجد علشان تتف على ساكن القبر تبص كويس على عتبة المسجد.. هتلاقى حجر العتبة عليه نقش من نقوش مصر القديمة "الفرعونية".. علشان تعرف وتتأكد ان خاين بك مكانش بس حرامي ارزاق وفلوس.. ده كمان سرق حجارة المعابد المصرية علشان يبني بيها المسجد بتاعه.

وده كان اول حاكم على مصر بعد ما تحولت من سلطنة مستقلة الى أيالة عثمانلية..

بداية مشرقة مليانة تفاؤل.

فكرك الناس نسيت ظلم الراجل ده بعد ما عدى على موته ما يقرب من ٦٠٠ سنة؟

لا أظن.



قبر خاير بك – مسجد خاير بك – شارع باب الوزير

أخص عليك

بعض الكلمات في حياتنا اليومية تحمل من العار كم لو عرفناه لدفنا أنفسنا بالحياة بدل ما نرددها عمال على بطال..

تعالوا نعرف حكاية أخص عليك.. بعدها نشوف هنعمل إيه..



الفترة من ١٩٠٦م الى ١٩١٩م مصر كان فيها حراك وغليان غير عادي.. دم دنشواي لسه مبردش.. الحرب الأولى بتشطب.. الدولة العثمانية بتودع العالم.. أفكار الطهطاوي والأفغاني ومحمد عبده وعبد الله النديم لسه طازة.. مصطفى كامل وسعد زغلول ومحمد فريد مولعين الدنيا في السياسة.. الأخوين زغلول وإبراهيم الهلباوي خلقوا مفهوم جديد للمحاماة.. علي يوسف والمنفلوطي وعبد العزيز جاويش وحفني ناصف بيبذلوا قصارى الجهد في الارتقاء بالصحافة المصرية.. مقالات وأفكار جديدة على آذان المجتمع المصري في المؤيد والتحرير والوقائع المصرية والجريدة والأمة وقصادهم محاولات تجريف العقول في الأهرام والمقطم عاهرات الانجليز.. قاسم أمين وهدى شعراوي في جزيرة لوحدهم بيصارعوا ضد اضطهاد المرأة.. ومن ورا كل دول الخديو عباس حلمى الثاني وشاعره الأثير احمد بك شوقي.

في وسط الجو ده كله.. نشأ رجل ارستقراطي في بيت باشوات.. رجل اسمه أحمد لطفي السيد.

أحمد لطفي السيد كان مفكر وفيلسوف ليبرالي.. كان من الرواد الأوائل في الدعوة الى الديمقراطية وحركة النهضة والتنوير في مصر.. اتعرف في أوساط المثقفين انه أستاذ الجيل وأبو الليبرالية المصرية.. شارك في تأسيس مجمع اللغة العربية وأطلق عليه عباس العقاد لقب "افلاطون الأدب العربي".

بخلاف فكره المتنور كان ذو باع كبير في السياسة.. أسس حزب الأمة المصري تحت شعار "مصر للمصريين".. هدفه الأول كان الدستور والاستقلال التام.. مسك وزارة المعارف ثم الخارجية وبعدين بقى نائب رئيس الوزراء في وزارة إسماعيل صدقي الثالثة بالتوازي مع كونه نائب في مجلس الشيوخ.

بلغ من مكانة أحمد لطفي السيد إن الظباط لما طردوا الملك في ١٩٥٢م. عرضوا عليه منصب رئيس الجمهورية الجديدة.. بس هو اللي رفض.. يبدو انه كان مقلق من المنصب.. سابلهم السياسة وراح مسك دار الكتب وبعدين جامعة القاهرة اللي كان اسمها وقتها الجامعة المصرية.

مش بس كده.. أحمد لطفي السيد كان متأثر بشدة بأفكار جان جاك روسو "بالأخص العقد الاجتماعي" وكان من الداعين إلى القومية المصرية المنعزلة عن العالم العربي أو الإسلامي أو بمعنى أدق.. تركيا مركز الحكم العثماني.. كان دايما ينادي إن مصر للمصريين وبس.. العالم اللي عندها أوطان احتياط ومزدوجي الجنسية والهوية المفروض ميظهروش في الصورة خالص.. مصر يحكمها أبناءها وبس.. هو كمان صاحب المقولة المشهورة اللي الناس بتقولها لحد النهاردة ومحدش بيعملها خالص " الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية".. وميصحش ننسى أبدا إن أول دفعة خريجات مصريات من الجامعة سنة ١٩٣٢ كانت في أيامه.. كل ده بقى بدون أي عداوة خالص مع الأزهر ورجاله الأفاضل خصوصاً إن تعليمه الأول كان في كُتاب قريته وانه من حفظة القرآن وخريجي الأزهر.

راجل زي الفل اهو مفيش عليه أي غبار.. لو قلنا إن الراجل ده نازل أي انتخابات.. مين يقدريسد قصاد واحد زي ده؟

طيب.. نقف هنا شوية ونبص على حتة تانية..

نقدر نعتبر إن سنة ١٩١٣م كانت السنة الذهبية في حياة قاسم أمين في صراعه لتغيير "ومش هقول تحرير" المرأة.. قاسم أمين كان صديق شخصي مقرب من أحمد لطفي السيد.. عرف أن حزب الأمة قرر الدفع بأحمد لطفي السيد في انتخابات نظام الجمعية التشريعية البديل لمجلس شورى القوانين.. فقرر قاسم أمين انه يستفيد من صاحبه.. باشا ابن باشا أهو وحواليه أقلام

وأبواق إعلامية بالهبل.. أفكاره تنويرية وحاز على احترام الجميع بلا استثناء.. في الوقت ده قاسم أمين كان بيواجه اتهام مشين بخصوص سلوكه الجنسي المنحرف زي ما أشيع عنه بالباطل.. التيار الرجعي كان مبهدله تماما ومشوه منظره بطريقة رهيبة رغم إن الراجل كل اللي قاله هو السفور "كشف الوجه" وتعليم المرأة.

يعمل إيه قاسم أمين؟

أعلن – ومن وراه تيار الليبرالية والديمقراطية – دعمهم اللا محدود لترشيح أحمد لطفي السيد في دائرته.. قرية برقين مركز السنبلاوين دقهلية.

جميل جدا.. نجاح الباشا طبعا مضمون.

طيب.. مين بقى نازل قصاد أحمد باشا ابن سيد باشا أبو علي عمدة البلد وصاحب الأطيان وحفيد علي أبو سيد أحمد باشا عمدة نفس القرية؟؟

واحد تاني من أعيان القرية.. اسمه عثمان بك سليط.

مين بقى عثمان بك سليط ده؟؟

راجل نكرة تماما.. لا له حظوة عند الكبار يستغلها في خدمات لأهالي الدائرة علشان يضمن أصواتهم ولا هو من أساطين الفكر والأدب زي غريمه ولا حتى يحمل لقب الباشوية علشان القصر يعرفه.. راجل كل سلاحه في انتخابات تعتمد على شطارة المرشحين هو فلوسه وأحمد بك رمزي.

أحمد بك رمزي ده كان فريد الديب بتاع الأيام دي.. محامي عقر وعضو في مجلس الشيوخ.. ذئب من الذئاب اللي تعرف امتى وفين وإزاي تعض ومن أين توكل كل الكتف لحد آخر قطعة.. راجل كلماته بحساب ودماغه سم وتوزن بلد.

عثمان بك سليط لو خسر الانتخابات ممكن يروح فيها.. جري على صاحبه أحمد بك رمزي.. الحقني يا شقيق.. احمد لطفي باشا نازل قصادي الانتخابات.. اعمل إيه!!

كمحامي.. احمد بك رمزي عارف إن كل شيء في البلد دي ممكن وان كل إنسان له "سيديهات" تطلع وقت اللزوم.. طلب مهلة من صاحبه علشان يدرس

شخصية المنافس.. جمع كل مقالاته وأفكاره وقعد يقرأ ويمخمخ على رواقة.. لعل وعسى يلاقي خرم يهد منه الصرح الكبير ده.

اتكعبل أحمد بك رمزي في كلمة جديدة لانج.. كلمه لها أصول أجنبية.. ممكن تتفسر بالسم والعسل في نفس الوقت..

كلمة الديمقراطية.

قعد مع نفسه يفكر ويدبر وبعدين خرج على الناس بمفهوم جديد عن الديمقراطية.. مفهوم يعجز عنه أعتى فلاسفة العالم.. سقراط وأفلاطون أنفسهم ممكن يسجدوا لله من هيبة كلمات الرجل "وقتها طبعا".

في أحد سرادقات الانتخابات في البلد وقف عثمان بك سليط وصاحبه احمد بك رمزي يكذبوا على الناس كعادة كل المرشحين.. لما نكسب هنعمل ونسوي.. ندخل بس اللجنة وهتشوفوا مصر هتبقى عاملة إزاي.. أي خرت في أي كلام فارغ يتقال والناس قاعدة تفكر بس في كيلو اللحمة اللي ياخدوه وهما ماشيين أو ريالين فضة لزوم كسوة الشتاء.

فجأة واحد من الحضور سألهم عن المنافس.. أحمد لطفي السيد باشا.. تقولوا فيه إيه؟

وهنا جه دور أحمد بك رمزي..

بدأ الراجل الكلام بالثناء على أحمد باشا.. رجل فاضل ذو علم وجاه ومكانة.. أنا أتشرف بانتخابه.. ده راجل أنا نفسي أتمناه "بصوت الريس حنفي أنعم وأكرم" بس لو مكانش ديمقراطي.. استغفر الله العظيم يارب.

وسأله الناس.. إلا إيه الديمقراطية دي يا أستاذ؟؟

وبدأ احمد بك رمزي الشغل..

ترضوا يا رجالة إن نسوانكو تتجوز أربعة.. ترضوا إن امهاتكو تقلع الملس والحجاب.. ترضوا نسوانكو تشرب دخان.. خلاص.. هنهد الدين ونسيب الحبل على الغارب للحريم؟؟ ده مش كلامي والعياذ بالله.. ده كلام أحمد باشا.. هو كاتب كده اهو في مقالاته.. عاوزكم تتمسكوا بالديمقراطية.. وإيه هي

الديمقراطية يا سعادة الباشا.. هي المساواة بين الرجل والمرأة.. هي هدم لأصول الدين الحنيف وعادات المسلمين.. هي الكفر البواح والعياذ بالله.

الديمقراطية هي إن أمك تقلع الحجاب.. يا نهار.. أمي أنا؟؟ "مين اللي قال الجملة دي بعد ٢٥ يناير؟؟؟"

الناس تنحت في ذهول.. في بداية الكلام كانوا متشككين.. هااار اسوح.. نسوان إيه دي اللي تتجوز أربعة!!

وبدأ احمد رمزي يطرق على الحديد وهو ساخن.. اتفضلوا اسألوه.. وهو مش هيقدر يكذب.

وفعلا.. راحت الناس تسأل احمد لطفي السيد.. إلا انت صحيح يا باشا.. دوموقراطي!!

ورد أحمد لطفي السيد.. أيوه ديمقراطي.. هعيش ديمقراطي وهموت وأنا متمسك بالديمقراطية.

وقام واحد من الفلاحين بعزم ما فيه.. صرخ في وش الباشا..

"بقى كده يا باشا.. اخص عليك"

وبلاشعورية ردد الناس وراه "اخص عليك".. وخرجوا من عنده وهما بيقطعوا مقالاته وبيدوسوها بالجزم ويهتفوا اخص عليك.. اخص عليك.. اللي هو بالظبط مشهد جميل راتب وحمدي أحمد وأحمد زكى في فيلم البداية بتاع نبيهاليا.

العقل الجمعي.. أو الجهل الجمعي بوجه أدق ممكن يجيبلك الجنون حرفيا.. أي واحد يقول كلام بصوت قوي وفى شوية تشكيل أو نحو.. يبقى شيخ.. أي حد يطلع فوق أي حاجة ويهتف أي هتاف.. يبقى زعيم ثوري والناس هتردد وراه.. اعتقد إن عادل إمام لم يكن مبالغ في مشهد الإستاد في فيلم حنفي الأبهة لما هتف "تحيا الرياضة" والناس رددت وراه "تحيا الرياضة" وبعدين هتف "السلام عليكو" راحت الناس مردده برضه "السلام عليكو".

كنت حضرت مرة درس في مسجد القائد في العزيزة الإسكندرية.. المحاضر كان بيتكلم عن تأثير المعاصي في قلب الإنسان.. واستدل ببيت شعر بيقول..

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأوصاني بترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدي لعاصي

ويبدو إن المحاضر كان أداؤه تمثيلي شوية أو إلقاءه ومخارج ألفاظه ملفتة بطريقة خلت واحد قاعد ورايا يقول بحماس وورع رهيب "يا سلاااام.. عليه الصلاة والسلام"

هو مين ده يا عم!!

دي أبيات شعر للأمام الشافعي.. انت عارف انت بتقول إيه!!

هو كده.. أي كلام موزون مقفى أو بالتشكيل.. يبقى حديث.. أي حد بدقن يبقى شيخ.. أي حد يقول الديمقراطية والانتخابات يبقى ثوري.. جرب كده اطلع فوق أي تمثال وهات مكبر صوت واهتف "يسقط الاستقلال".. هتلاقي ناس وراك بتردد "يسقط الاستقلال".

مسخرة وربنا..

انتشر في القرية مصطلح اخص عليك كعلامة على رفض التصويت لأحمد لطفي السيد.. الكافر بتاع الدوموقراطية.

سقوط أحمد لطفي السيد في الانتخابات كان بمثابة الصدمة للوسط الثقافي السياسي في مصر.. سعد باشا زغلول بعتله برقية مكتوب فيها.. "لئن سقطت في الانتخاب.. فلك عطف العقلاء".

وتظهر أخلاقيات احمد لطفي السيد في ذكره للواقعة في مذكراته "قصة حياتي".. رفض الراجل انه يحمل جهل الناس مسئولية سقوطه.. قال إن الحكومة هي اللي تعمدت إسقاطه حسب تحذير صديقه فتحي باشا زغلول.. تعرض للحادثة دي على أنها شائعة لم يؤكدها.. واستدل على كده بإقالة صديقه مدير الدقهلية وقتها حافظ حسن باشا وإسناد المهمة والإشراف على الانتخابات لرجل من رجال الانجليز في الحكم هو سعيد باشا ذو الفقار.

مات عثمان بك سليط.. ومات أحمد بك رمزي.. مات كل أطراف الحدوتة حتى الفلاحين اللي قالوا للراجل اخص عليك.. كل دول ماتوا وعاش أحمد لطفي السيد باشا في قلوب وعقول كل إنسان متنور.

مات الديمقراطي.. وعاشت الديمقراطية لكل الأحرار.

عاشت علشان نتفرج عليها وهى بيتصب في مصلحتها كل خميس.

اكفينا الشر يارب.



المشخصاتي الكسيح

يبدو الجواب مقروء من عنوانه.. صح؟

هتقول واحد رغاي هيزيط على المشخصاتية وفرقة الرقاصين إياهم.. يا عم بلا زهق بقى.. هي ناقصة..

لا لا.. من فضلك استنى.

الموضوع مش كده خالص.



تعرفوا إن كان في محاولات في الاتحاد السوفيتي لاختراع آلة الزمن؟

والله بتكلم جد.. كان عندهم واحد اسمه فاديم تشيرنوبروف ([1]).. قالك أنا عملت ماكينة ممكن تسفرك للماضي وللمستقبل.. بس خف رجلك شوية على الاكسيراتير علشان مترجعش ورا أوي.. كمان الموتور بيشتغل ببنزين ٩٢.. وانتو عارفين الأسعار.

في موسكو.. لقيت موقف اسمه جريجوري عبودوف.. على جمب كده كان في عربيات مكتوب عليها عبودوف- المماليك وعبودوف-الفاطميين وواحد تاني واقف يجعر.. أيوبيين واحد.. نفر أيوبيين.. أيوبيين وطالع.. نطيت في أول عربية منهم.. السواق كان غتت وقعد يجعر بالروسي "٤ ورا يا بشمهندزين".. سألته:

- بتروح عند المماليك يا أسطى؟
- آه يا زغللة.. رايح فين؟
- عاوز انزل عند المظفر سيف الدين حاجي بحق الطبيعة "ملحدين بقى وكده"
- بص.. انت تنزل عند الناصر قلاوون.. ومن هناك تاخد أي حاجة بربع دينار رايحة قرب أيام الشركس.. وتنزل تتمشى حتة صغيرة قيمة ٢٠ سنة كده..

---

(١) عالم ومهندس طيران روسي اشتعل لمدة ١٠ سنين على فكرة السفر عبر الزمن وقدر بالفعل انه يحقق نجاح محدود في نقل آلة زمن بدائية ١٠ ثواني للماضي سنة ١٩٧٨م.

هتلاقي المظفر حاجي فوشك علطول.. جمب ماحيل شندوتشات سيف الدين شعبان علطول.

- تشكر يا أسطى.. شغل الكونتاكت ياللا وصلي على النبي.. يوه.. معلش.. اذكر الطبيعة بالخير والبيج بانج يستر طريقك.

ونزلت محطة المظفر سيف الدين حاجي.. سنة ١٣٤٥م بالظبط.

ولقيت إيه بقى يا مؤمن؟

◈◈◈◈◈◈◈

لقيت سلطان كبير اسمه الناصر محمد بن قلاوون.. راجل من بتوع الحرب والسياسة والقلق.. قعد على كرسي سلطنة مصر ٣ مرات وخلف ٨ عيال كلهم اتسلطنوا بعده على مصر في الفترة بين ١٣٤٠م إلى ١٣٦١م. وكلهم طاروا من على الكرسي واحد ورا التاني يا إما بالخلع يا إما بالقتل والتقطيع.. يخصنا النهاردة من ليلة ولاده.. المظفر سيف الدين حاجي وأيامه الغبراء.

الناصر محمد كان راجع من الحجاز بعد موسم الحج ما خلص.. جتله البشرى إن مراته خلفتله عيل دكر.. فرح وابتهج.. وعلشان خاطر الحج.. سماه سيدي حاجي.

مرت الأيام ومات الناصر محمد.. مسك عياله الحكم واحد ورا التاني لحد ما جه الدور على الكامل سيف الدين شعبان.. أيامه كانت غم بزيادة.. قال عنه ابن تغري بردي انه "كان من أشد الملوك ظلما وعسفا وفسقا".. حتى انه يا أخي كان حاطط اخواته "حاجي وحسن" في السجن.. الأمراء زهقوا منه وقاموا عليه سنة ١٣٤٥م. خلعوه ورموه في السجن وحطوا مكانه سيف الدين حاجي اللي كان وقتها عمره ١٥ سنة بالظبط.. دخل الأمراء واحد ورا التاني يبوسوا الأرض بين أقدام السلطان الجديد.. يحلفوله بالولاء.. ويعاهدهم على الأمان وعدم الغدر بيهم.. وبين قوسين.. هأو.

أول كلام المظفر حاجي انه بعت ناس لأخوه في السجن علشان يخنقوه.. دوكها كان كلب ولا يسوى آه وده بينتقم لنفسه من أيام السجن ماشي.. بس الأمراء قلقت برضه.. إيه اللي بادي أيامه بقتل أخوه ده!!

المظفر حاجي مكدبش خبر وكان عند سوء ظن التاريخ بيه.. كان عيل هلاس ومراهق ساب البلد تضرب تقلب وانصرف تماما للجواري والمغنى والهلس.. كان بيصرف بجنون على الجواري اللي لحسوا عقله تماما خصوصا جارية حالكة السواد وقف عندها التاريخ كتير أوى اسمها "اتفاق".. واتفاق دي موضوع كبير أوي هنحكيه بعدين.. يكفينا نعرف دلوقتي إن اتفاق كانت لابسة يوم القبض عليها فستان وعصابة تمنهم ١٠٠ ألف دينار دهب.. يا قوة الله.. ١٠٠ ألف دينار!! دول يجهزوا جيشين ونص على فكرة بأسعار أيامهم.

وكأن المزز حواليه مكانوش كفاية.. فقرر السلطان انه يغيظ الأمراء زيادة ويربيلهم حمام.. بنى غية حمام كبيرة أوي في قلب القلعة كان بيقضي فيها يومه كله.. ووصل جنونه في تربية الحمام إلى انه أمر المؤذنين في المساجد المحيطة بالقلعة انهم يوطوا صوتهم وقت الآذان والصلاة علشان حمامه بيتفزع من الصوت العالي.. يبدو والله أعلم كده إن الحمام كان ملحد.

وياريتها وقفت على الحمام وبس كنا قلنا هواية وشغف.. إلا إن السلطان كمان زود في عربدته واستخفافه بكل شيء وقرر انه يتعلم الشقاوة ويبقى منحرف.. لم شضلية البلد والمقاطيع وشمامين الكُلة وقعدهم معاه في القصر.. هما دول بقوا صحابه وشلته.. ياكل ويسهر معاهم.. يستفتيهم في أمور الدولة فيفتوه وهما بيصبوله كؤوس الهوب هوب.. كان الأمراء يصحوا الصبح يقولوا يا باسط ويبصوا من الشباك على حوش القلعة.. يلاقوا السلطان واقف باللباس أبو روحين بيلعب تحطيب مع واحد من الصيع بتوعه.

كل ده والأمراء ساكتين.. طالما مقربش منهم ولا من فلوسهم.. هو حر.. حتى لو مبقاش في القلعة كلها مكان لرجل علم أو دين واحد. نركن بقى كل حاشية المظفر حاجي في كوم.. ونحط علي الكسيح في كوم تاني.

إيه حكاية علي الكسيح ده بقى؟

حكاية سودة ومهببة..



السلطان كان مقضي يومه بنظام.. الصبح حمام وتحطيب.. العصر أكل وحلويات وبليل فرفشة وجواري.. وعلشان الليالي تحلو والسمر يبقى صباحي يلزمه مضحكاتي.. أراجوز.. واحد يكون شكله أو كلامه غريب ومثير للضحك في نفس الوقت.. حد يكون الدغ مثلا أو عنده عاهة.. حد يكون مغولي "من أصحاب متلازمة داون" أو قزم.. أي حد يكون شكله مش طبيعي علشان يقوم بمهمة التشخيص وإضحاك السلطان ونسوانه.

وكان هو ده علي الكسيح..

بيقول عنه المقريزي في السلوك

"كان شنيع المظهر له حدبة في ظهره وحدبة في صدره كسيحا لا يقوى على القيام وإنما يُحمل على ظهر غلامه"

طيب السؤال بقى.. واحد زي ده في عصر زي ده.. يوصل إزاي للسلطان؟

السلطان كان عنده جوز أمراء مماليك بيقوموا بدور دراعه اليمين ودراعه الشمال.. الأمير سيف الدين الجيبغا والأمير طنبرق.. نقدر نقول كده انه كان متحامي فيهم من غضب باقي الأمراء.. في نفس الوقت كانوا بيغلسوا عليه من وقت للتاني لو هو أفور وللا حاجة.

الأمير الجيبغا وقع على الكسيح ده.. خده وعرضه على السلطان.. والسلطان عجبه فكرة المسخ دي.. فقربه ليه وجوزه واحدة من أجمل جواريه.. وبدأت الدنيا تزهزه مع صاحبنا الكسيح.. فلوس ومزز وجواري وإيه.. حاجة آخر حلاوة.

تمر الأيام وعلي الكسيح مكانته كل يوم بتزيد عند السلطان.. لحد ما صحينا فيوم على إن علي الكسيح أصبح أهم شخصية في البلد كلها.. كلمة منه ترقي أمير وكلمة تنفي أمير تاني.. غزل لجارية يخليها تملك فدادين ملهاش آخر.. ونكتة على جارية تانية تخليها تنطرد من القلعة.. علي الكسيح بقى ولا كمال الشاذلي.. الأمراء واقفة قصاد بيته طوابير علشان يذكرها بالخير عند سلطان البلاد.

يا سبحان الله.. كل ده من النكت!!

لا طبعا..

علي الكسيح كان جاسوس.. عصفورة السلطان.. العالم كلها شايفاه مشخصاتي عبيط.. وهو كان مستغفلهم كلهم.. يقعد وسط الجموع يضحكهم وهما بيسكروا.. ويركز في الكلام علشان ينقله للسلطان.. علي الكسيح كان عين وودن السلطان في مجالس الأمراء وما يحاك فيها من مؤامرات.. وما اكترها أيام المماليك.

صاحبنا المظفر فضل يهلس ويخرف والأمراء تراقب.. يستعبط ويستهبل والأمراء تعض في الأرض.. لحد ما فيوم دماغ السلطان عليت أوى وأمر لكل جارية في سهرة لطيفة ب ١٠٠ ألف دينار ذهب.. سهرة واحدة جابت داغ خزينة البلد تماما.. عاشت مصر بعدها فترة قحط وجوع وغلاء غير مسبوقة.. الوضع أصبح خارج السيطرة وكان لازم الأمراء الكبار – الجيبغا وطنبرق – يتصرفوا قبل ما الولعة تقوم وتاخدهم في السكة.

الأمراء حاولوا مع السلطان بالحسنى.. السلطان اتنرفز وراح جاي دابح حمامتين من حمامه الغالي وقالهم "والله لأكون دابحكم كلكم زي ما دبحت الحمام ده".. ومشي من المجلس قرفان وراح على شلة الأنس.. بدأ يفضفض ويقول إن العيشة أصبحت لا تطاق في ظل وجود الجيبغا وطنبرق وانه ناوي يدبحهم ويخلص منهم.

مين قاعد بيسمع؟

العصفورة.. علي الكسيح..

علي الكسيح مفوتش الفرصة وطلع جري على سيده الأصلي الأمير الجيبغا.. قاله الحق يا سيدي.. حاجي ناوي يعمل ويسوي فيك انت وسيدي طنبرق.. الجيبغا وطنبرق فاض بيهم الكيل.. راحوا متفقين مع باقي الأمراء وعلى قبة النصر عدل..

- انزل ياض يا سلطان.
- ياللا يا عيال يا هفأ.
- تعالى لو كنت راجل.. يا خاين الأمانة.
- عايز إيه ياض منك ليه.. امشوا بدل ما ارش عليكوا مية يا ولاد الكلب.

- عايزين سلطان تاني غيرك.
- ده عندها ياض منك ليه.. أنا مش هموت إلا على ظهر حصاني.

ونزل السلطان مع مماليكه بعد ما أخدته الجلالة.. وطبعا حصل المتوقع.. مماليكه باعوه ومفضلش حواليه إلا ٢٠ واحد اندبحوا قبله وفضل هو يترجى الأمراء انهم يمهلوه ساعة علشان يصلي.. الأمراء رفضوا وقالوله "فكيف استعجلت على قتل الناس.. ولو صبرت عليهم صبرنا عليك".

مات السلطان المظفر حاجي مذبوح زي حمامه اللي كان بيحط سلاسل دهب وأحجار كريمة في رجليه.. انفض مولد التحطيب وانصرف كل الصيع والالاضيش اللي كانوا ملمومين حواليه.. كل واحد رجع مكانه تاني تحت الكوبري علشان يشم كلة من تاني بعد ما راحت أيام العز.. مات بعد ١٥ شهر على العرش وهو يادوب ١٧ سنة بالعافية سنة ١٣٤٧م.

اتسلطن على مصر بعد كده أخوه بدر الدين أبو المعالي.. اللي نعرفه إحنا باسم السلطان الناصر حسن.. نسي الناس سيرة حاجي خالص وأيامه السودة وانشغلوا بالسلطان الجديد اللي بيبنيلهم تحفة معمارية هيحلف بيها العالم ل ١٠ قرون قدام.

طب وعلي الكسيح راح فين؟

رجع يستخبى عند سيده الأمير الجيبغا.. حاكم حاشية المظفر حاجي اتحط عليها بالجامد أوي.. بس يبدو كده إن علي الكسيح ريحته طلعت.. فيوم من الأيام اشتكاه أمير اسمه عبد العزيز العجمي.. ده يا سيدي كان من صحاب الأمير آق سنقر "واحد من ضحايا السلطان المظفر".. عرف العجمي إن علي الكسيح مستخبي عند الجيبغا.. فطلع علطول على الوزير منجك اليوسفي وقاله الحق.. صاحبك الكسيح مستخبي عند الجيبغا.

منجك مكدبش خبر.. أصل علي الكسيح كان ناصب عليه في كم مهول من الفلوس ودايما يضرب أسافين بينه وبين السلطان.. منجك كان عايش على أعصابه أيام المظفر بسبب الكسيح ده.. دلوقتي لفت الأيام وجه وقت الانتقام.

عمل إيه منجك؟

أول الكلام كان بيبدل عليه العبيد في الضرب بالمقارع.. يمسكه المملوك من دول ويفضل يضرب فيه لحد ما المملوك يتعب.. يقوم يستلم منه الوردية مملوك تاني لسه فريش ويكمل ضرب في الكسيح لحد ما عضمه اتكسر تماما.

بعد كده خلعوا سنانه وضروسه كلها واحد واحد على الصاحي كده في وقت مكانش فيه بنج.. لما كان يغمى عليه من كتر صراخ الألم.. كانوا يكبوا عليه مية علشان يفوق ويكملوا خلع في ضروسه.

بعد ما سنانه خلصت.. سلخوا فروة راسه وبعدين سلخوا جلده كله في مية بتغلي.. سابوه يتسلق ويتسلخ لحد ما مات ومنجك واقف يتفرج عليه ويفكره بأيام الموكوس المظفر ويضحك.. مات علي الكسيح في ابريل ١٣٤٨م. بعد موت سيده المظفر ب ٦ شهور بالظبط.. مات متبهدل آخر بهدلة وكأن موته بيعلمنا رسالة مهمة أوي..

رسالة بتقول ان اللي طبل وصقف ورقص للظالم.. مصير الدنيا تلف عليه وهيتحاسب زيه زي اللي قتل وسرق وظلم بالظبط..

حتى لو كان عامل فيها بريء ورايح يشجع المنتخب في كأس العالم ([٤]).



(٤) كتبت هذا الموضوع بمناسبة سفر مجموعة من أهل الطبلة والمزمار إلى معسكر المنتخب القومي للتشويش عليهم دون وجه حق تحت مسمي دعم المنتخب

السباهية.. ودونا فداهية

بيحصل كتير أوي إنك تكون رايح مكان وتلاقى رجلك حدفتك على مكان تاني خالص.. أو تكون بتقرأ علشان معلومة معينة فتلاقي نفسك غرقت في موضوع تاني ملوش علاقة بالموضوع الأولاني.. حاجة كده عاملة زي فيديوهات اليوتيوب.. تبدأ بفيديو للشيخ مبروك عطية وتختم بفضيحة الفنانة حليمة بولند على شواطئ البحرين شاهد قبل الحذف.

مش كده؟

الكلام ده ممكن يحصلك لما تنزل تعمل جولة على رجلك في صحراء المماليك أو شارع المعز.. وممكن يحصلك برضه لو زرت مقابر الإمام الشافعي.. وتأكد مليون في المية انه هيحصلك لو مديت رجلك شوية من عند الإمام الشافعي وكملت مشي ١٠ دقائق لحد ما توصل مسجد ومقام أهم فقيه مصري.. الإمام الليث بن سعد "سيدي الليثي".

وانت واقف في حضرة مقام الإمام الليث هتلاقي غرفتين دفن.. واحدة على اليمين فيها مقامين.. الإمام الليث وابنه شعيب.. وغرفة على الشمال فيها قبر منفرد كده وحيد بدون أي علامات.. لما سألت عنه خادم المقام قالي ده يبقى قبر "عويس باشا".. واحد كده من الأكابر.

عويس باشا!!

أنا متكعبلتش في الاسم ده قبل كده..

يطلع مين عويس باشا ده؟

أدور في سلقط في ملقط عن عويس باشا ده.. مش لاقي خالص.. مفيش حد يا جدعان في أيام العثمانيين كان اسمه عويس ده خالص.. بتجنني جدا المقابر المميزة المجهولة دي.. بحس إني على وشك كشف أثري هيقلب الدنيا.. بتغاظ أوي من اللي يسيب شاهد القبر من غير بيانات.. هتخسر إيه يا أخي.. إيه الغتاتة دي.. اكتبلنا أي حاجة اقله نقرأ الفاتحة للمتوفى. حاجة تفرس.

ما علينا..

خرجت من عند سيدي الليثي وأنا دماغي في حاجة تانية خالص.. أنا كنت رايح علشان أتأكد ان مفيش قبر لعمرو بن العاص في المنطقة دي.. وان البوست اللي عمال يلف الفيس بوك كل شوية ده ما هو إلا كذب في كذب.. وان قبر عمرو بن العاص، حتى هذه اللحظة، ما زال مجهولاً لم يجرؤ أثري واحد على إعلان مكانه.

ونسيت بقى الزيارة دي وركزت في موضوع تاني مهم أوى.. موضوع عن تاريخ العسكر في البلد دي.. حاجة لوز الجوز الحقيقة.

إيه بقى يا سيدي الموضوع؟

صلي على النبي..

حكينا قبل كده عن دخلة سليم الأول العنيفة على مصر.. وحكينا عن تكوين الجيش والحامية العثمانية في مصر لما سليم مشي.. وحكينا كمان عن قانون "نامة مصر" اللي تم صياغته ووضعه وتفعيله أيام العظيم جدا سليمان القانوني.. قلنا ان الجيش في مصر كان بيتكون من وجاقيات "فرق".. كل وجاق في حدود ٢٠ ألف عسكري.. وكل وجاق كأنه دولة مستقلة بذاته له دفترداره وسنجقه وأميره وداواداره.. وحكينا كمان ان سليم الأول كان منوفي الطبع محدش قدر يضحك عليه.. علشان يضمن ان الحكم في مصر ميخرجش بره ايده.. لما مشى من مصر تعمد انه يسيب السلطة في مصر موزعة بين ٣ طوائف..

- الوالي العثماني "البكلربكي"
- أمراء المماليك
- أمراء الوجاقيات

وعلى جمب كده أيام سليمان القانوني بقى في هيئة اسمها الديوان العام وظيفتها مراقبة كل دول ورفع تقارير "أسافين" بصورة دورية للسلطان عن كل طايفة فيهم.. تمام زي ما كل طايفة بتعمل مع الباقي.. وبكده السلطان يكون على علم وبينة بكل هفوة بتحصل في البلد.. ويضمن انه ماسك "سيديهات" قذرة عن كل واحد.. قوم اللي يفكر يقل عقله.. يلبه علطول.

اديني في السياسة وأنا احبك يا فننس أوغلو باشا.. ده غالبا كان مؤلف أغاني بس في العصر العثماني.

طيب..

مشي الحال على كده.. والي عثماني يروح وييجى مكانه والي تاني.. في الأيام دي الوالي مكانش بيقعد سنة وللا سنتين.. لا.. كانت الأمور مستقرة والوالي ممكن يقعد ٤ و٥ و٦ سنين كمان.. البلد ماشية كويس والزراعة والخراج زي الفل.. الجماعة فوق مشغولين بنفخ أوروبا.. والجماعة تحت مشغولين بنفخ المصريين في الضرائب وتهليب الفلوس والمصريين كالعادة معندهمش إلا دعاء سخفوا منه وأهانوه بالتقاعس بيقولوا فيه "ليس لها من دون الله كاشفة".

والكاشفة دي كانت سنة ١٥٨٧م بالظبط.

في السنة اللطيفة دي جالنا مصر والي جديد من اللي بييجوا عاملين فورمة الساحل ويروحوا على بلدهم بكروش كبيرة من كتر النهب.. كان قاضي في اليونان وبعدين رقوه وخلوه والي على ايالة مصر.. السلاطين العثمانيين كانوا كل فتره كده يعملوا حركة تنقلات.. يشيلوا بتاع الشام ويودوه اليمن.. ويودي بتاع اليمن لحلب وبتاع كريت ينزلوه مصر.. وهكذا.. بحيث ان الوالي بيفضل والي فترة طويلة بس على كذا مكان.. اهو ميلحقش يكون مراكز قوى ينفصل بيها عن الدولة.. وفى نفس الوقت ميكرهش الدولة لأنه لسه في منصب الولاية.

الوالي ده كان اسمه إيه يا أبو حميد؟؟

"أويس باشا" يا معلمي.

أيام أويس باشا كانت وجاقات الجيش متقسمة بين فرق موجودة في العاصمة تأمن الوالي والأسواق والأحياء التجارية.. وفرق تانية موجودة في الأقاليم والأرياف علشان نفس المهمة.. فرق الأرياف دي كان اسمها "السباهية".

السباهية كانت بتتكون من ٣ وجاقيات أساسية:

- وجاق الجمليان
- وجاق تفكجيان
- وجاق الشركس

هل ممكن تتخيل معايا وضع إقليم زي دمنهور أو رشيد مثلا؟؟

كاشف بيلم الضرائب.. ويعتبر نائب الوالي.. الفلوس اللي كان بياخدها من الناس كان اسمها المال الميري.. العمدة ومحاسيبه وكبارات البلد.. أمراء المماليك "أصحاب الأراضي والإقطاعات الضخمة".. وجاقات الجيش "السباهية".

المال الميري أو ضرائب الحكومة مكانتش هينة ولا سهلة.. بيحكي شمس الدين بن أبي السرور البكري مؤرخ الفترة دي ان ضرائب قرية صغيرة في أشمون "منوفية" وصلت ١٠٠ ألف بارة "البارة كانت تساوى نصف دينار فضه".. وده مبلغ يعتبر مهول في الأيام دي.

هل السباهية بقى فضلوا واقفين يتفرجوا كده على الفلوس وهي رايحة جاية بين الوالي والكاشف وأمراء المماليك؟

والنبي ده اسمه كلام!!

لا طبعا.. السباهية مسكتوش.. هما كمان قالك إحنا عاوزين ضرائب.. وبدأوا بالفعل في جمع الضرائب من الفلاحين ومن التجار بدون اذن الوالي ولا الكاشف.. الضريبة تتجمع مرة واتنين وتلاتة وينعل أبو التخين.. معاهم سلاح بقى.. المفروض انهم حامي القرية.. بقوا بقدرة قادر حراميها.. مكدبوش خبر واخترعوا ضريبة جديدة فرضوها على الناس سموها "الطلبة".

طب نسبتها أد إيه؟

تتجمع إزاي؟

تروح لمين ومين يلمها؟

كل ده بمزاج أمير السباهية.. الصبح يقول الضريبة تبقى كذا.. الناس تدفع.. واللي ميدفعش.. يعلقوله الرمانة.

إيه يا عم ده.. ده على كده يبقى أمير السباهية دي كأنه الوالي بتاع البلد دي!!

بالظبط.. وعلشان كده حصل الاكشن اللي جاي ده.. بس خليني كمان ازيدك من الشعر بيت عن محاريق السباهية دول.

سنة ١٥٨٦م بدأت حمولات كتير أوي من الفضة تورد على مصر من أمريكا مع قوافل التجار.. بالمنطق كده.. العملة فضة والفضة كترت.. يبقى إيه؟

البنك بيطبع كل يوم مليون ورقة من ام ٢٠٠ جنيه بدون غطاء ذهبي.. يبقى إيه؟

يبقى تضخم وقيمة العملة تقل والأسعار تغلى.. اللي اشتريته امبارح ب ٢٠٠ جنيه.. تشتريه النهاردة ب ٤٠٠ جنيه.. يعني فلوس البلد بتقل ومبقاش في فلوس كفاية ندفع بيها مرتبات وجاقات الحامية العثمانية.. والعسكر في موضوع الفلوس معندهمش يامه ارحميني.

قوم يا مؤمن عسكر السباهية مستنوش لحد ما الأزمة تنفك.. أوام أوام راحوا شغالين في الضريبة الجديدة على الفلاحين.. والضريبة بلغت في بعض المناطق ضعف المال الميري.. وبلغ بيهم الفجور انهم كانوا بيلموها من بعض الناس بصورة شهرية.

وطبعا زي ما إحنا عارفين ومتعودين ان مصر مفيهاش فساد ولا فيها ان صاحب المال سلطان ولا صاحب السلاح قرصان.. علشان كده جبتلكوا الحتة دي "باختصار" من كتاب "كشف الكربة في رفع الطلبة" للمؤرخ المعاصر بن أبي السرور البكري.. نقراها سوا ونشوف عسكر السباهية عملوا إيه في المحروسة غيرلم الضرائب.

"وقد كانت مصر قبل الآن قد اختل أمرها وضاقت معيشة أهلها وكثر شرها وضعف فلاحيها وانفصمت عراها وخست أموالها ونقصت غلالها.. وقد اتسع الخرق وزاد الحرق، وأصل ذلك كله قيام طائفة من الجند المكتوبين في بلاد الأرياف مع كشاف الأقاليم فأظهروا العناد وسعوا في الأرض الفساد وأحدثوا شيئًا سموه الطلبة على الفلاحين في سائر الأقاليم وعلى العمال والبطالين.. صاروا يضاعفونها في كل سنة إلى ان زادت على أموال المقاطعات ولم يقدر أحد على المرافعات.. وذلك غير ما صد منهم من الأمور الشنيعة والأفعال الفظيعة من الزنا واللواط جهارا نهارا.. لا يتناهون عن منكر فعلوه ولا يأتمروا بأمر ولائهم ولا يمتثلوه.. صار لهم اسمطة وأطعمة غالية تحمل إلى خيامهم آناء

الليل وأطراف النهار.. وهددوا الكشاف بالقتل ان قصروا عن ذلك.. بل ويسلكون بهم أسوأ المسالك.. وصار المسلمون في أمر مريج ليس منه خلاص.. صار أرذل الجند وأقلهم مقلدا بالسيوف والمسقطة والسروج بالذهب منقطة والخيول المسومة والمرد الجميلة المزينة راكبين خلفهم أجود الخيول في لهو وفرح لا يزول.. وان وجدوا ولدا مقبول الصورة أخذوه من والديه بالسيف.. وقد حصل منهم غاية الحيف من الفسق بنساء الفلاحين وافتضاض أبكار بنات المسلمين"

يا لهوي!!

طب النسوان مالها يا ولاد الكلب!!

ولما فيها نسوان.. لزومها إيه "الخوجنة" وأمور حاتم رشيد دي جتكوا القرف.

أويس باشا معجبوش الكلام ده.. مش دين وأخلاق وكده.. أستغفر الله.. هو طبعا فاهم ان ليلة لم الفلوس لا تجوز إلا من الوالي.. لم الفلوس معناها قبضة حديد ماسكة البلد لا تصح إلا من الحاكم الشرعي.

وقام أويس باشا شرب ازازتين بيريل.. وأصدر قرار ان ممنوع تحصيل الطلبة دي بأي شكل من الأشكال.

وعينك ما تشوف إلا النور يا مؤمن..

السباهية حطوا عليه حطة في منتهى الغباوة.. لموا بعض بربطة المعلم ونزلوله القاهرة مخصوص.. دخلوا عليه القلعة دخلة رفاعي الدسوقي.. قتلوا القضاة بتوعه ورؤساء الجند ومعاهم ٣ من أخلص أتباعه.. الراجل ملحقش ياخد نفسه.. راح واخد ديله في سنانه وهرب من الديوان على الحرملك علشان يستخبى ألا يجيبوا رقبته هو كمان.

سكتوا السباهية؟

لا طبعا.. ودي تيجي..

حرملك يعني مزز.. يعني جواري ولحمة بالهبل.. يعني دخلوا وراه الحريم وشلوحوا في سكتهم كل النسوان اللي قابلتهم.. سرقوا كل غالي ونفيس ودمروا وحرقوا كل حاجة ممكن تتحرق وتتخرب.. حتى المصاحف يا مؤمن.. حرقوا منها

٣ كانوا يعتبروا تحف لا تقدر بمال.. مش عارف بقى رد فعل النسوان كان إيه.. رجالة بالهبل صحتهم زي الحديد أهم.. وأنا كعاطف اتبسطت.

طيب خلصنا يا سباهية وللا لسه في تاني؟

لا.. لسه في تاني..

وهما بيظبطوا الحريم لقوا عيل صغير بيعيط.. اسمك إيه ياض.. أنا ابن أويس باشا يا أنكل.. خد يا دنجل.. اشحن الواد ده على أوضة الفئران لحد ما أخلص حتة الشغل اللي فأيدي دي.. هيا يا فتاة.. اصعدي إلى فوووووووق.

واخدوا ابن الوالي رهينة..

وعلشان توزيع الشغل.. كان في حبة في القلعة زايطين مع الحريم.. وحبة بيقتلوا في عسكر أويس باشا.. وحبة طايحين في البلد وتجارها.. بقى انت مش عاوزنا نلم ضريبة؟؟ طيب.. أدينا هنلم كل الفلوس.. ياللا... خراب يا دنيا خراب.

اعتقد ان عسكر السباهية كانوا متعمدين يعملوا كده.. كانوا عاوزين يقولوا لأويس باشا ان كان في البلد دي كبير.. يبقى إحنا الكبير ده.. انت مجرد شرابة خُرج تيجي تلملك قرشين تاخد بيهم شقة في إسطنبول هايتس وتمشي.. إنما الأصل والكل في الكل.. هما إحنا.. العسكر.

ويصرخ أويس باشا من جوا الحرملك ويبعت مراسيل مع قضاة العسكر اللي فاضلين.. إحنا آسفين يا سباهياااااا.. حقكوا عليا يا رجالة.. أنا راجل وسخ إني فتحت بوقي.. أبوس ايديكم رجعولي أبني.. ميبقاش خلقكوا ضيق كده يا رجالة أنا بهزر.

يسكتوا السباهية؟؟

لا برضه..

طاحوا في كل واحد خدم مع أويس باشا.. كتخدا الجاويشية.. الدفتردار.. قضاة العسكر اللي كانوا بيدوروا عليهم واحد واحد بالاسم.. خدوهم كلهم على مسجد السلطان حسن.. آل يعني هنقعد ونتفاهم وكده.. وذبحوهم كلهم هناك وعلقوا رؤوسهم في ميدان الرميلة "القلعة حاليا" وقره ميدان "الميدان الأسود

يعني.. ده كان جمب القلعة بحذا السور علطول" وعلى باب زويلة.. وطبعا مع كل حادثة من دول.. أويس باشا يحط في الأرض شوية زيادة لحد ما نخ تماما.

السباهية افتروا أوي بزيادة.. درس للوالي.. والوالي اللي بعده.

خضع أويس باشا لكل شروط السباهية اللي رجعوا أفجر من الأول.. أويس باشا مات بعد الحادثة دي بسنة.. جتله سكتة قلبية كانوا زمان بيسموها "الغمة".. الراجل أتهزأ أوي يا ولداه لما فكر يرفع عينه في العسكر.

خلصت امتى بقى غمة السباهية دي؟

بعد عشرين سنة بالتمام والكمال.. سنة ١٦١١م على ايد محمد باشا معمر.. اللي اتعرف باسم قول قران باشا.. يعني محطم العبيد. في بقى مخطوطة كتبها واحد معاصر اسمه ابن الوكيل اسمها "تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب".. الأصل بتاعها في مكتبة رفاعة الطهطاوي في سوهاج وموجود منها نسخ في دار الكتب.. مكتوب فيها ان أويس باشا مات سنة ١٥٩١م بالغمة واندفن بجوار الإمام الليث بن سعد في القرافة الصغرى.(٥)

إيه ده!!

جمب الإمام الليث!!

يعني اللي أنا شفته في مسجد سيدي الليثي ده مطلعش عويس باشا بتاع الأكابر زي ما خادم المقام قالي؟

آه.. طلع أويس باشا.. أول واحد "حاول" يقول للعسكر لأ.

عظيمة يا مصر يا أرض اللواء.

تقدر متصدقش كل الكلام ده وتعتبرني بهرتل..

وتقدر كمان تتأكد من الكلام ده من مصادرة الموجودة في آخر الكتاب.

(٥) مقالات غير منشورة للدكتور حامد محمد حامد



مدفن أويس باشا – مسجد الإمام الليث بن سعد – الإمام الشافعي

العرق يمد

تعالوا نخطف رجلنا لحد شارع باب الوزير.. المشوار مش بعيد.. هننزل ميدان القلعة نتنح شوية قصاد مسجد السلطان حسن ومسجد الرفاعي.. بعدين هنمشي بحذا سور القلعة أد ٥٠٠ متر كده لحد دار المحفوظات المصرية.. بعدين نكسر شمال في شارع سكة المحجر.. كمان ٥٠٠ متر نعدي فيهم مسجد ايتمش البجاسي والبيمارستان المؤيدي ومجموعة طراباي الشريفي والرائع جدا آق سنقر والخائن جدا خاير بك.. بعدهم على الشمال هنقف نقرأ الفاتحة للست خوند بركة "أم السلطان شعبان" علشان كانت ست جدعة وكلها أخلاق.. بعدها نبدأ الحكاية علطول.

شايفين البيت اللي جمب مسجد أم السلطان شعبان علطول ده؟

اهو ده يبقى بيت الرزاز..

نبدأ منين حكاية البيت وملاكه؟

من حكومة عاطف صدقي.. وللا من أيام بونابرته وفلوس المصريين السهلة اللي سفحها من غير مجهود.. وللا من قبل كده كمان؟
وللا نجيب من الأول خالص؟

من أيام السلطان العثماني.. سليم الأول.



خلينا نتفق ان دخلة سليم الأول على مصر كانت دخلة عافية وغشومية.. الراجل طاح في المماليك علشان يضم مصر للحكم العثماني.. كانت خلافة وللا احتلال وللا بتنجان.. مش ده موضوعي النهاردة.. أنا بس مهتم إننا نعرف ان سليم الأول وهو خارج من مصر ساب فيها عساكر للحماية.. غدر المماليك مش مضمون ولا العدو البرتغالي ناوي يسكت.. يبقى الأفضل يا أبو سليمان إننا نسيب حاميات عثمانلية في مصر علشان تخوف اللي يفكر يقرب.

صح كده.. عاش يا سيد الناس.

الحاميات أو فرق العسكر دول كان اسمهم "أوجاقات".. جمع كلمة أوجاق..

طيب العسكري اللي شغال معاهم بقى يبقى اسمه إيه؟

أوجاقلي.. والعساكر كان يشار إليهم بلقب "الوجاقلية".. لو تعرف حد النهاردة لقب أسرته "الوجاقلي".. كده انت عرفت أصله وفصله.. الكلمة نفسها بالتركي معناها الموقد.. الوابور أو البوتاجاز يعني بلغة الأيام دي.. بس مع الوقت بقت بتستخدم للإشارة إلى البيت الكبير أو الخيمة وكده يعني.

كان حجمها أد إيه الفرقة دي أو الأوجاق ده؟ وكان في مصر كام أوجاق؟

الأوجاق الواحد كان فيه تقريبا من ١٠ إلى ٢٠ ألف عسكري.. الكلمة حرفها المصرين بعد كده إلى وجاق علشان الهمزة كانت رخمة شوية.. الوجاق ممكن يبقى مشاه أو بحرية أو فرسان أو مختلط.. مش فارق.. المهم ان كل تجمع فرسان من دول كان له قائد وداوادار وخازندار وروزنامجي ودفتردار.. كأنه دولة صغيرة تقريبا.. بس دولة داخل الدولة.. هنتأكد من الملاحظة دي لما نعرف ان مصر العثمانية كان فيها حاجة اسمها الديوان الأكبر.. افتكاسة كده عملها سليمان القانوني في قانون نامة مصر.. كانت وظيفته مراقبة الوالي.. أوقات كتير كان الديوان بيوقف المراكب السايرة للوالي لو خطرف أو خرج عن الخط.. بس أوقات اكتر كان الديوان والوالي حبايب وسمن على عسل حيث ان الخير المصري كتير ويكفي الكرش الاسطنبولي الكبير والكروش النونو اللي جاية تخطف وتجرى من مصر بسرعة قبل ما أوده باشا يقلعهم عباية الولاية.

أعضاء الديوان الأكبر كانوا علماء ورجال دين وظباط كبار.. وممثل عن كل أوجاق من أوجاقات الجيش.

تخيلنا بقى يعني إيه قائد أوجاق في الجيش؟

يعني حاجة كده زي الثوري أحمد شفيق أو المناضل سامي عنان.

سليم الأول ساب في مصر ٤ وجاقات عسكرية.. وسليمان ابنه زود عليهم كمان ٣ علشان جيش مصر يبقى في ٧ أوجاقات في عين العدو.

- وجاق المتفرقة.. دول عسكر كل شيء ان كان من الحرس السلطاني.

- وجاق الجاويشية.. وده في الأصل كان صف ضباط جيش سليم الأول.. كانوا بيلموا جباية الخراج من المصريين.
- وجاق جمليان أو الهجانة.. راكبي الجمال.
- وجاق تفكجيان.. دول كانوا عسكر مسئولين عن نقل السلاح.. البنادق والمدافع تحديدا.
- وجاق الانكشارية.. دول ال ٧٧٧ بتاعة العثمانيين.. كان بيطلق عليه وجاق مستحفظان لأن كتير منه بقوا محافظين.
- وجاق الشركس.. ده زوده سليمان القانوني.
- وجاق العزب أو العزبان.. ده هو وجاق بحرية في الأساس.. أول أمراؤه كانوا عزاب.. ومن هنا خد اسمه..

وجاق العزبان ده بالتحديد كان له دور كبير في الحياة السياسية في مصر والاقتصادية لاحقا.. كان مسئول عن تأمين قلعة الجبل.. وباقي القلاع في عموم مصر.. وبعد كده الأغوات بتوعه بقوا من أكبر تجار البلد في تداخل واضح جدا بين السلطة والمصالح والفلوس والحركات.. العصر ده سماه عمنا الجبرتي.. عصر الأغوات.

علي راس كل وجاق في قائد عام.. القائد العام ده كان يلقب ب "أغا".. نركن المعلومة دي على جمب شوية.. نعرف بس ان كلمة وجاق اتعممت وبقت تطلق على كل طايفة من طوايف الحرف في مصر اللي أصبح فيها اكتر من ٧٠ طايفة صنايعية مختلفة زي وجاق "طايفة" الجواهرجية ووجاق الرزازه والنحاسين وهكذا.

شكلها كانت أيام رخاء اقتصادي إلى حد ما..

طيب جميل.. إيه بقى؟

الأحداث دي كانت في نص القرن ال ١٧.. على كرسي السلطنة في إسطنبول قاعد السلطان محمد الرابع "آخر الفاتحين".. وعلى كرسي الولاية في مصر قاعد رضوان بك "صاحب القصر المهمل جدا الموجود في الدرب الأحمر".. الدنيا آخر قلق في إسطنبول بسبب الانكشارية.. والدنيا آخر فل في مصر بسبب محصول الرز اللي من كتره اتعمل له مخصوص "مقاطعة كيالي الأرز المبيض"..

دي حاجة كده زي وزارة أو نقابة وظيفتها التحكم في أي نشاط يخص الرز اللي كان مركزه شونة الرز في دمياط ورشيد والإسكندرية وبولاق وطنطا.

محصول الرز ده هو محور حكايتنا النهاردة.

في الوقت ده مصر كانت مقسومة عسكريا إلى معسكرين كبار..

- معسكر الفقارية.. المماليك اللي تبع الأمير لاجين بك الفقاري.. ده اللي ماسك الزراعة وخراجها وضرائبها في مصر.
- معسكر القاسمية.. وده اغلبه من عسكر الانكشارية اللي تبع قاسم عيواظ بك.. شيخ البلد في الوقت ده.

يعني السلطة في مقابل الفلوس.. الصراع بينهم كان دامي جدا.. يخرجوا الصبح يروحوا منطقة اسمها قبة العزب.. يفضلوا يقتلوا في بعض.. وبليل كل واحد يروح بيته.. والناس في المحروسة ملهاش أي علاقة خالص بالخناقة دي.

لاجين بك الفقاري كان عنده مملوك يبدو عليه الذكاء.. كان تعبان وفقير ومحيلتهوش حاجة آه.. بس ابن لذينا ذئب.. بعته مرة علشان يلحق مصيبة جسر شرمساح "في دمياط حاليا".. ونجح نجاح باهر.. لم الناس حواليه وشغلهم كلهم لحساب الأمير.. وفى الآخر خد اللي حيلتهم ورجع على القاهرة والكل سعيد ومبسوط.

المملوك ده كان اسمه خليل ابن عثمان الخردجي.. شغلته الأساسية كانت تجارة الخردة.. بس ربنا فتحها عليه من واسع أوي لما رضي عنه سيده لاجين بك الفقاري.

إزاي بقى؟

لاجين بك كان مسئول جمع الضرائب من الفلاحين.. الضرائب مكانتش رقم ثابت.. كان يحددها الملتزم على كيفه.. يبعت للوالي نصيب الدولة "نصيبه يعني" والباقي تبقى حسنته وعرقه من الشغلانة دي.. كان طبيعي جدا ان يبقى في مشاكل كتير بين جامعي الضرائب وبين الناس.. علشان كده كان دايما عندهم سلاح.. وعلشان كده بالذات لاجين بك اختار خليل ابن عثمان للمهمة القومية دي.. مهمة جمع الضرائب.

خليل ابن عثمان متعرفش عمل إيه في السنة دي ولا أمه كانت داعياله إزاي.. اللي حصل يا مؤمن انه لم الضرائب من الناس من هنا.. والأسعار ولعت من هنا.. قوم شوية الرز اللي كان بياخدهم من كل فلاح بتراب الفلوس.. فجأة بقوا كنز ولا كنز على بابا.. وبدل ما يدخل على سيده الأمير لاجين معاه كام كيس حصيلة الضرائب.. دخل عليه وهو شايل صناديق مليانة على عينها دنانير دهب من حصيلة ضرائب جمعت من الفلاحين المصريين.. والغريبة بقى ان الناس كانت مبسوطة زي ما قال الجبرتي.. ومفيش انهار الدم ولا القلق بتاع كل مرة ده.. عمنا الجبرتي لما كتب عن خليل أغا الرزاز كتب كلام كويس بالرغم من الأزمة الاقتصادية الطاحنة في الوقت ده.

لاجين بك طار من الفرحة بالمملوك العفريت ده.. من كتر فرحته بيه مسكه منصب رسمي في منتهى الأهمية.. خليل ابن عثمان الخردواتي بقى أغا أوجاق عزبان.. الأوجاق اللي في الأصل كان عسكري وتحول بعد كده إلى شركة كبيرة شغالة في كل حاجة في البيزنس والتجارة والزراعة وتحصيل الضرائب.. كل حاجة.. إلا العسكرية.

مش كده وبس.. لا.. ده كمان خلاه أمين مقاطعة كيالين الرز في عموم بر مصر المحروسة كله.. يعني هو المسئول عن كل ما يتعلق بالرز وتجارته وزراعته وضرائبه في مصر.. واتغير لقب خليل ابن عثمان إلى خليل أغا الرزاز.. نسبة إلى مهنته في تجارة الرز.. وبدأ سلسال الرزازه أو الرزازين في مصر.

وطبعا منصب أغا اوجاق عزبان اتورث من خليل إلى ابنه مصطفى كتخدا.. ومن مصطفى كتخدا إلى ابنه أحمد كتخدا.. والاوجاقيات بقت بزرميط والبزرميط زاد وغطى وطفح الكيل في مصر والمصريين شقوا الهدوم من الفقر لحد ما جه نابليون ولقى الاوجاقيات دي ما هي إلا شوية تجار هليبة معاهم سلاح رسمي.. تجار دايسين في أي مصلحة من فوق كرسي السلطة.. خليل ابن عثمان الرزاز اتجوز وخلف ولدين ورثوا منه منصب الأغا..

- الأمير حسن كتخدا الرزاز.. أبو الأمير رضوان صاحب سبيل وكتاب ومدفن رضوان أغا الرزاز في الإمام الشافعي.
- الأمير مصطفى كتخدا الرزاز.. أبو الأمير احمد كتخدا الرزاز.. أحد العلامات البارزة في الأسرة دي.. وهنقول ليه دلوقتي.

طبعا ده مش توريث ولا حاجة.. دي كلها كانت حوادث عارضة.. سامحنى يا كريم.

المهم بقى يا سيدي ان أحمد كتخدا الرزاز ده كان ماشى في شارع باب الوزير - شارع البكوات والأكابر أيام العثمانيين- راح متكعبل في بيت كبير أوي بناه السلطان قايتباي لمزاجه الشخصي وأمور الهنكرة والمسخرة والهيء والترتر والشخاليل.. احلو البيت في عينه.. راح جاي مبرشط عليه وجدده وضمه على بيت تاني جمبه علشان يبقى البيت كله مساحته ٣٤٠٠ متر متقسمين على ١٩٠ اوضة يا ما شاء الله.

وبقى البيت اسمه بيت الرزاز.. نسبة إلى مجدده الأمير أحمد كتخدا الرزاز.. اللي هو يبقى حفيد خليل أغا الرزاز.. ويبقى الجد الأكبر للدكتور محمد أحمد الرزاز.. وزير المالية الأسبق في حكومة دكتور عاطف صدقي سنة ١٩٨٦.. اللي سموها حكومة شلة باريس لأن اغلب أعضاءها كانوا صحاب دكتور عاطف من أيام الجيزة.. لا مؤاخذة.. من أيام ما كان المستشار الثقافي للسفارة بتاعتنا في باريس.

دكتور محمد الرزاز يبقى الراجل اللي أبدع وتألق وعملنا في مصر قانون الضريبة على المبيعات سنة ١٩٩٢.. العواجيز أمثالي يفتكروه بكلمة "لا مساس" اللي كان ماسكلهالنا ليل ونهار.. هو يقول لا مساس من هنا.. ومصلحة المواطن يتصب فيها من هنا.. بس للأمانة.. الصب مكانش عالي أوي زي دلوقتي.. أيام لما كان اسم الدكتور الرزاز على الشلن والبريزة كان ممكن بجنيه تأكل بيتك أسبوع.

دكتور محمد الرزاز مات في أعظم يوم في تاريخ مصر كله.. يوم ٢٨ يناير ٢٠١١.. يوم جمعة الغضب.

ياااااااااه..

بقى الرزاز بتاع ضريبة المبيعات يبقى حفيد الرزاز بتاع ضريبة الرز!!!

اتاري الجدع طالع لجده بالظبط.. حريف في لم الضرائب.. في مصر بس العرق يمد لسابع جد.

خد بقى حتة الكوميديا دي..

كتبت المقال ده في يونيو ٢٠١٨.. حصل بعده تعديل وزاري في الأردن.. كلفوا واحد اسمه عمر الرزاز بالوزارة.. بعد شوية بحث وتقصي عنه عرفت انه من نفس أسرة الرزاز الشركسية اللطيفة.. كلمت صديق أردني بهزر معاه وأقوله خد بالك ان الرزازة دول مش بيعرفوا يعملوا حاجة إلا انهم يطلعوا فلوس من الناس.. الضرائب لعبتهم وأكل عيشهم.. ضحك وقال والله بنفضح عرضون.. يلعن راس أبوه ان فكر يعمل هيك.. مو ناقصة ضرائب يا زلمييييي.. باللهجة الأردنية الثقيلة.

بس يا سيدي.. يا دوب قفلت الشات من هنا ونلاقي أخبار زيادة الضرائب في الأردن من هنا.

هاهاهاااااای..

إيه الناس دي!!!



بيت الرزاز– شارع باب الوزير

مركب الضراير

من وقت لآخر غصب عني بحن للمكان والبلد اللي نشأت وكبرت فيهم..

رغم إنها بقت قاسية على أهلها..

ورغم إنها طردت وبتطرد وبتاكل عيالها بجفاء وغباء وقسوة..

إلا ان في القلب شيء يدفعك دايما للحنين..

شيء يدفعك تلف وترجع.. تشتاق وتنزل زيارة.. تلف وتدور في الشوارع والحواري القديمة.. تضحك في وش اللي بينصب عليك.. تشتري أكل من واحد على عربية كبده انت لسه شايفه ماسك شبشبه بنفس الايد اللي عملك بيها السندوتش.. تحبها رغم إنك عارف انها هتموتك فيوم من الأيام.. يا مقهور.. يا مغدور.. يا في السجون مقبور.

تمام زي المدمنين..

لا قادر تبعد.. ولا قادر تكمل معاها..

غصب عني لقيتني برفع السماعة وأكلم حد من الأصدقاء اللي أثق فيهم واطلب منه يروح مكان معين ويصوره ويبعتلي صوره اتونس بيها.

إحساس بالاطمئنان ان المكان لسه موجود.. طب والله حاسس إني وحشته زي ما هو وحشني..

يمكن مفيش صلة ولا نسب يربطني بيه..

بس بحبه..

ووصلتني الصور..

وسرحت مع الذكريات..

ذكريات أمير خد صابونة بكل ما تحمله كلمة الصابونة من رغاوي.

يمكن أسم الأمير مش معروف.. مش كتير يعرفوا انه يبقى أخو الخديو إسماعيل.. وانه كان من الجيل اللي اتعلم في فرنسا.. ولما رجع مسك وزارة المعارف وبعدين المالية وبعدين العدل.

ممكن ناخد نظرة سريعة كده على معاهدة لندن ١٨٤٠م. الجزء اللي بيتكلم عن نظام الحكم في مصر تحديدا.

اتفق كل الأطراف ان محمد علي ميطلعش من كل الليلة دي بلا أي حمص.. قالوله ان عرش مصر هيبقى مستقل عن الحكم العثماني.. ويركب على العرش أكبر الذكور من ولادك يا أبو طوسون.. متزعلش إنك خسرت الحرب.. كفاية إنك خلعت مصر بالضالين من العرش العثماني.

مشيت الأمور زي الفل.. إبراهيم باشا مات.. عباس حلمي اتقتل.. سعيد مات بالسل.. وجه الدور على إسماعيل علشان يمسك الحكم. وأبو السباع كان مختلف شوية عن اللي قبله..

حابب يطور مصر ويقلبها أوروبا.. كان اقرع ونزهي ومعهوش فلوس.. نفخ البلد واستلف.. بنى حاجات حلوة كتير.. شقلب حال مصر مخصوص علشان زيارة الكراش بتاعه "الإمبراطورة أوجيني بتاعة فرنسا".. الحدوتة دي معروفة وقديمة.. وكمان عارفين انه دفع رشاوي بالهبل للسلطان عبد العزيز اللي كان أول سلطان عثماني يزور مصر بعد ما دخلها سليم الأول دخلة سليمان الناجي على الحرافيش.

وعارفين كمان ان شارع عبد العزيز في العتبة اتعمل واتسمى مخصوص باسم السلطان وتبركا بزيارته الميمونة.. مش كده وبس.. إحنا عارفين كمان ان تمن الزيارة دي مع كبشة الرشاوي اللي اتشفطت في كرش السلطان كانت علشان يقلب مصر خديوية ويبقى الحكم في مصر لأكبر أبناء إسماعيل مش محمد علي... قديمه يا عم أحمد.

السؤال بقى.. مين دفع تمن حركات سماعين القارعة دي؟

أخوه.. ابن أبوه.. الراجل المتعلم المتنور.. الأمير مصطفى فاضل باشا.

إزاي؟؟

تعالوا نشوف.

إبراهيم باشا كان عنده ٦ حريم ربنا يديله الصحة.. منهم اتنين كانوا ناقر ونقير والنفسنة بينهم وصلت لشد الشعور والردح البلدي.
خوشيار هانم قادين.. ام الخديو إسماعيل باشا.

الفت هانم قادين.. ام الأمير مصطفى فاضل.

إسماعيل باشا بنى قصر آخر أبهة في منطقة الحصوة "العباسية حاليا" علشان أمه الست خوشيار هانم صدرها كان بينقح عليها شويتين والحكماء نصحوها بالجو الجاف.. في نفس الوقت علشان هو راجل بحبوح ويحب الأبهة.. بنى قصر تاني على الكورنيش في جاردن سيتي.. المنطقة اللي زمان كان اسمها تل العقارب ونضفها عثمان بك البرديسي علشان محمد علي يعلقها منه مقشرة في الأخر بعد ما لبسه مع المصريين في ليلة الضرائب والمصريين جرسوه في الشوارع.. عارفين إحنا قصة ايش تاخد من تفليسي يا برديسي.

إسماعيل كان ابن بار بأمه.. سمى القصر الجديد قصر الوالدة باشا.. وتروح خوشيار هانم تسكن هناك وتسيب قصر الزعفران.

مين سكن طيب في قصر الزعفران؟

ضرتها.. الست ألفت هانم قادين وابنها الأمير مصطفى فاضل.

وعلشان نفسنة النسوان.. ألفت هانم قررت انها تجدد العفش كله.. صرفت ١٥ ألف جنيه بحالهم على العفش ولا انها تنام على سرير نامت عليه ضرتها.

أعوذ بالله من النسوان ونفسنتها..

بس خوشيار هانم مش هفأ.. دي ولية قادرة برضه..

تعمل إيه بقى علشان تنكد على مصطفى فاضل وأمه؟

راحت جاية متبرعة بالقصر كله باعتبارها صاحبته.. بعفشه الجديد وسلطاته وبابا غنوجه للميري.. الجيش يعني..

ومين يا جدعان يقدر يقول للجيش لأ.. كانوا قالوا عليها إخوان علطول.

وسابت الست وابنها القصر وهى بتتحسر على الكنب الإيطالي المذهب.. بدل ما كان مجلس البرنس مصطفي فاضل والفت هانم وكبارات الأمراء.. بقى مهزأة..

خوشيار هانم ١

الفت هانم ٠

طبعا الموضوع ده معداش على البرنس مصطفي كده.. الراجل راح جايب مهندسين فرنساويين وسن سنانه وحل كيسه على الأخر وراحوا بانيين قصر عظمة على عظمة على عظمة على عظمة.. حاجة كده يحكوا ويتحاكوا عليها لعشرات السنين قدام.. تمام زي ما الأمير محمد علي توفيق بنى قصره الفخم أوي في الروضة بالعند في الملك فاروق.. مصطفي فاضل بنى قصر أفخم من قصر إسماعيل بالعند في إسماعيل وأمه.

خوشيار هانم ١

الفت هانم ١

بعد ما القصر كمل وبقى تحفة معمارية.. الفت هانم لاحظت ان في مسجد قديم ومتهدم لازق في القصر علطول.. مسجد بناه زمان أوى أمير مملوك اسمه بشتك الناصري.. ده كان راجل ديله أنجس من النجاسة النجسة.. قالوا عنه انه "كان لا يعف عن مليحة أو قبيحة".. مش عاتق ابن الجزمة.. فنفس الوقت كان حبيب قلب الناصر محمد بن قلاوون من جوا لأنه تربية الذئب الكبير أوي الأمير قوصون الساقي.

الفت هانم عملت إيه بقى؟؟

أمرت بتجديد المسجد وتوسيعه علشان يليق بجوار قصر البرنس مصطفي فاضل.. ولى العهد وخديو مصر المقبل.. مش كده وبس.. الولية مستكفتش انها برشطت على المسجد.. لا.. دي كمان راحت مسمياه على اسم ابنها.. مسجد الأمير مصطفى فاضل.

العب يا زمالك.. الماتش ولع على الأخر.

الفت هانم ٢

خوشيار هانم ١

خوشيار هانم وابنها طبعا مش هيسكتوا على كده.. أبو السباع فضل ماسك ودن السلطان عبد العزيز. ياكل فيها اشاعات ويدفس في كرشه رشاوي..

اشاعات فوق ورشاوي تحت.. لحد ما خد منه فرمان بأن الحكم يبقى لأكبر الذكور في أسرة إسماعيل بدل أسرة محمد علي.

أوبا..

يعني توفيق بدل مصطفى فاضل.

الجون ده كان في المقص من سماعين الحقيقة.. مصطفى فاضل كان هيطق من الغيظ.. خد بعضه هو وأمه وسابوا مصر لإسماعيل وراحوا عاشوا في فرنسا.. إسماعيل مسكتش برضه.. فضل يضغط على مصطفى فاضل ويضايق فيه.. وكل خناقة يطلع واخد منه حتة من أطيانه.. ومصطفي فاضل فلوسه زي الرز ومش بتخلص.. ومن كترها.. بدأ يدفعها لأي حاجة أو أي معارضة تنكد على السلطان عبد العزيز انتقاما منه على نذالته معاه في ولاية العهد.

طيب خوشيار هانم تسكت على كده؟

أبدا..

الولية من كتر نفسنتها من ضرتها ومن شهرة مسجد الأمير مصطفي.. قررت انها تبنى مسجد أكبر وأفخم وأضخم منه يندفن فيه نسل جوزها الفارس المغوار إبراهيم باشا..

وراحت على أغلي منطقة فيكي يا مصر.. ميدان الرميلة بالذات "ميدان القلعة حاليا".. وقصاد افخمها أثر في البلد كلها لحد النهاردة.. وراحت راميه حجر الأساس لمسجد من أجمل وأفخم مساجد العالم اندفن فيه ابنها ونسوانه وعياله لحد آخر ملك من سلالة محمد علي.

مسجد الرفاعي.

وتمر الأيام.. تسقط الملكية وتيجي الجمهورية.. مصر خرجت من حفرة الفقر والمرض وتوريث الحكم علشان تلبس في حيط الفقر والمرض وأشياء أخرى.. قصر الأمير مصطفي فاضل تحول إلى المدرسة الخديوية الثانوية العسكرية "الموجودة حاليا في درب الجماميز في السيدة" الناس نسيت خالص ان مسجد الأمير مصطفى فاضل كان اسمه مسجد الأمير بشتك الناصري أبو ديل نجس.. كام سنة كمان ويجى السلطان حسين كامل يقعد على العرش ويظهر في

مسجد الأمير مصطفى مقرئ شاب قالوا عن صوته أنه قيثارة السماء وقالوا إذا سمعته.. فكأنك تغترف من ثمار الجنة.

قارئ فضل يقرأ القرآن هناك ٣٠ سنة كاملة.. لحد ما مات الله يرحمه بسرطان الحنجرة.. مات من غير ما يسجل اغلب قراءاته على أسطوانات لاعتقاده ان التسجيل حرام.. قارئ لحد النهاردة صوته هو رمضان.. صوته مرتبط في الوجدان بقرب انطلاق مدفع الإفطار وشق الصيام بالماء.. صوته هو بل الريق زي ما وصفه عمر طاهر.

القارئ المرحوم.. الشيخ محمد رفعت..

سبحانك يارب.. شوف المسجد بدأ بمين وعدى على مين وانتهى بمين؟

اللهم إنا نسألك حسن الخاتمة.





مسجد مصطفي فاضل باشا – السيدة زينب

السلطان معرفش

تراهني ان في مكان في مصر ممكن تدخله في يوم بالنهار.. تخرج منه بعد ٣ أيام وانت عامل زي المجاذيب؟

الرهان على إيه؟؟؟ سمك؟

شغال.. أنا موافق.

اركب أي مواصلة وانزل في طريق الأوتوستراد في اتجاه حلوان.. قصاد كوبري منشية ناصر بالظبط.. ادخل من أي شارع يمين.. هتلاقي نفسك في شارع اسمه شارع الخاصة الملكية.. انت دلوقتي في نص الشارع.. على شمالك قبة افنديتا.. المدفن التحفة بتاع الخديو توفيق وسلالته.. وقصادك مدفن الأمير عثمان البرديسي وبعده مدفن أمير البحر قبطان سفينة الملك فاروق.. حواليك مدفن أسرة الظواهري واللي منها ربنا يجعل كلامنا خفيف عليهم.

وللا أقولك.. سيبك من الشارع ده.. امشي علطول لحد آخر المقابر.. هتلاقى نفسك في شارع الملك المنصور عثمان.. على شمالك هتلاقى مقابر شهداء القوات المسلحة المصرية وما فيها من أسرار كانت هتودينى في داهية ووراها مسجد ومدرسة الناصر فرج بن برقوق.. على يمينك هتلاقى قبر الملكة ناريمان صادق "آخر ملكات مصر" وقدام شوية في نفس الشارع هتلاقى قبر الأميرة رقية حليم وبعده القبر الرائع المقفول شديد الجمال بتاع الأميرة شويكار.. وقصادهم مجموعة مهولة الحجم مهيبة الجمال اسمها مجموعة الأمير قرقماس.

وللا أقولك.. بلاش تنزل الأوتوستراد.. خلينا في صلاح سالم أحسن.. انزل عند كوبري الفردوس قصاد مسجد الشرطة بالظبط..

شايف القبر الفخيم أوي اللي على ناصية شارع ده؟؟

اهو ده يبقى قبر احمد باشا حسنين.. رئيس الديوان الملكي أيام الملك فاروق وعشيق الملكة نازلي.. الملكة الأم.. الولية المجنونة اللي جنى عليها زوج جلف وجعر زي الملك أحمد فؤاد الأول.. تصدق هو.. مفيش عليه أي بيانات آه.. بس

صدقني هو قبر أحمد باشا حسنين.. اللي هو عزت أبو عوف في المسلسل.. تعبت كتير أوي علشان اعرف المعلومة دي بس مش هتغلى عليك.

متركزش كتير في قبر كبير أوي وفخيم على الشارع علطول مكتوب عليه محمد باشا علام.. ده كان وزير زراعة وله حدوتة كبيرة أوي هحكيهالك بعدين.. أنا جايبك هنا علشان حاجة تانية.

ادخل جوا شوية في الشارع.. في قبة كبيرة أوي باينة من عندك اهو قاعد تحتها بياع بطيخ اسمر وغلبان غلب الدنيا وواقف في المكان ده من ٢٣ سنة.. أرمي عليه السلام ده راجل طيب.. وكمل جولة.

اللفة جوا المنطقة دي شكلها هتطول وللا إيه؟

شكلي هكسب الرهان يا اكسلانس واحنا لسه بره مدخلناش جوا.. تستاهل.. علشان تاني مرة تصدقني لما أقولك ان مصر فيها بلاوي. المهم بقى.. إيه حكاية القبة الكبيرة أوي دي؟

أقولك يا سيدي.



ممكن ترجع معايا ٥٠٠ سنة بس لورا؟؟

نرجع لأيام دولة المماليك الشركس.. المماليك البرجية.. مماليك الأبراج.. دولة المماليك الثانية.. كلها أسامي صح بتوصف عصر من عصور المحروسة بدأ بالسلطان القوي الظاهر سيف الدين برقوق سنة ١٣٨٢م وانتهى بالسلطان الشهيد الأشرف طومان باي سنة ١٥١٧م. والحياة ما بين سلطانين مليانة خوازيق ربنا العالم بيها.

إحنا دلوقتي في مصر أيام السلطان العظيم.. الأشرف قايتباي.. أيوه هو بتاع قلعة إسكندرية حضرتك.

مصر أيامه كانت حلوة ومهابة ومرهوبة.. جيش واقتصاد وفلوس وعمارة ودلع.. العثمانيين بجلالة قدرهم كانوا بيبصوله بإكبار ومهابة ولا حد فيهم يجرؤ

يخطي ويعدي كده من جمب البلد بدون أذن السلطان قايتباي.. حتى لما هرب منهم أمير معارض واحتمى بالسلطان قايتباي في قلعة إسكندرية.. محدش فيهم قدر يقول للسلطان "بم" علشان عاوزين رقبة الأمير العثماني "جم".

بس لو كان قايتباي نجد المسلمين في الأندلس.. كان التاريخ كله اتغير.. ياللا.. متجوزش عليه إلا الرحمة.

السلطان قايتباي مات.. زي ما كل الناس بتموت.. وزي ما جرت العادة ان ابن العالم فاسد.. أمراء المماليك مسكوا الحكم لابنه الناصر محمد مكانه كرامة لأبوه.. بس الناصر محمد مكانش زي أبوه خالص.. رغم ان أبوه كان شديد أوي في تربيته ليه.. الأمر اللي يقول ان العيال دي رزق مهما اجتهد الأب في التربية.

الناصر محمد كان عيل فاسد وطايش.. مصاحب الصيع والأوباش وضارب السلطنة بالشبشب.. ملوش في أي حاجة إلا الهنكرة والحشيش.. ضيع كل اللي عمله أبوه وانتشر الفساد والضعف في عصره.. حتى انه اتألش من على العرش مرتين.

أول مره خاله وقف جمبه ودعمه.. بس المرة التانية الموضوع كان كبير أوي والموجة عالية.. الأزمة المرة دي كانت مع الأمراء الكبار زي العادل طومان باي "ده غير الأشرف طومان باي شهيد العثمانيين" وزي الأمير ازبك بن ططخ "مؤسس حديقة الأزبكية" اتابك الجيش لمدة ٣٠ سنة من أيام قايتباي الكبير.. كل واحد من دول حدوتة لوحده.. حدوتة معادها مش دلوقتي.. خلينا في خلع السلطان محمد بن قايتباي اللي بقى اسمه في مدة حكمه الثانية الأشرف محمد بن قايتباي تيمنا بلقب أبوه.

الأمراء ضجوا من أفعاله.. اجتمعوا في يوم سنة ١٤٩٨م واتفقوا كلهم على قتله وتولية "خاله" مكانه.. الخال طبعا ميقدرش يقف قصاد كل دول.. وافقهم من سكات على قتل ابن اخته أبو ١٧ سنة وانه يا عيني مضطر يمسك مكانه وأمره لله.

الخال والد صحيح.

اهو الخال ده موضوع الحدوتة بتاعة النهاردة..

الخال ده يبقى أبو سعيد قنصوه الأشرفي.. كبير الدوادارية أيام السلطان قايتباي الكبير.. واضح من اسمه اهو "الأشرفي" انتسابه للسلطان الأشرف قايتباي.

أول ما اتقتل السلطان الأشرف أبو السعادات محمد بن قايتباي.. الأمراء المغلولين بايعوا خاله أبو سعيد قنصوه بالحكم حسب الاتفاق.. تتجلى السينمائية في يوم المبايعة في الأمير أزبك مثلا اللي كان أول واحد يوطي على الأرض يبوسها بين رجلين السلطان الجديد وخلع عليه لقب الظاهر بينما هو أول واحد مقتنع انه أحق بالحكم من الجدع الهفأ ده.

وتتوالى البيعات من الأمراء واحد ورا التاني.. كلهم بينافقوه وكلهم بيحلفوله اليمين وفى دماغهم خطة قتله بالفعل.. لكن كل واحد فيهم طمعان في منصب هتجيبه بوسة على الأرض بين رجلين السلطان كما جرت العادة.

الأمير أزبك مثلا استمر في منصبة في اتابكية الجيش..

الأمير طومان باي "العادل" بقى كبير الدوادارية والاستدارية..

الأمير جان بلاط بقى جمدار "لبيس السلطان"..

وهكذا.. فضل أبو سعيد يوزع في المناصب الكبيرة على الأمراء علشان يأمن كرسيه.. في حقيقة الأمر هو كان ضعيف جدا وهفأ للدرجة اللي خلت المؤرخ المعاصر ابن إياس يكتب عنه انه " كان مسلوب الاختيار مع الأمراء".

في الواقع ابن اياس مكذبش.. قنصوه كان ضايع خالص رغم انه كان في شرخ الشباب.. بس شكل الحكم كده مكانش في دماغه.. كان أي حد يسأله عن أي شيء يقولهم "بخشي.. بخشي" يعني معرفش بالتركي.

طيب الموقف ده هيعدي على المصريين كده؟

أبدا.. دول اشتغلوا عليه سف وتأليس وألش حتى ان لقبه في الشارع بقى "السلطان معرفش".

السلطان معرفش ده يا أسيادنا ملوش أي ذكر في التاريخ خالص إلا بشوية عملات عليها لقبه ودعاء كده بيقول "السلطان عز نصره".. نصره على مين وهو قعد على الكرسي سنتين و٣ شهور قضاهم كأنه قاعد على خوازيق؟؟

ما علينا.. هو حد هيراجع وراه.. الورق ورقنا والدفاتر دفاترنا.

فضلت مصر ماشية كده.. ممزقة بين سلطات ٣ أمراء كبار "أزبك وجان بلاط وطومان باي العادل".. كل واحد فيهم عاوز الكرسي وكل واحد فيهم بيخطط بطريقته علشان يألش السلطان وباقي الأمراء ويستفرد لوحده بعرش المحروسة.. وكأنك يا مؤمن بتتفرج على مسلسل لعبة العروش بالظبط.. لحد ما طومان باي العادل قرر انه يعمل لعبة كده يحرك بيها المية شوية في بحيرة الحكم الراكدة.

طومان باي اتفق مع نائب الشام "قصروه" على إعلان التمرد على السلطان في مصر.. وصلت الأخبار دي للسلطان أبو سعيد قنصوه اللي وقع في حيص بيص.. هيعمل إيه في مواجهة نائب الشام القوى وكبير الدوادارية اللئيم؟

طبيعي انه يلجأ إلى اتابك العسكر.. الجنرال جان بلاط.. طبعا جان بلاط استغرب جدا ان طومان باي يعمل الحركة دي وهو موجود.. اتارى طومان باي مرتب كل حاجة واتفق مع جان بلاط على خلع أبو سعيد وتوليته هو مكانه.

الاتفاق ده دخل دماغ جان بلاط وعمل نفسه عبيط مش شايف اللي بيحصل في البلد.. وانتشرت شائعة في البلد بتقول ان السلطان قنصوه أمر بالقبض على طومان باي اللي كان وقتها في الصعيد.. الشائعة دي قال عنها ابن اياس انها كانت السبب في زوال ملك قنصوه.

ليه بقى؟

طومان باي "العادل" مكانش شوية في البلد.. في حقيقة الأمر كان هو الحاكم الفعلي اللي ماسك كل القرارات وكل مصالح الأمراء.. يعني لو وقع.. كلهم هيقعوا وراه.. علشان كده الشائعة لما انتشرت.. الأمراء اجتمعوا من نفسهم وراحوا محاصرين السلطان جوا القلعة علشان يقتلوه.. يتغدوا بيه قبل ما يتعشى هو بيهم.

الكلام ده وصل للسلطان.. اللي قام في التو واللحظة استخبى في جناح الحريم.. اتنكر في زي جواري القصر وخد ديله في سنانه وقال يا فكيك.. ومن يومها لحد النهاردة محدش عارف هو راح فين بالظبط.. المسكين بني القبة الكبيرة دي علشان يندفن فيها.. والله اعلم اندفن فين بعد ما هرب.

يا دين النبي.. سلطان البلاد.. لقب وقلعة وعملات وجواري وجيش.. وفى الأخر يهرب متنكر في فستان حريمي!!

أخص على كده.

طيب حصل إيه بعد كده يا عم أحمد؟

طومان باي "العادل" اللئيم قالك أنا لو قعدت على الكرسي دلوقتي.. جان بلاط هينفخني.. الجو ملبش والدنيا قلق.. الأفضل نقعد جان بلاط على الكرسي يتلهى فيه شوية.. وبعدها لكل حادث حديث خصوصا ان معايا كارت كسبان اسمه الأمير قصروه نائب الشام.

وفعلا.. تم له ما أراد.. قعد جان بلاط على الكرسي واتسمى الأشرف أبو النصر جان بلاط.. بس صاحبنا بتاع الشام قالك مع نفسك ياض منك ليه.. سلطان مين يابو سلطان.. أنا هنا السلطان قصروه سلطان الشام.. أنا رئيس جمهورية نفسي.. وهو من بعيد كده بيغمز لمين؟

للعادل طومان باي.

طومان باي "العادل" فضل يزن في ودان جان بلاط علشان تطلع حملة من مصر تأدب المتمرد قصروه بتاع الشام.. جان بلاط كان اتابك الجيش يوما ما ويقدر يعمل كتير.. بس مكانش مدي خوانة للعادل طومان باي.. اللي أول ما السلطان خرج للشام.. بعت فرق من مماليكه من وراه علشان تساند الأمير قصروه ضد السلطان جان بلاط.. وصل جان بلاط للشام من هنا.. القضاة خلعوه من هنا وكمان حبسوه في سجن قلعة دمشق وفى ليلة قمرية حلوة كده بعتوله رسل الموت المماليك علشان يخنقوه ويحطوا نهاية لحياته الحافلة بعد ١٨ شهر على العرش بالظبط.

طيب ومصر حصل فيها إيه؟

اتنصب طبعا الأمير طومان باي على العرش وبقى اسمه السلطان الملك العادل طومان باي الأشرفي.. ويا سبحان الله يا آخى.. الأمير المتمرد في الشام أعلن الطاعة والولاء للسلطان الجديد.

عبط إحنا يا مماليك..

ابن اياس بقى بيقولك ان العادل طومان باي ده كان كويس والنسوان بتحبه.. حتى لما كان بيمشي في أي شارع.. الحريم كانت تقف في المشربيات وتزرغط فرحانة ان السلطان شرف حارتهم بالمرور.. المفروض ان رد فعل الحريم ده يكون مؤشر انه راجل اونطجي.. هي الحريم كده.. دايما يحبوا الراجل الأي كلام ويرجعوا يقرفونا بالخواطر بعد ما ياخدوا الصابونة المتينة.

طيب..

قعد أد إيه العادل طومان باي في الحكم؟؟

ميييييت يوم يا مؤمن.. وان هاندرد دايز بالصلاة على النبي.. حاجة مسخرة المساخر يعني.. بعد كل الترتيب ده.. الراجل يا دوب فطر كام مرة في القلعة وابتدى يتخلص من سلم صعوده للحكم وعلى رأسه الأمير قصروه متمرد الشام.. اللي دعاه لزيارته وغدر بيه وحبسه في سجن القلعة وبعدها خنقه.

سبحان الله..

قصروه مات مخنوق في السجن بنفس الطريقة اللي عملها مع جان بلاط بالظبط لما خنقه وهو في سجن قلعة دمشق..

طومان باي اتخلع بالقوة من الأمراء وعلى رأسهم أمير عجوز أسمه قنصوه الغوري.. بالظبط زي ما دبر خلع أبو سعيد قنصوه..

الأشرف أبو سعيد قنصوه هرب من القلعة متنكر في هدوم الحريم.. العادل طومان باي هرب من الحصار بتاع قنصوه الغوري متنكر في هدوم الحريم برضه.. بس الفرق هنا ان الأمراء عتروا فيه وذبحوه.

قنصوه الغوري مسك الحكم وركبه بتخبط في بعض.. ابن اياس بيحكي انه قال للأمراء أبوس ايديكم بلاش.. ولما اصروا قالهم طيب.. لو كرهتموني.. اخلعوني بس من غير دم.. سيبنى اعيييييييييييييييييش

"بصوت إبراهيم خان كده في فيلم دائرة الانتقام"

وكما تدين تدان.

الجدع ابن اياس ده شاف بلاوي.

المهم بقى أني لما سألت الراجل بتاع البطيخ عن اسم القبة دي إيه.. قالي دي قبة الغفير[٦].. أصل كان عايش فيها غفير ميري بيحرس الآثار أيام الخديو اسماعين.. واتسمت القبة على اسمه "قبة الغفير" والمنطقة كلها بعد كده بقى اسمها ترب الغفير بعد ما كان اسمها زمان صحراء المماليك.

- طب ومين اللي بني القبة دي يا عم جمال؟
- سلطان من أيام المماليك اسمه السلطان مخابرش
- إيه!!! قصدك السلطان الملك الظاهر أبو سعيد قنصوه الأشرفي قايتباي!!!
- وأنا اعرف منين يا أستاذ.. انت شايفنى مدرس آثار.
- لا مؤاخذه.. شكرا يا عم جمال.. شقلي بطيخة تكون حمراء كالجحيم ومسكرة كالعسل ومرملة كصحراء التيه.

بائع البطيخ يعرف تاريخ اكتر من نص أهل المحروسة دي.



[٦] توجد قبة الغفير في مواجهة مجموعة الأمير قرقماس وقبر الأميرة رقية حليم ومدفن الأميرة شيوه كار.. في نفس الشارع يوجد مدفن الملكة ناريمان صادق ومقابر شهداء القوات المسلحة



قبة الغفير – صحراء المماليك

جوازة بالعافية

والدي الحبيب..

عندما تقرأ سطور تلك الرسالة.. أكون قد تزوجت بالفعل من رجل اختاره قلبي.. أرجوك لا تحاول البحث عني.. فلقد تركت عالمكم المزيف وذهبت في رحلة للبحث عن السعادة في صحبة من أحب.. أرجوك دعني أذهب.. فأنا لم أعد تلك الفتاة الصغيرة الطائشة.

ابنتك المعذبة..

س.س



هما مش بيكتبوا كده في الأفلام؟

تخيل نفسك أب أفنى عمره في تربية أولاده.. ٢٠ سنة أو يزيد بتشقى وتتعب وتجري ورا رزقك وأكل عيشك من مكان لمكان ومن بلد لبلد..

تخيل نفسك بتسهر الليالي تمرض عيل سخن وللا تقعد متنح بالشهور زي المجاذيب وانت بتفكر في مستقبل عيالك..

تخيل نفسك ضحيت بأيام شبابك وحبست نفسك لواحدة بس بدل ما انت كنت بتاع كل الستات.. تخيل نفسك قررت تقضي أيامك في تلبية طلباتها هي وعيالها بدل ما كنت عايش حياتك بالطول وبالعرض.. تخيل نفسك طالع بأكياس طلبات.. نازل بأكياس زبالة.. تخيل نفسك راحت منك كل مصادر سعادتك وبقت سعادتك الأولى في خبر زي "الواد عمل حمام لوحده النهاردة" أو "البنت عدى عليها خراط البنات وبقت صاروخ".. تخيل إنك نسيت نفسك وأحلامك وطموحاتك وتحولت إلى ماكينة لا تهدأ ولا تكل ولا يفترض بها ان تمرض لأي سبب بس علشان تحقق طلبات أولادك..

تخيل إنك بتحرم نفسك من الأساسيات علشان أولادك يستمتعوا بالكماليات.. تخيل نفسك شمعة كل يوم بيتحرق منها سنتيمتر علشان ولادك يزيد في أطوالهم سنتيمتر وفى أوزانهم كيلوجرام..

أحسب كده انت كسبت كام وفاضل معاك منهم كام.. وتخيل ان كل ده انت صرفته على العيال وأمهم..

بص لشعرك الأبيض وتخيل ان كل شعرة من دول تساوي أيام طويلة كنت بتخاف فيها على أولادك من الهوا الطاير..

وبعد ده كله..

تخيل إنك صحيت الصبح لقيت ورقة زي اللي فوق دي على ترابيزة السفرة..

تخيلت؟

اتحرق دمك وغضبت؟

حسيت بألم في كتفك الشمال وكرشة نفس مع رغبة في القيء مع شوية عرق بارد كده على وشك؟

بسرعة حاول تطلب الإسعاف.. دي أعراض أزمة قلبية هتجيلك أكيد لو لا قدر الله قريت الورقة دي.. الورقة دي ممكن نعتبرها أسوأ جزاء لأب على أبوته.. تخيل ان دي ممكن تكون مقابل إنفاق سنين عمرك في تربية من لم تصن أبوتك وتحفظ وقارك وهيبتك قصاد الناس ولا حتى احترمت حبك ليها وخوفك عليها.

يا حفيظ يارب.. الواحد دمه فار من السيرة بس..

طيب ليه يا عم أحمد الأب مش الأم؟؟ هو يعني الأب بيحب عياله اكتر من الأم؟

أكيد لا.. بس النساء أغلبهن عاطفيات.. تهتم الأم ان بنتها تتجوز جوازة يجيلها فيها شيء وشويات أكتر من بنت خالتها أو بنت جارتها أو البنت اللي هي فرس السباق الآخر معاها عموما.. بينما الأب يبحث لبناته عن جوازة يكون فيها العريس نفسه شيء وشويات علشان يشيل من فوق دماغه هم البنت.. لكل

قاعدة شواذ طبعا وإلا من رحم ربى وكل كلام الاستثناء اللطيف بتاع الجماعة اللي بيحبوا دايما يخرجوا بره الموضوع بنقاط ملهاش لزمة.

صحيح يا أخي.. العيال مذلة مجبنة مبخلة..

رغم ان بنتي ما زالت بتحارب علشان تكمل من العمر سنة.. إلا إني شايف نفسي مرمي على الأرض فاقد النطق أو مشلول على كرسي لو حصل معايا كده فعلا..

احفظ بناتنا يارب.

في أيامنا الحالية بسبب قوانين الأحوال الشخصية المشبوهة.. انت كأب "أو كرجل عموما" لا تملك إلا إنك تقول حسبي الله ونعم الوكيل وعليك العوض ومنك العوض يارب.. لكن زمان.. من ييجي ١٠٠ سنة وشوية كده.. كان ممكن تعمل حاجات كتير أوي..

كان ممكن تعمل زي الشيخ عبد الخالق السادات كده لما عمل مع بنته صفيه وجوزها الجورنالجي.. علي يوسف.



الموضوع كبير أوي يا جدعان..

لو حبيت اختصر الموضوع في كلمتين.. يبقى هقول ان بنت الحسب والنسب اتجوزت واحد "صايع".. وأبوها -بحكم المحكمة- أبطل عقد الجواز ونكد عليهم بالقوة.. بس لو قلت كده هبقى بعمل زي الشيخ كشك الله يرحمه لما حكي عن واحد سمج راح لعالم وهو بيتغدى وأصر يسمع منه قصة سيدنا يوسف.. فالعالم قاله بص يا ابني.. ده واحد تاه ولقوه.. قوم بقى زق عجلك.

بس لا أنا الشيخ كشك ولا حضرتك سمج علشان اختصر حدوتة مهمة زي دي في كلمتين.. ولا التاريخ أساسا يحب الاختصار.. ولا الموضوع نفسه من التفاهة علشان أقول زي ما أحمد بهاء الدين قال كده عنه في كتابه "أيام لها تاريخ".. انها قضية زواج.. لا غير.

الله يسامحك يا أستاذنا.. قضية زواج لا غير!!!

جانبك الصواب تماما أستاذنا الفاضل.. الموضوع مثير جدا.. وعميق جدا.. ومتشعب جدا جدا جدا.. مش مسألة جوازة واتنين اتقفل عليهم باب وشكرا.

لما واحد يموت مقتول.. ده خبر عادي بنشوفه كل يوم.. إنما مين قتل مين امتى وليه وعلشان إيه وفين وإزاي وبأي سلاح.. ده يبقى اسمه الحدث.. والحدث يتطور في أهميته على حسب ماهية المقتول أو القاتل أو سبب وكيفية القتل.

هو ده اللي يفرق..

حضرتك لما تتجوز.. محدش هيهتم بخبر جوازك إلا المزز اللي انت كنت واعدهم بالجواز وخزوقتهم.. إنما لما ابن الرئيس يتجوز مثلا.. لا بقى.. ده خبر قومي وعيد وطني واحتفال كوني..

أطراف الحدوتة دي ٣..

- علي يوسف "العريس"
- صفية السادات "العروسة"
- الشيخ عبد الخالق السادات "أبو العروسة"

ناخد بقى الليلة كلها كده من الأول علشان نعرف منين بيودي على فين ونقدر نوزن الموقف صح.. مدخلنا هيبقى عن طريق إجابة ٣ أسئلة..

أولا: مين هو علي يوسف؟

ثانيا: مين هو عبد الخالق السادات؟

ثالثا: إيه اللي حصل بالظبط؟

نبدأ بالسؤال الأول..

مين هو علي يوسف؟

من أكبر عيوب المؤرخين المصريين.. التطرف في سرد الأحداث وحشر الهوى الشخصي بالعافية كده في الحكم على الأفراد أو الزعماء أو الأحداث.. الأمر اللي يخليك في النهاية في حيرة من أمرك لو حبيت تعرف تاريخ.. هتلاقي نفسك واقع

بين مطرقة الأعداء وسندان المطبلاتية.. شوية تقرأ انه كان ملاك وشوية تانية تقرأ انه كان شيطان لا يتورع عن أكل الحرام.. حبه يرفعوه السماء ويسقطوا عليه من الصفات ما لا يجوز إلا للأنبياء والقديسين وحبة تانيين يخسفوا بيه الأرض ويحطوه في نفس المكانة مع راسبوتين.. فتلاقي نفسك في الآخر بتبذل مجهود مضاعف في مطالعة ١٠ أو ١٢ مصدر مختلف.. بس علشان تتأكد ان صاحب موضوع البحث كان طويل وللا قصير.

أول ما قرأت عنه كان من مذكرات جندي الحركة الوطنية المجهول.. المحامي محمد فريد.. الراجل قال ما يلي بالظبط في مذكراته اللي كتبها من منفاه في ألمانيا "اللهم اوعدنا يارب بمنفى زيه" في معرض سرده لأحداث العام ١٩١٣م.

"توفى الشيخ علي يوسف في ٢٥ أكتوبر بداء القلب عن نحو خمسين سنة فانهد بموته ركن النفاق والذبذبة".. وتعرض محمد فريد في سرد سيرة الراجل بأنه بدأ حياته "خدام" عند أديب من كبار رجال الحكومة اسمه رحمي بك.

يا حلاوة.. أول القصيدة نكد..

يا ريت نفتكر كويس كلام محمد فريد عن علي يوسف.. لأن هنرجعله تاني كمان شوية.

الكلام ده كان سنة كام يا عم احمد؟

سنة ١٩١٣م. سنة وفاة علي يوسف.

طيب جميل.

القاعدة معروفة.. ان كنت هتقرأ في التاريخ المصري من كتاب واحد.. يبقى تقرأ سوبر ميكي أفضل.. بدأت ادعبس وأدور على كتب تانية بتتكلم عن الشيخ علي يوسف.. ولقيت كلام تاني خالص – من شخصية معاصرة برضه لها وزنها - غير الكلام اللي قاله المحامي محمد فريد.

في كتاب رجال عرفتهم.. الأديب الكبير عباس محمود العقاد بيحكي سيرة علي يوسف بهيام وافتتان.. وصفه بالعصامي والمتفرد والمثابر والمجدد وكلام كتير كبير أوي.. من كلامه مثلا:

"ان علي يوسف كان يصنع صناعته الصحفية ليتعلمها الناس منه ولم يكن يتعلم تلك الصناعة على أساتذتها في الشرق والغرب.. ولا على أدواتها التي تمليها عليه"

وقال كمان وهو بيوصف هدوء واستكانة علي يوسف:

"وإنما هو مزاج أصيل فطر عليه هذا العصامي الناجح وعرفه من ذات نفسه فعرف ما خلق له مالم يخلق له من أول مسعاه".
طيب.. ده كلام عباس العقاد وكلام محمد فريد.. وكلاهما له وزنه.

في كلام تالت؟

في مثلا الياس زاخورا.. ده كان مؤرخ لبناني مهتم بتدوين سير الأكابر في مصر بنظام السبوبة والابتزاز.. يعني كان يروح للمليونير من دول يقوله شخلل يا بلدينا علشان اكتب عنك في موسوعة كبيره اسمها " مرآة العصر في تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر".. وعلى حسب ما يدفع المليونير.. تكون سيرته الذاتية في الموسوعة.. دفع حتة بخمسين يبقى سطرين وشكرا.. دفع فيلا في الساحل يبقى صفحتين تلاتة.. على أي حال.. هو رأي من ضمن الآراء.. الله اعلم إن كان علي يوسف دفع وللا لأ في مقابل ما كتب عنه في سرد الياس زاخورا اللي بدأ كلامه عنه وقال:

"ما كان أخلقني بالإسهاب في وصف صاحب هذه الترجمة والإتيان على جل ما اعلمه ويعمله الناس من فضله من كان له نصيبه من الأدب والعرفان وحظه من سمو المنزلة ورفعة المكان.. تنطلق في سبيل وصفة كل قريحة ويندفع في الثناء عليه كل لسان ولكن القليل من وصفه يدل على الكثير من فضله"

اذن هناك اختلاف في الآراء حول الشخص.. الثابت انه اتولد سنة ١٨٦٣م في قرية فقيرة جدا في سوهاج اسمها بلصفوره.. مات أبوه بعد ولادته بسنة واحدة وضاق الحال بأمه فاضطرت انها تهاجر بعيالها إلى بلد تانية اسمها بني عدي "مركز منفلوط في أسيوط" علشان الولد يربيه أخواله.

في موضوع نسبه.. ذكر الياس زاخورا إن نسبه ينتهي إلى الشيخ محمد شيخون الحسيني "من أعلام المتصوفة وله مقام كبير موجود في بلصفوره في سوهاج"..

زاخورا جاب المعلومات دي من سجل نقابة الأشراف الرسمي في مصر وان كان مفيش أي ذكر لموضوع النسب ده في أي تأريخ لسيرة علي يوسف حسب ما قرأت.

يعني الراجل اتولد وكبر في زمن الخديو إسماعيل.. شبابه كان في عصر الخديو توفيق.. بينما كانت سنين تألقه في عصر الخديو عباس حلمي الثاني.. بقول آخر.. كان معاصر وواعي تماما لبداية الاحتلال الإنجليزي لمصر سنة ١٨٨٢م. لأن وقتها كان عنده ١٩ سنة.

زي كل المتعلمين في الزمن ده بدأ علي يوسف تلقى الدروس في كتاب قريته لحد ما أتم حفظ القرآن الكريم كاملا وهو عنده ١٢ سنة.. ذكاء ونبوغ مبكر واضح اهو.. بعدها شد الرحال إلى القاهرة سنة ١٨٨١م علشان الخطوة الثانية.. وهي الأزهر طبعا.. بالرغم من وجود جامعات للعلوم المدنية في مصر في الوقت ده.. إلا أن الأزهر كان له مكانه خاصة في القلوب.. فلا يطلق على رجل كلمة عالم في الوقت ده إلا من كان خريج الأزهر.

درس علي يوسف العلوم الشرعية في الأزهر على أمل انه يبقى خوجة عربي أو قاضى شرعي مثلا.. ولو مفلحش.. يبقى يرجع قريته يتكسب من قراءة القرآن.. كمان التحق بمدرسة المعلمين.. إلا انه لم يتم الدراسة لا هنا ولا هنا.. لا حصل على شهادة العالمية من الأزهر ولا شهادة مدرسة المعلمين.. لا كمل دراسة العلوم الشرعية وأصبح عالم ولا درس العلوم المدنية وعرف لغات أوروبية تساعده على اقتحام المجتمع الخديوي ودي كانت إحدى النقاط اللي أخدها عليه الخديو عباس حلمي الثاني في معرض حديثه عن علي يوسف.

الفترة دي كانت مصر تخضع اسميا للدولة العثمانية.. تضاءلت تماما فكرة الخلافة الإسلامية وظهر مكانها تيار الاستقلال والثورية.. نجم المرحلة بلا منازع كان الشيخ جمال الدين الأفغاني وعروته الوثقى لسان حسان الثوريين الجدد.. فكان طبيعي إن علي يوسف يتأثر بأفكار الشيخ الثائر وان لم يحالفه الحظ في التلمذة على ايديه لأن الشيخ اتنفى من مصر سنة ١٨٧٩م. يعني قبل ما علي يوسف يوصل القاهرة بسنتين.

ومع ذلك قدر علي يوسف انه يبقى من أهم رجال الخديو في مصر ومؤسس ما يمكن أن يطلق عليه الحركة الصحفية المستقلة.. كان ذراع الخديو الأيمن ولسانه السليط على الانجليز وممارستهم في مصر.. قدر بمجهوده وكفاحه وأطنان من الطموح والمثابرة والذكاء انه يوصل لأعلى مكانة ممكن يوصل لها واحد في نفس ظروفه.. أصبح في يوم ما علي باشا يوسف حامل أعلى النياشين والأوسمة المصرية.. والعثمانية.

إزاي بقى؟

نشوف.



في الوقت ده كان الإعلام هو الصحافة.. والصحافة تتمثل في مؤسستين:

- جريدة الأهرام.. عاهرة النظام على طول الزمان اللي وصفت عرابي بالعاصي ونشرت صور احتفالات المصريين بدخول الانجليز لمصر ومجدت في الخونة من أمثال خنفس باشا ومحمد باشا سلطان.
- على التوازي.. قدر عميل إنجليزي - اللبناني فارس نمر باشا- انه يحصل على ترخيص بإنشاء جريدة جديدة اسمها المقطم تكون لسان حال سلطات الاحتلال.. مش بس كده.. ده اللورد كرومر كمان كان بيصرف عليها ويمدها بكل الأخبار والمواد الصحفية المختلفة.. حتى انها كانت بتنشر أحكام المحاكم قبل ما القضاة يعلنوها في الجلسات.. وأي صوت إعلامي معارض معروف مصيره.. يا إما الغلق يا المصادرة.. مع النفي والسجن لصاحبه.. ده إذا قدر من الأساس انه ياخد تصريح بإنشاء جريدة.

في الأزهر اتعرف علي يوسف على شخصية ذكية مثيرة للانتباه زيه.. اسمه احمد ماضي.. الاتنين مع بعض عملوا جريدة اسمها "الآداب" كانوا بينشروا فيها مقالات متفرقة بالإضافة إلى بعض محاولات شعرية من علي يوسف محققتش نجاح.. فقرر التركيز على شغلانة المخبر الصحفي اللي وضح انه كان

شاطر جدا فيها.. الدليل على كده هو انتشار الجريدة السريع جدا في خلال سنتين بس من إنشاءها.

نجاح التجربة شجع علي يوسف انه يقبل مساندة الحركة الوطنية ليه "مصطفى كامل" ويصدر أول جريدة معارضة يومية كبرى هي المؤيد.. وفى المؤيد.. بدأ علي يوسف يبني مكانته ويحقق أطنان طموحه خصوصا إن الشباب الثوري بيكتب عنده في الجريدة.. زي سعد زغلول ومصطفى كامل ومصطفى لطفي المنفلوطي وقاسم أمين.

أسلوب علي يوسف في الشغل كان مختلف.. مكانش بيعتمد على فكرة نقل الأخبار والعهدة على الراوي ودمتم.. كان بيبقى هو مصدر الخبر وصانع الأحداث.. كان بينزل ويتحرى الخبر بنفسه لحد ما يوصل إلى الحدث كاملاً.. وطبعا كان بيركز على أحداث معينة.. أحداث تعمل فراقيع.. عينه كانت على الخديو والقصر.. والخديو طبعا معروف انه ضد الانجليز.. بالتالي اخدت المؤيد صفة المعارضة من أول يوم أنشأت فيه.. ركزت على خصوم القصر وتناولت سيرتهم بالغمز واللمز.. الأمر اللي عجب الخديو جدا ولقى ضالته المنشودة في ضرب أعداؤه والانجليز من تحت لتحت في علي يوسف.

تحضرني هنا حادثتين مهمين جدا لا يصح أبدا تجاهلهم في ذكر سيرة علي يوسف أو التعريف بشخصه كصحفي.

الموقف الأول.. التعصب الديني ١٨٩١م

كسياسي محتل قذر.. أجاد اللورد كرومر اللعب بكل أوراق إضعاف أي مجتمع وبدأ اللعبة الأشهر للسيطرة على المجتمع المصري.. لعبة فرق تسد.. سلاح المحتل دايما.. حوّل أي مجتمع لفرق كلها تكره بعض وخليك انت الصدر الحنين علشان كله يجري يترمي في حضنك ويشتغل جاسوس على التانيين.. وتبقى انت الملاك الطاهر.

صحيت مصر فيوم على اتهام من اللورد كرومر إن هذه الأمة مصابة بالتعصب الديني وعداوة الأجانب.. وبدأ يشتغل على رجال الدين في الطوائف المختلفة علشان يلم أصوات تدعم فكرته.

عمل إيه علي يوسف؟

نزل الشارع ودخل المؤسسات واقتحم مجتمعات الأقليات المغلقة، سجل آراء كل الطوائف في مصر.. نذكر منهم مثلا..

"أشهد أنني ما شعرت قط في معاملاتي مع المصريين بأنني أعامل أناسًا يخالفونني في العقيدة" الخواجة ميماراكي اليوناني.

"إننا لا نشعر بهذا التعصب الذي اتهمت به الأمة المصرية اللهم إلا إذا كان التعصب موجودًا في غير الدائرة التي إليها معاملاتنا" الفرنسي ليونيه وكيل بنك الكريدي.

"إنني أفضل أن أمشي وحدي ليلًا في جهات السيدة زينب والنحاسين، على أن أمشي وحدي ليلًا في جهات مونمارتر بضواحي باريس" شكور باشا الإداري اللبناني.

" إن المصري أكثر إكرامًا للغريب من سائر الشعوب" إسكندر عمون المحامي.

"لا صحة لما يقال من وجود التعصب الديني أو الجنسي في مصر" باسيلي تادرس باشا.

اهو.. مسلمين ومسيحيين ويهود وعرب وأجانب..

كفاية كده يا كرومر وللا اجيبلك رأي المنايفة كمان؟

لا.. خد كمان.. أدي كلام الدكتور شمبلي شميل.. وده راجل ملحد.. ملوش في فيلم الأديان ده خالص.. الراجل قال "إن التعصب غير موجود في مصر على الإطلاق".

ولم علي يوسف كل الكلام ده في مقال.. وهوب على المؤيد.. واشرب يا كرومر. وكرومر في قصر الدوبارة بيولع.

الموقف الثاني.. قضية التلغراف ١٨٩٦م

الشيخ علي يوسف كان واقع في مزنق رخم.. كرومر مضيق عليه الدنيا جدا فيما يخص المصادر في الوقت نفسه اللي بيمد بيه جريدة المقطم بكل جديد.. فكان طبيعي إن علي يوسف يحاول يعوض الكلام ده بالعلاقات الشخصية في المواقع الهامة.. على سبيل المثال مثلا.. موظف التلغراف في مكتب الأزبكية.

قبل ما تستصغر أو تستهيف موظف التلغراف.. اسمحلي أقولك إن الوقت ده مكانش فيه موبايلات ولا تليفونات.. البرق كان هو الوسيلة الوحيدة لنقل الأخبار السريعة.. وتقع في ايد علي يوسف برقية بالفرنساوي مكونة من ٥٦٦ كلمة.. مرسلة من اللورد كتشنر سردار الجيش المصري في السودان إلى اللورد كرومر في مصر بتتكلم عن حالة الجيش السيئة والكوليرا اللي فرتكت العساكر والضباط هناك.

وطبعا نشرها علي يوسف في التو واللحظة في مقال بعنوان "أحوال الجيش المصري على الحدود" علشان يحرج موقف اللورد كرومر بزيادة.. فيتجنن اللورد كرومر ويبدأ حملة بحث محمومة عن مصدر تسريب الأخبار لحد ما قدر يعتر في الآخر على موظف اسمه "توفيق أفندي كيرلس".. كان هو المسئول عن استقبال البرقيات من السودان.. ويؤمر بتحويلهم الاتنين إلى النيابة.

غريب انت يا كرومر.. انت مش لسه قايل إن مصر فيها تعصب ديني وفتنة طائفية؟؟ طب إزاي بقى يتعاون توفيق كيرلس المسيحي ابن ملتك مع الأزهري علي يوسف علشان يخزوقوك؟

انت كذاب يا أبو كرومر.

طيب النيابة عملت إيه؟

وكيل النيابة كان تختوخ حبتين.. عنده شنبه مبروم يقف عليه الصقر وحاطط على عينه نظارة دهب بعدسة واحدة.. بدأ يسألهم وهما يجاوبوا.. لحد ما قفل الورق وكتب الآتي:

"أمرنا نحن محمد بك فريد وكيل نيابة عابدين بحفظ التحقيق في القضية موضوع الدعوى لعدم كفاية الأدلة"

اوبااا.. ليه القفش ده!!

فكرك كرومر هيسكت؟

لا طبعا..

أمر بنقل محمد فريد إلى الصعيد وراح مطنش كل القانون وقدم الجوز علطول على المحكمة الانجليزي.. تقوم المحكمة تحكم ببراءة علي يوسف وينطس توفيق كيرلس ٣ شهور حبس.. فيقوم كرومر يقفش ويطعن في الحكم.. فتقوم محكمة الاستئناف تعيد المحاكمة من تاني.. والمرة دي تحكم ببراءة الاتنين.. علي يوسف وتوفيق كيرلس.. ياللا يا عم كرومر.. اهبط بقى.

ويخرجوا الاتنين متشالين على الأكتاف والناس بتهتف في خارج المحكمة بحياة المؤيد وعلي يوسف.

اوعى الفحت..

اوعى تتبسط بهتافات المصريين.. نفس الناس اللي هتفت بحياته هي نفس الناس اللي لعنت سنسفيل أهله وحدفته بالبيض والطماطم بعد كده ب ٤ سنين بالظبط.

أما محمد فريد.. فطبعا معجبوش قرار النقل.. راح رامي الاستقالة في وشهم وراح اشتغل مع مصطفى كامل.. محمد فريد واقف في صف علي يوسف.. بيبرأه ويستقيل علشانه.. لا إله إلا الله.. أمال إيه اللي قلبه عليه خلاه يقول إن بوفاته انهد ركن النفاق والذبذبة؟

هنعرف حالاً.



سؤال بقى على جمب كده..

المحكمة انجليز.. والأخبار متسربة فعلا.. القضية متظبطة بالمقاس.. إزاي الاتنين أخدوا براءة كده؟

بسم الله الرحمن الرحيم.. الإجابة.. إبراهيم الهلباوي.

ياااااااا!!!

إبراهيم الهلباوي بتاع النيابة أيام دنشواي؟

ايون.. هو بعينه.. كان رجل بارع طليق اللسان.. حتى إن الناس لما كانت تستغلى لحمة اللسان.. كانوا يقولوا للجزار معترضين "ليه يا عم.. هو لسان الهلباوي؟".. وكان الواحد من دول يتخانق في الشارع مع واحد تاني ويقوله أنا هقتلك وأجيب الهلباوي يطلعني براءة.. وصل حب الناس وافتتانهم بيه إلى درجة إن القطر كان بيقفله مخصوص في غير محطته.. علشان ينزل أو يركب إبراهيم بك الهلباوي.. ومع ذلك.. مات منبوذ ومكروه والناس مش ناسياله إن لسانه فيوم من الأيام انطلق ولف على رقبة الفلاحين الغلابة في دنشواي واتسبب في إعدامهم.

سبحانك يارب.

طيب.. هل دول كانوا آخر معارك علي يوسف الصحفية؟

أبدا.. ده في معركة تانية مشهورة جدا كانت السبب انه يبقى الفتى المدلل عند الخديو عباس حلمي الثاني والسلطان العثماني المفترى عليه عبد الحميد الثاني.

معركة استقالة اللورد كرومر..

الموضوع ده لو حبينا نكتب فيه هنملى صفحات.. لكن يكفي اختصارا إننا نقول إن كرومر اتألش من مصر بسبب مذبحة دنشواي.. وقبل ما يمشي ألقى خطاب وداع استلمه علي يوسف وخد كل النقاط اللي فيه قلب بيها الكل على كرومر.. بحيث إن كرومر خرج من مصر وكل الناس -حتى أصحابه- بتتف عليه.. وطبعا كل تفة عبارة عن تمجيد وتدعيم لموقف علي يوسف ورسالة في نفس الوقت إلى الدون جورست.. المندوب السامي الجديد.

عاوز تعرف انتشار المؤيد كان عامل إزاي؟

المؤيد كانت بتطبع ٨٠٠ نسخة في اليوم في أيام صدورها الأولى سنة ١٨٨٩م. ووقت عرض قضية التلغراف سنة ١٨٩٧م كانت بتوزع ١٠ آلاف نسخة بالظبط في وقت كانت مصر كلها على بعض ٨ مليون نسمة.

علي يوسف كان على وفاق تام مع الخديو عباس حلمي الثاني.. كان بيتكسب من تجارة الألقاب زيه زي احمد شوقي.. أي حد عاوز يبقى بك أو باشا ما عليه إلا انه يوهب جزء من أراضيه للخاصة الخديوية أو يدفع ١٠ آلاف جنيه

علشان اسمه ينزل في سجل التشريفات.. والوسيط كان علي يوسف.. ولما الخديو عباس حلمي اتفق مع المندوب السامي البريطاني.. علي يوسف موقفه انقلب تماما.. بل انه في مرة من المرات زار لندن وقال "لوندرة كعبة السياسيين المصريين".. صحفي صحفي يعني مفيش كلام.

قيس على كده بقى عداوته للشيخ محمد عبده والشيخ محمد المولحي وقاسم أمين "اللي كان هو أول واحد نشرله مقالات تحرير المرأة" ومصطفى كامل "رفيق الكفاح في المؤيد".. أي حد يقع مع القصر.. يبقى كسب عداوة علي يوسف بالتبعية.. صحفي شديد المصطفى بكرية إن جاز القول مع اختلاف طرف التأييد ما بين الخديو المجدع المعارض للاحتلال وبين ال .....

خليني ساكت أحسن.

عرفنا العريس يبقى مين؟

طيب أبو العروسة.. يطلع مين بقى؟



الشيخ عبد الخالق السادات

أنا كنت فاكر انه مجرد راجل صاحب أطيان وعقارات وخايف على بنته من عيل صايع طمعان في فلوسها.. أتاري الموضوع إن الفلوس – على كترها – كانت اقل حاجة في الموضوع ده.

في الأول.. هي أسرة السادات دي تبقى الأسرة اللي جابتلنا الرئيس الراحل محمد أنور السادات؟

يا آخى لا.. أسرة النهاردة نسب كريم وثراء فاحش.. دوكها منايفة.. منايفة يعني نسب ينتهي إلى شخص ما مش عارفينه وغالبا لم يكن من كوكب الأرض.. بس اتفق الكوكب على انه من نسل الأبالسة ويقدر يضحك على الجن.. كمان أسرة الرئيس السادات اسمها "ساداتي" زي ما قال هيكل بينما أسرة النهاردة اسمها السادات الوفائية.. الرئيس الراحل سمى نفسه السادات كده علشان يحك في الأسرة دي من بعيد.. يخرب عقله.. كان منوفي تماما حي وميت.

طيب.. مين بقى السادات الوفائية دول؟

عارف انت لما واحد يقولك إحنا عيلتنا ضاربة في جذور القدم ومنذ فجر التاريخ والكلام الكبير ده؟

اهو ده غالبا هتلاقيه من أسرة السادات الوفائية..

ليه بقى يا سيدي؟

نرجع بالتاريخ شوية لورا.. لورا أوي.. للقرن الثالث عشر الميلادي.. وقت سقوط دولة بني أيوب وقيام دولة المماليك بجلوس السلطانة أم خليل على عرش مصر.. السلطانة اللي نعرفها إحنا باسم شجر الدر.

في الوقت ده اتولد في المغرب العربي "صفاقس تحديدا" واحد اسمه محمد النجم السكندري.. رجل ينتهي نسبه إلى الأدارسة الأشراف أحفاد الحسن المثنى بن الحسن بن على بن أبي طالب رضى الله عنه وعن زوجته السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام.

محمد النجم كان رجل صاحب كرامات ويعرف في علم الفلك.. ومن هنا خد لقبه "النجم".. في يوم من الأيام حلم انه لازم يرحل إلى أرض المحروسة.. الراجل مكدبش خبر ومن فوره شد الرحال إلى الإسكندرية ومن هنا أخد لقبه "السكندري" وهناك عاش حياة الزهد والتصوف.

كان معاصر لسيدي إبراهيم الدسوقي وكانوا أصحاب اتعلموا مع بعض.. محمد النجم اتجوز وخلف أولاد نعرف منهم واحد اسمه أبو الأنوار محمد الأوسط.. كان زي أبوه مشهور بالكرامات والعلم.. مات صغير بعد ما خلف ولد سماه محمد علي اسم جده.. محمد الأوسط أبوه اسمه محمد وابنه اسمه محمد علشان كده اتلقب بمحمد الأوسط.. حاليا هو مدفون مع أبوه في زاوية السادات النجمية في إسكندرية.. ودي موجودة في ظهر مسجد سيدي أبو العباس المرسي.. لو انت رايح بحري من على الكورنيش يبقى لازم هتعدي عليهم في الأنفوشي.. متنساش تقرالهم الفاتحة.. نحسبهم جميعا من أولياء الله الصالحين.

أول حكايتنا نقدر نبدأها من عند محمد بن أبو الأنوار محمد الأوسط بن محمد النجم السكندري.

يقال إن الرجل ده – محمد الحفيد- كان من أصحاب الكرامات زي أبوه وجده.. اتولد أيام الناصر محمد بن قلاوون.. درس مذهب الإمام أبو الحسن الشاذلي وكان السبب في تأسيس الطريقة الشاذلية.. كان الصديق المقرب لسيدي ياقوت العرشي "صاحب المسجد الكبير المجاور لمسجد أبو العباس المرسي" له مؤلفات كتير في الدين الإسلامي موجودة حاليا كمخطوطات نادرة في مكتبة الأزهر الشريف.. زي مثلا:

- فصول الحقائق
- نفائس العرفان من أنفاس الرحمن
- مناهل الصفا
- الحقائق الأزلية في شرح تجليات الأسماء الإلهية
- المقامات السنية المخصوص بها السادة الصوفية

ويقال برضه إن من ضمن كراماته انه بدأ يألف الكتب وهو عنده ٧ سنين.. ساب إسكندرية وراح على اخميم "سوهاج".. اتجوز هناك وبنى زاوية كبيرة أوي أصبحت مقصد الآلاف كل سنة للتهجد والعبادة.. لكن الكرامة الأكبر والأهم في تاريخ سيدي محمد بن محمد الأوسط حصلت أيام جفاف النيل.

في سنة من السنين محصلش فيضان النيل المعتاد.. جفت الزراعات والأراضي بارت وانتشر الفقر والطاعون وضج الناس بفقر الحال فكان الحل "كالمعتاد" هو اللجوء لأهل الدين.. راحت الأفواج لسيدي محمد في اخميم وطلبت منه المعونة.. الراجل توجه معاهم إلى بحر النيل ووقف على شواطئه في منيل الروضة في القاهرة يصلي ويدعي ويكلم النيل ويقوله "اطلع بإذن الله تعالى".

ها.. وبعدين؟؟

بيقولك بقى يا سيدي إن النيل في اليوم ده فاض وزاد مستواه ١٧ ذراع.. يعني تقريبا ٩ متر كاملة.

الناس هللت وكبرت من انبهارها بالراجل وكراماته.. طارت يومها الحكايات إن يوم وفاء النيل.. النيل "وفا" لما دعاه سيدي محمد.. ومن يومها أصبح اسمه

سيدي محمد وفا.. واتعرفت أسرته باسم السادات "جمع سيد أو ساده" الوفائية "نسبة إلى وفاء النيل".

القصة مش منطقية.. لكن ذكرتها الدكتورة سعاد ماهر محمد في موسوعتها "مساجد مصر وأولياؤها الصالحون".

عاش سيدي محمد وفا في القاهرة إلى أن مات ودفن بناء على طلبه في قرافة المقطم بين ضريح أبي السعود بن أبي العشائر وضريح ابن عطاء الله السكندري.. حيث انه قال لمريديه قبل ما يموت " ادفنوني بين سعد وعطا".. وكان مدفنه في زاويتهم المشهورة في المقطم.

طيب..

ده كده أول سلسال أسرة السادات الوفائية الأشراف من أيام الناصر محمد بن قلاوون.. أولاد محمد وفا توارثوا العلم والكرامات ومعاهم منصب مشيخة السجادة الوفائية "شيخ الطريقة".. وطبعا كل ما كانت الكرامات اكتر أو صاحبها من أهل مواقف الحق، كل ما كان ده ينعكس على منصب مشيخة السجادة اللي فضل يكبر ويترقى لحد ما بقى تاني أهم منصب ديني في مصر بعد شيخ الأزهر خصوصا إن شيخ السجادة الوفائية كان هو نقيب الأشراف في مصر لحد وقت المجاهد الكبير عمر مكرم.. كان منصب مهيب يفرض على صاحبه سلوكيات معينة في المعاملات والمظهر.. حتى إن كان لهم ربطة مخصوصة للعمة تختلف عن باقي الناس.

بعد سيدي محمد وفا تعاقب على مشيخة السجادة العديد من رجال السادات الوفائية العظام.. إلا أن يظل أفضلهم رجلين.. سيدي محمد وفا "مؤسس الطريقة وأول مشايخ السجادة الوفائية".. حكينا سيرته فعلا.. والتاني هنتكلم عنه حالا.

شيخ السجادة الوفائية كان رجل ذو مكانة خاصة ودلال على ولاة مصر العثمانيين والسلطان العثماني نفسه.. حتى إن السلطان العثماني عبد الحميد الأول "الغازي" أمر الصدر الأعظم عزت محمد باشا سنة ١٧٧٧م انه يبني مسجد فخم وكبير "هو مسجد السادات الوفائية الحالي في المقطم" على

أنقاض زاوية السادات اللي تهدمت بفعل الزمن.. بس إكراما لآل السادات الوفائية.

قلنا هنتكلم عن مين تاني من السادات الوفائية؟

خد عندك يا سيدي.. الشيخ شمس الدين محمد أبو الأنوار بن عبد الرحمن السادات آل وفا.. الشيخ الثائر.. وكفى.

زي ما كان سيدي محمد النجم وحفيده سيدي محمد وفا حواديت كبيرة.. الشيخ شمس الدين ده لوحده كان حدوتة اكبر منهم مع بعض.. من غير كرامات ولا معجزات.. الراجل ده كتب اسمه في تاريخ مصر بحروف من ذهب مش هيقدر يمحوه الزمن أبدا.

أول الكلام.. الراجل ده كان شديد الثراء من تجارة إصلاح وبيع البيوت.. مقاول يعني.. بالإضافة إلى كونه المسئول الأول عن أوقاف المشهد الحسيني وكل أوقاف آل البيت في مصر المحروسة وكان عنده أسطول مراكب تجارية ونقل بضائع بين الفسطاط وجزيرة الذهب.. ده غير طبعا أطنان الفلوس اللي ورثها من أبوه.

طيب.. ده أكل العيش.. السياسة إيه بقى؟

كل رجل سياسة في مصر يلزمه رجل دين يتسند عليه.. في سبعينات القرن الثامن عشر حصلت حركة انفصالية في مصر على يد علي بك الكبير.. عارفين طبعا الحدوتة دي والقلق اللي عمله المملوك الروسي.. السؤال هنا.. مين كان دراع علي بك الكبير الديني في خناقته مع العثمانيين؟

شيخ السجادة الوفائية طبعا.. الشيخ شمس الدين السادات.

جميل.. وبعد ما مات علي بك الكبير سنة ١٧٧٣م حصل إيه للشيخ شمس الدين؟

الراجل جرب الثورة على الظلم.. فضل يسخن الناس ويلمهم حواليه مستعينا بفلوسه الكتير أوي ومنصبه الحساس.. لكن مكانش في أي قفش مباشر مع العثمانيين.. الراجل جواه طاقة ثورية حل معاد خروجها مع دخول بونابرت وعسكر الفرنسيس إلى ارض المحروسة وقيام ثورة القاهرة الأولى في أكتوبر سنة ١٧٩٨م.

باختصار كده ومن غير رغي.. نقدر نقول إن الثورة دي هي الشيخ أبو الأنوار السادات رحمة الله عليه..

نابليون في الأول حاول يستميل رجال الأزهر والعلماء الكبار لما عرف تأثيرهم على الناس.. من ضمنهم كان الشيخ السادات اللي أساسا رفض مقابلة نابليون وتفرغ تماما لشحن البلد كلها ضده.. وهو كان من كان.. بكلمة كان ممكن يجمع البلد وبكلمة يفرقها.

الراجل عمل كل حاجة ممكن تتعمل ولا كأنه كان دولة وجيش لوحده.. من أول تحريض التجار على العصيان المدني وقفل المحلات إلى الاجتماع بالشباب ومجاورين الأزهر في مسجد قره خوجة في الحلمية الجديدة حاليا.. إلى حصار مقر قيادة نابليون في قصر محمد بك الألفي.. إلى الحرب المباشرة مع نابليون وعساكره ومقدرته انه يقتل ٣٠٠ من عسكر نابليون من ضمنهم حاكم القاهرة العسكري الجنرال ديبوي.. وفى تاني يوم ثورة قدر الشيخ ومعاونيه انهم يقتلوا ياور نابليون.. الجنرال سلكووسكي.. ده غير دعمه المادي غير المحدود للثوار.

الكلام ده وصل لنابليون اللي كان بره القاهرة فعلا.. نابليون اتجنن ونصب المدافع فوق المقطم وسلخ القاهرة بالقنبر.. ده طبعا قبل ما جنانه يزيد ويقتحم الجامع الأزهر بالخيول ويطلقهم في أنحاء المسجد علشان يلوثوه بالبول والغائط.. بقت الخيول شغالة توسخ في المسجد والعسكر شغالين ينهبوا في النفائس والذهب اللي كان فيه مع حرق كل الكتب والمخطوطات وهدم كل ما هو جميل في المسجد.

طيب.. الشيخ السادات والشعب تراجعوا وخافوا؟

أبدا..

انضم للشيخ وفرق المقاومة فتوات مصر.. ودول كانوا أهل معارك بجد أزعجوا نابليون جدا بهجماتهم الليلية وعدم احترامهم لأي أعراف أو آدميات بعكس المشايخ اللي كانوا بيعالجوا الجرحى من الأسرى ويطلقوهم في مقابل إطلاق سراح مصريين.. الفتوات كانت بتدبح علطول.. والله عفارم عليهم.. عيال بتجيب من الآخر.

لكن للأسف لفرق التسليح ونفاذ ذخيرة المصريين.. قدر نابليون انه يخمد الثورة ويقبض على الشيخ السادات.. حاول يقتله.. بس لما شاف الناس عاملة

عليه إيه اتراجع وعرض عليه الأمان في مقابل الأمان.. نابليون كان فاكر إن الشيخ الستيني عجز وكبر وهيخاف بقى وكده فأمر بإطلاق سراحه.

بعد كده نابليون رجع فرنسا ومسك مكانه واحد لا يقل عنه وساخة – كليبر – وقامت ثورة القاهرة الثانية في مارس ١٨٠٠م بفضل الشيخ السادات برضه.. ودي كانت أعنف من الثورة الأولى.. نابليون على قذارته إلا انه كان سياسي إلى حد ما يعرف يضرب ويلاقي.. إنما كليبر كان غشيم ومقرف ودموي.. برك الدم اللي خلفها عساكره زادت من حدة ثورة المصريين عليه وبالتالي زادت في جنونه فبدأ في اعتقال الأكابر دون مراعاة لأي حرمات.. وطبعا كان أول المعتقلين.. الشيخ شمس الدين السادات.

تعمد كليبر إهانة الشيخ عن طريق القيود الحديدية ومنعه من الصلاة والضوء ومنع المية عن الشيخ علشان يبقى محبسه كريه الرائحة بفعل قضاء الحاجة.. كمان أمر بضربه بالعصاية ١٥ ضربة في الصباح وزيهم في آخر اليوم وتعمد إن مراته تكون حاضرة الضرب علشان يكسر كرامته قصادها.. وبعد الضرب ياخد الست يرميها في زنزانة تانية لحد معاد الضرب الصباحي.

الناس اتضايقت علشان الشيخ السادات وعرضوا على كليبر فديته بالفلوس.. كليبر طلب مبلغ مهول.. ١٢٠ ألف فرنك بشرط إن نصهم يكون دهب ومجوهرات.. الناس فعلا وافقت.. نزلت عساكر كليبر على بيت الشيخ السادات وخدت فلوس الفدية.. وكمان خدوا كل اللي لاقوه في وشهم وسابوا البيت على الحديدة.

طيب.. سابوا الشيخ على كده؟

لا.. تعمد كليبر مزيد من الإذلال والمهانة للشيخ.. الأمر اللي استفز شاب سوري الجنسية اسمه سليمان ونس الحلبي.. كان من مريدين الشيخ.. لبس شحات وترصد لكليبر وهو بيتمشى في جنينة قصره في الأزبكية.. خد ايده عمل انه هيبوسها وراح مناوله ٤ طعنات زي الورد في نن عين قلبه.. وقع كليبر بيولول وملحقش حتى يعطس.. كبير مهندسينه حاول يدافع عنه إلا إن الشجاع سليمان ناوله طعنتين بالخنجر.. طلع بعدهم يجرى وهو بيقول "يا مامي بالفرنساوي".. ولحد النهاردة كلاب الفرنسيس محتفظين بخنجر وجمجمة

الشجاع سليمان في متحف الإنسان بقصر شايو في باريس ومكتوب تحتهم "جمجمة إرهابي".

وباقي القصة معروفة طبعا.

طيب الشيخ شمس الدين حصله إيه؟

فضل على موقفه.. ثائر مناضل بطل رغم محاولات إذلاله من الجنرال مينو.. خرج الفرنسيس من مصر بالخيبة.. لفت الأيام وجه مكانهم محمد علي.. وطبعا كان الشيخ شمس الدين من أوائل الناس اللي شالت أفندينا على الأعناق مع رفيق كفاحه عمر مكرم.

لحد هنا تنتهي سيرة الشيخ شمس الدين السادات الحسنة.. ما بعد ذلك قال عنه الجبرتي انه تحول إلى شيخ من مشايخ الفترة.. خصوصا بعد ما استخدمه محمد علي لضرب المجاهد عمر مكرم.. مسك الشيخ السادات منصب نقيب الأشراف كثمن رخيص أوي لخيانة عمر مكرم بجانب مشيخة السجادة الوفائية علشان يمرض ويموت بعدها ب ٤ سنين بالظبط سنة ١٨١٣م. وفلوسه كلها تروح بالحيلة للراجل اللي ضحك على الكل.. محمد علي.

شوف يا آخى.. كل الأحداث دي ومحدش قدر على الشيخ السادات إلا محمد علي.. الله ينعل أبو الطمع اللي يخلي الأشراف تاكل بعضها كده.

بعد الأحداث دي ب ٥٠ سنة بالظبط.. ومن نسل الشيخ شمس الدين محمد أبو الأنوار بن عبد الرحمن السادات آل الوفا يتولد آخر مشايخ السجادة الوفائية من آل وفا..

الشيخ عبد الخالق السادات..

أبو العروسة.. الآنسة صفية..

محور الحكاية دي كلها.

شفتوا نسب الراجل عامل إزاي؟

□

وصلنا للسؤال الثالث..

زواج مثير للمشاكل

أول الكلام كده مهم أوي نعرف إن العريس "علي يوسف" كان متزوج بالفعل وقت الأحداث دي.. ٤١ سنة في هذا الزمن معناها انه تزوج فعليا من اكتر من ٢٠ سنة.. جوازة فقايري تناسب مستواه وقتها.. بنت عم فلان وللا الحاج علان.. شوية نحاس على كام غويشة على عروسة متعرفش الألف من كوز الذرة.. مجرد وعاء إنجابي مكمل للشكل الاجتماعي ويحفظ الشاب الطموح من الفتنة.. طبيعي جدا بعد ما وصل الشيخ علي إلى ما وصل إليه من مركز ووجاهة وثراء فاحش انه يرقي نفسه شوية اجتماعيا.. معادتش تنفع بقى بنت البلد أم ملس اسود ومنديل وللا طرحة.. نفسها الحلو في الطبيخ وعينيها اللي مش بتترفع والطاعة العمياء لم ينفعوها بشيء لما قرر علي يوسف "الجديد" ذبحها بسكينة تلمة اسمها الزواج الثاني.

طيب.. علي يوسف طلع هو مصطفي أبو حجر.. أخص عليهم هما الاثنين سوا.. هما يهيصوا وإحنا نشيل زبالتهم قصاد بتوع حقوق المرأة.

عمل إيه بقى الشيخ علي أبو حجر ده؟

بص لفوق.. من صحوبيته للخديو عباس حلمي الثاني ومن عضويته في الجمعية العمومية عرف إن زميله في الجمعية الشيخ عبد الخالق السادات له بنت متعلمة في سن الرشد.. بيضاء وجميلة المحيا.. طخينة أوي ومربربة.. كيرفي يعني.. بمقاييس الجمال وقتها تعتبر صاروخ أرض جو.. هي صغرى بنات الشيخ واسمها صفية.

رمى يوسف الهلب على صفية السادات واتقدم لأبوها عن طريق صديقه وقريبه الشيخ البكري ولفيف من كبار الوزراء ورجال الحكومة – يا سبحان الله – الشيخ السادات في الأول تمنع وتحت ضغط الأكابر وافق بعد ما علي يوسف قدم كم مهول من الشبكة والهدايا اللي تزغلل عين أي حد.. كان بيسموها النيشان.. ونيشان الست صفية فضلت البلد تحكي وتتحاكى عنه شهور في انتظار الحدث الأهم.. الزفاف السعيد.

مرت سنة.. سنتين.. والشيخ علي يوسف منتظر.

الشيخ السادات بيماطل وعلي يوسف بيحاصره.. السنة الثالثة دخلت والشوق عمل عمايله في علي يوسف وخطيبته.. الجدع فلوسه راحت على الدباديب وأم الست صفية ضجت من العريس اللي بييجي كل يوم يتغدى ويفضل قاعد يتمحن هو والعروسة لحد العشاء.. مع نهاية السنة الرابعة كان علي يوسف أدرك ان الشيخ السادات ملوش رغبه في الجوازة دي.. وقرر يحطه قصاد الأمر الواقع وليكن ما يكون خصوصا ان العروسة كمان زهقت وبدأت تكره الوضع المريب ده.. لا منها متجوزة ولا منها متاحة للعرسان.

اتفق العروسان ان صفية هتروح زيارة لبنات قريبهم الشيخ البكري في بيته.. وهناك كان الشيخ علي منتظر ومعاه المأذون والشهود.. كتبوا الكتاب وعلوا الجواب والزغاريط اشتغلت.. خرجت الآنسة صفية من بيت الشيخ البكري في صحبة زوجها الشيخ علي يوسف على بيت الزوجية في حي الظاهر.. واستعد الناس بقى علشان يضربوا نار ويقيموا الأفراح والليالي الملاح وكده.

مين بقى لابد في الذرة بيحضر الإسفين؟

جرنان المقطم طبعا..

تاني يوم الصبح راحوا منزلين خبر زواج صفية السادات من علي يوسف بصورة مبهمة تماما.. لا قالوا فين ولا إزاي ولا مين الحضور ولا الشهود.. اللي يقرأ الخبر ده للوهلة الأولي يظن انه زواج للستر على فضيحة حصلت.. غرض الجريدة والمقصد واضح تماما وهما متعمدين يعملوا كده علشان يضربوا شجرة عصافير بحجر واحد

- أولا.. قلق حوالين الشيخ علي يوسف يطول سمعته
- ثانيا.. إحراج للخديو.. أدي صاحبك اهو.. طلع مراهق
- ثالثا.. إحراج للشيخ السادات.. فوق يا مقطف بنتك اتجوزت من وراك
- رابعا.. إلهاء الرأي العام عن حدث جلل حصل في نفس السنة "١٩٠٤" إلا وهو الاتفاق الودي لأول مرة بين إنجلترا وفرنسا.. الاتفاق اللي عرفوا فيه انهم ملهمش إلا بعض واتحدوا فيه علينا.

يا دين النبي!!!

كل ده من جوازة!!

آه.. تخيل؟

وقع العدد بتاع المقطم في ايد الشيخ السادات والراجل جن جنونه فعلا.. كرجل شرقي ذكوري أقدر موقفه تماما ولا أتمناه أبدا لأي حد.. لو فيوم بنتي عملت كده من ورايا فأغلب الظن أني ممكن ادفنها بالحياة.. أو في أفضل الأحوال هعيش بعارها طول عمري ولا كأنها زنت والعياذ بالله.. محدش يقول أصل وفصل وحق ومستحق.. دي مشاعر ملناش عليها سيطرة واغلب الناس بتقول كلام ولما تتحط في نفس الموقف.. بيعملوا حاجة تانية خالص.

الله معاك يا شيخ عبد الخالق.. ربيت وكبرت ولما بنتك عودها شد.. حطت راسك في الطين "هكذا يفكرون".

الشيخ السادات برضه مش سهل..

ده راجل من الأشراف ويمتلك كل شيء في الدنيا.. مال وحسب ونسب وثقافة وعلم ودين ويعرف كويس أوي ان ولي الأمر من حقه شرعا إبطال عقد زواج "البكر" إذا كان هناك عدم تكافؤ في الزواج أو شاب العقد أي شبهه من شبهات الخديعة.

وعنها يا معلم.. طلع على النيابة وقدم بلاغ ان الشيخ علي يوسف غرر ببنته واتجوزها على غير رغبته.

أوبا.. الشغل احلو..

طيب النيابة قالت إيه؟

- يا بسطويسي.. شوف عندك في دفاتر المواليد.. البت دي عندها كام سنة؟
- مواليد ١٨٨٢ يا جناب المعاون
- تبقى ٢٢ سنة.. لا مؤاخذة يا شيخ يوسف.. بنتك مش قاصر ولا حاجة..

وراح مأشر المعاون على البلاغ.. يحفظ.

الشيخ علي يوسف ١

الشيخ السادات ٠

ماشى..

آخرنا كده؟

لا طبعا..

طلع الشيخ السادات على المحكمة الشرعية.. لعبته بقى خصوصا ان القاضي الشرعي الشيخ أبو خطوة يبقى صاحبه ومن تلاميذ أبوه.. ستفوا الورق سوا ولعبوا على نقطتين مهمين أوي لإثبات عدم كفاية الزوج لبنت الحسب والنسب.

أولهم: النسب.. علي يوسف في نظرهم حقير ووضيع الأصل موصوم بوصمة لا يمحوها ثراؤه الفاحش وهي فقر الأهل.. كما انه أعجمي ميعرفش من اسمه غير أبوه.. لا هو سليل قبيلة ولا معروف جده مين ولا أسلافه مين.

ثانيهم: الحرفة.. الشيخ علي حياله جرنالجي.. ومهنة الصحافة دي محرمة في الإسلام لأنها قائمة على الفضائح والتجسس ونشر الأخبار.

الشيخ علي يوسف ١

الشيخ السادات ١

وخرجت أخبار القضية دي للعلن.

وولعت البلد "الهفأ"

فريق شايف ان علي يوسف اونطجي وحلانجي ونصاب وميستاهلش النسب الشريف.. ده يضم كل أعداء التنوير والمشايخ والدراويش والمشعوذين والعائشون في الماضي.. على رأس الفريق ده كان القاضي أبو خطوة شخصيا.

فريق شايف ان علي يوسف كفء جدا لبنت السادات وانه بالفعل أفضل من السادات لأنه كسب ما كسب بشغله مش بالوراثة.. الفريق ده على رأسه الخديو شخصيا.

وأكل الجماعة الصحفيين وقتها عيش على قفا الطرفين بالهبل.. المقطم ترزع الإسفين من هنا.. وعلي يوسف يرد من هنا.. دعاة الجمود ينظموا مؤتمرات من

هنا.. ودعاة التنوير يرزعوا المقالات من هنا.. بس وسط كل دول تمخض علي يوسف وولد حتة مقال.. للأمانة يعتبر مدرسة في قصف الجبهة.

فند الشيخ على كل ما ادعاه عليه الشيخ عبد الخالق السادات.. فمن حيث النسب قدر يجيب شهود ان هو كمان من الأشراف ورمي كلمتين كده في النص مفادهم التشكيك في طريقة إثبات النسب.. ان كنت انت يا شيخ سادات تقدر تثبت ان انت فاطمي.. فبنفس الطريقة إحنا كمان نقدر نثبت إننا فاطميين.. اللي هو يعني الورق ورقنا والدفاتر دفاترنا بصوت العمدة عتمان.

أما المال.. فهو يملك بالفعل أكثر مما يملك الشيخ السادات.. الشيخ السادات فعليا بلا عمل وعايش على أطيان وميراث جدوده.. بينما علي يوسف رجل من رجال الحاشية الملكية.. بخلاف الصحافة هو تاجر ألقاب.. يعني الآشية معدن أوي أوي أوي.

وأما من حيث الحرفة.. وده كان الألم القوي جدا.. فأثبت علي يوسف ان آل السادات كلهم مشتركين في جريدته.. وان اغلب أعضاء المحكمة الشرعية بينشروا مقالات بالفعل في مختلف الصحف.. مش كده وبس.. ده الشيخ أبو خطوة نفسه بينشر عندنا مقالات أسبوعية تحت اسم مستعار.

بووووووم.

الشيخ علي يوسف ٢

الشيخ السادات ١

ومتهيألي الجون اللي جابه الشيخ علي يوسف ده كان خارج أرضه.. يعني يحسب باثنين.. خصوصا انه هز شبكة الشيخ السادات وخرم شبكة الشيخ أبو خطوة.. الشيخ علي جه يرد على الشيخ السادات.. راح مخوزق الشيخ أبو خطوة في سكته..

الشيخ أبو خطوة خد الموضوع على صدره وكان معروف انه ضد الزواج ده تماما.. أول قراراته كانت تسليم البنت لأبوها.. وهي متجوزة إزاي معرفش.. المهم ان الشيخ علي يوسف وافق بس صفية لا.. طبعا توقعت ان أبوها يذبحها لو رجعتله مدام صفية.. يمين شمال.. مفاوضات وخناقات.. اتفقوا ان صفية هتنزل ضيفة في بيت الشيخ صادق الرافعي لحد ما الموضوع يتحل.

الشيخ علي يوسف ٢

الشيخ السادات ٢

على جمب كده..

عارفين الشيخ صادق الرافعي ده يبقى مين؟

ده كان قاضي شرعية برضه ومعروف بحسن سيرته وسمعته.. والأهم بقى انه أبو الأديب الكبير أوي مصطفى صادق الرافعي بتاع أوراق الورد ووحي القلم وحديث القلم.

تحس ان مصر وقتها كانت أوضة وصالة.. كله منفد على كله وكله عارف بعضه.

المهم يا سيدي..

كل الأطراف رضيت بوجود صفية السادات في بيت الشيخ الرافعي ما عدا واحد..

مين هو؟

الشيخ أبو خطوة.. القاضي الشرعي..

مش عارف الراجل ده خد الموضوع على صدره أوي كده ليه.. بعض الناس ملكيين بالفعل اكتر من الملك.. أعلن الشيخ أبو خطوة الإضراب التام ووقف القضية تماما لحد ما البنت ترجع لبيت أبوها ولو بالقوة الجبرية.

إيه الدماغ دي!!

في الفترة دي كان التواصل بين الشيخ علي وصفية عن طريق الجوابات.. مديرة منزل الشيخ الرافعي اشتغلت مرسال الغرام بين الاتنين.. كانت جوابات الشيخ يوسف دايما تبدأ بـ "قرينتي المحترمة" وبعدين إسهال محن وعواطف.. وفى الآخر زوجك المحب المخلص.. علي يوسف.

حبيبتي صفية.. كلامك يفعل في القلب ما يفعله الدلال وشرود الغزال.. وهى ترد عليه وتقوله قلت الكلام ده لكام واحده قبلي؟

وطبعا الحريم متتوصاش في المحن.. كانت بترد عليه صفية برسائل أكثر سخونة.. اللي اتهدل في الحوار ده كله هي مرسال الغرام.. الخادمة الأجنبية مديرة منزل الشيخ الرافعي.. ناس تحب وناس رجليها تحفى من المشاوير.

طيب.. مين بقى بينفخ في النار؟

جريدة المقطم طبعا..

كل كام يوم تروح منزلة دبوس كده عن ان الشيخ علي يوسف بيروح بيت الشيخ الرافعي بعد العتمة ويمشي منه بعد الفجر.. وشوف انت بقى.. راجل.. ست.. الدنيا ضلمة.. والجماهير تسخن وتشتم.. بيعمل إيه السافل في بيوت الناس.. والفرقة الثانية تقول وانتو مالكو.. مراته وهو حر.

والشيخ السادات بيتحرق.. والشيخ أبو خطوة معلن الإضراب.. بل انه اصدر فتوى شرعية تتهم الشيخ الرافعي انه راجل بقرون كونه سمح بالمسخرة دي – اللي هي الجوابات المتبادلة – في بيته وانه غير أمين على الأمانة المتختخة اللي هي صفية السادات.

وتطلب الموقف تدخل وزير الحقانية "العدل" شخصيا علشان يقنع الشيخ أبو خطوة ان يتراجع عن إضرابه ويعيد النظر في القضية تاني.

ورجع الشيخ أبو خطوة للقضية سانن سنانه.. حكم بفسخ عقد الزواج والتفريق بين الزوجين لعدم التكافؤ.. مش كده وبس.. ده في حكمه وجه كلمات قاسية جدا للشيخ علي يوسف مفادها ان ثراؤه الحالي لا يمحو عنه عار انه كان فقيرا يوما ما.

الشيخ علي يوسف ٢

الشيخ السادات ٣

وكانت صدمة للمجتمع فعلا..

وكسب الشيخ السادات الماتش بمساعدة الحكام.. تمام زي ماتشات الأهلي كده.

الشيخ علي يوسف استقبل الموضوع بمقال يعتبر مدرسة في فن الإهانة والاستهزاء لما وصف حكم الشيخ أبو خطوة بالردة وأعلن ان كله ثقة في

الاستئناف اللي هيرجعله حقه المهدر وحينها يكون حكم الشيخ أبو خطوة كمقال عديم الفائدة.. قرأناه ثم نسيناه.

وقبل ما يلجأ الشيخ علي يوسف للقضاء المدني علشان يبطل حكم المحكمة الشعرية.. كان ولاد الحلال تدخلوا علشان يلموا الفضيحة دي.. وجدوا من الشيخ السادات بعض المرونة حيث انه انتصر وكلامه هو اللي مشي في الآخر وكرامته رجعتله.. وافق الشيخ السادات على الزواج بعقد جديد ونيشان خرافي.. اعتقد ان الشيخ السادات فعليا لم يكن طامع في أي مال.. إنما حب يثبت ان بنته غالية لأنها بنته.. مش علشان بكر وللا حلوة وللا لا.

رجعت صفية لجوزها برضا الكل.. لكن الشيخ علي مكانش سعيد.. الدليل على كده انه فضل يسعى بعد الموضوع ده لمدة ٨ سنين علشان يثبت انه من الأشراف.. وقدر فعلا انه يحط نسبه في سجلات نقابة الأشراف في مصر علشان يثبت للكل انه كفء لهذه الزيجة المليانة بالخوازيق.. عقدة نفسية سببهاله الشيخ السادات لما عيره بما لا يملك.. عقدة كانت السبب ان الشيخ علي تألق بشدة في مجاله.. بقى رئيس واحد من ٣ أحزاب في مصر.. خد لقب باشا.. بقى رئيس اكبر جريدة عربية.. وفى الآخر قدر يوصل انه يبقى شيخ السجادة الوفائية.. زيه زي الشيخ عبد الخالق السادات بالظبط.. ويبقى كده علي يوسف اثبت انه بالفعل أحسن منه.. لأن فرق الشغل والانجاز الشخصي أكيد هيصب في صالحه في حالة المقارنة مع هذا العاطل بالوراثة حماه.

مات علي يوسف سنة ١٩١٣ وكانت صفية في عز شبابها.. اتجوزت بعده ممثل مسرحي اسمه زكي عكاشة.. من حظها ان أبوها كان مات بالفعل وإلا كان قتلها المرة دي.. من جرنالجي لمشخصاتي.. يا قلبي لا تحزن.

عارفين بقى إيه الكوميدي بجد في الموضوع ده؟

الكوميدي ان صفية السادات كانت زوجة سيئة جدا في عشرتها.. قلبت حياة علي يوسف نكد مستمر حتى انه كان بيقعد في مكتبه في الجريدة كل يوم ٢٠ ساعة متصلة بس علشان يهرب من البيت ومن بوز الولية دي.

يستاهل.. ذنب مراته الأولانية..

رجالة عرر بلا هم.. مقصرين رقبتنا دايما قصاد الفيمينست.. كلهم مصطفي أبو حجر.

إيه بقى اللي فضل من الخناقة دي؟

قصيدة كتبها حافظ إبراهيم بيمسح فيها البلاط بمصر وتفاهتها اسمها "حطمت اليراع" قال فيها.

حَطَمْتُ اليَراعَ فلا تَعْجَبِي   وعِفتُ البَيانَ فلا تَعتُبِي

فما أنتِ يا مصرُ دارَ الأديبِ   ولا أنتِ بالبَلَدِ الطَّيِّبِ

وكمْ فيكِ يَا مصرُ مِنْ كاتبٍ   أقالَ اليَراعَ ولم يَكتُبِ

فلا تُعذُليني لهذا السكوت   فقد ضاقَ بي منكِ ما ضاقَ بي

أيُعجِبُني منكِ يومَ الوِفاق   سُكوتُ الجَمادِ ولِعْبُ الصَّبي

وكم غَضب الناسُ من قبلِنا   لسَلبِ الحُقوقِ ولمْ نغضَبِ

أنابتَةَ العصرِ إنّ الغريبَ   مُجِدٌّ بمصرَ فلا تلعبي

يقولون: في النَّشْءِ خيرٌ لنا   ولَلنَّشْءُ شرٌّ من الأجنبي

أفي (الأزبكية) مثوى البنينِ   وبين المساجد مثوى الأب؟

وكم ذا بمصرَ من المضحكات   كما قال فيها أبو الطيِّب

أمورٌ تمرُّ وعيشٌ يُمِرُّ   ونحن من اللَّهو في ملعب

وشعب يفرُّ من الصالحاتِ   فرارَ السَّليم من الأجرب

وصُحْف تطنُّ طنينَ الذُّبابِ   وأخرى تشنُّ على الأقرب

وهذا يلوذ بقصر الأميرِ   ويدعو إلى ظِلّه الأرحب

وهذا يلوذ بقصر السَّفيرِ   ويُطنِب في وِرده الأعذب

وهذا يصيحُ مع الصائحينَ   على غير قصدٍ ولا مأرب

وقالوا: دخيلٌ عليه العفاء   ونعم الدَّخيلُ على مذهبي!

رآنا نياماً ولما نُفِقْ   فشمَّرَ للسَّعي والمكسب

وماذا عليه إذا فاتنا ونحن على العيش لم ندأب؟

ألفنا الخمولَ ويا ليتنا ألفنا الخمولَ! ولم نكذب!

وقالوا: (المؤيَّدُ) في غمرةٍ رماه بها الطَّمعُ الأشعبي

دعاه الغرامُ بسنّ الكهولِ فجُنَّ جُنوناً ببنت النَّبي

ونادى رجالٌ بإسقاطهِ وقالوا: تَلَوَّنَ في المَشْرَب

وعَدُّوا عليه من السَّيِّئاتِ أُلوفاً تَدُورُ مع الأحقُب

وقالوا لصيقٌ ببيتِ الرَّسولِ أغارَ على النَّسَبِ الأنجب

وزكَّى (أبو خَطوةٍ) قولَهم ب حكمٍ أحَدَّ من المضرب

فما للتهاني على دارهِ تَسَاقطُ كالمطر الصَّيِّبِ

وما للوُفُود على بابهِ تزفُّ البشائرَ في موكب؟

وما للخليفة أسدي إليهِ وساماً يليقُ بصدر الأبي؟

فيا أمّةً ضاقَ عن وصفها جَنانُ المفوَّهِ والأَخْطَبِ

تضيعُ الحقيقةُ ما بيننا ويَصلى البريءُ مع المذنب

ويُهضَمُ فينا الإمام الحكيمُ ويُكْرَم فينا الجهولُ الغَبِي

على الشَّرق منّي سلامُ الودود وإنْ طأطأ الشَّرقُ للمغرب

لقد كان خِصباً بجدب الزّمانِ فأجدبَ في الزَّمن المُخْصِب!

طيب في النهاية يعني أنا عاوز أقول إيه؟؟

أبو العروسة صح يعني المواقف العنصرية الرجعية اللي عملها دي؟

العريس هو اللي غلط لأنه غدربمراته الأولي دون سبب وبص لفوق؟

العروسة مقصوفة الرقبة علشان خرجت من طوع أبوها؟

شوف.. مش هدخل في كل الجدل ده.. إنما هقول وجهة نظري كأب أولا وكرجل ثانيا..

عمري ما أجبر بنتي انها تتجوز راجل هي مش عاوزاه.. ولا هسيبها لوحدها ينضحك عليها من أي حد طمعان في أي شيء هي تملكه.. ولا عمري هكسر قلبها بالعداء فيوم من الأيام.

بنتي تتجوز اللي تختاره.. بس من غير ما تكسر قلبي ولا فرحتي.. تتجوز معززة مكرمة.. هانم ولا كل الهوانم.. اللي ييجي ياخدها ياخدها من بيت أبوها.. أسلمها له بأيدي ويعرف انه بياخد شقى عمري وحتة من قلبي.. ان حب عشرتها يكرمها وان كرهها فلا مجال للإهانة.. بيت أبوها يساعها فوق العمر عمرين كمان.. وكله بالمعروف.

يااااه.. كل ده على الأب؟

وهو مين قال لحضرتك ان الأبوة بالساهل.



صفية السادات　　　　على يوسف

الجارية نوتيلا

لسنين طويلة فضلنا مقتنعين ان "البياض نص الجمال".. رغم اختلاف أذواق الرجالة اللي اتفقت على انه إذا انطفأ النور فكلهن سواء والبيضاء زي السمراء طالما دي بتخلف ودي بتخلف.
مع الوقت أدرك الناس مدى الظلم البين في تفضيل البيض.. ولو كان الجمال هو البياض مكانش نص ستات الكوكب لقوا رجالة من الأساس.. الجمال شيء نسبي له ألف معيار.. ومن هذا المنطلق انتشر مثل شعبي تاني كنا بنقوله وإحنا صغيرين.. الأسود حتة شوكولاتة والأبيض بربور على الحيطة.. نوع من أنواع الترضية لأصحاب البشرة السمراء "بصوت الكابتن ميمي الشربيني".. بينما على النقيض تقف البيضاء واثقة في نفسها.. هي مش بربور على الحيط ولا حاجة والدليل اهو طوابير الرجالة اللي هتموت عليها والمحاولات المضنية من السمراوات علشان ينقلبوا بيض.

بس الوضع ده كله بقى حضرتك اتعكس تماما مع جارية.. جارية واحدة بس.. سمراء حالكة سواد البشرة.. مش جميلة ومعندهاش أي مهارات اللهم إلا المغنى.. جارية واحدة بس قدرت تلف عقول ٣ سلاطين ووزير.

جارية اسمها اتفاق.

◈◈◈◈◈◈◈

الأحداث دي كلها حصلت في الفترة بين سنة ١٣٤٢م إلى سنة ١٣٥١م. بعد موت الناصر محمد بن قلاوون وبداية حرب التقطيع بين عياله الثمانية.. اللي زي ما قلنا قبل كده كلهم قعدوا على العرش.. وكلهم فرتكوا بعض.

بعد موت الناصر قلاوون حل مكانه المنصور سيف الدين أبو بكر وبعدين الأشرف علاء الدين كجك وبعدهم الناصر شهاب الدين أحمد.. الثلاثة على بعض مكملوش سنتين على العرش علشان ييجي بعدهم أول أبطال قصتنا

النهاردة الصالح عماد الدين إسماعيل اللي قعد على العرش وهو يادوب ١٦ سنة بعد خلع أخوه الناصر شهاب.

الصالح إسماعيل بدأ ملكه بداية كويسة.. بيقول عنه ابن تغري بردي باختصار "كان سلطانا ساكنا عاقلا قليل الشر كثير الخير هينا لينا بشوشا.. وكان شكلا حسنا حلو الوجه أبيض بصفرة وعلى خده شامة.. ولم يكن في أبناء الناصر خير منه.. وكان محببا للرعية على مشقة كانت في أيامه من كثرة التجاريد إلى قتال أخيه الملك الناصر بالكرك وشغفه بالجواري السود وإفراطه في محبة اتفاق العوادة"

مين بقى اتفاق العوادة دي؟

أنا حابب بس ناخد بالنا من تفصيلة صغيرة..

لما ابن تغري والمقريزي وابن حجر العسقلاني يذكروا في تأريخهم جارية بالاسم والصفة دي.. فده لا يعني إلا حاجتين:

- انها كانت مميزة جدا وصاحبة مكانة غير مسبوقة
- ان صفتها "السواد" كانت واضحة أوي بزيادة

طيب نشوف ابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة قال عنها إيه؟

قالك يا سيدي ان في بلبيس "شرقية" كان في ست من أهل الحظ والطرب اسمها ضامنة المغنى.. كانت وظيفتها تربية البنات الصغيرة على الهيء والميء والطبل والشخاليل.. تجيب الجارية من دول عيلة صغيرة مقشفة وشعرها عامل زي السلك.. تحميها وتنظفها وتعلمها وتظبطها.. وبعدين تطلقها في السوق وهي ورزقها.

ورزقها ممكن يبقى أمير.. وزير.. داوادار.. سلطان حتى.. دي أرزاق محدش يعرفها.. المهم ان ضامنة المغنى دي كانت بتكسب حلو من الشغلانة دي وفاتحة بيوت ناس كتير حواليها من ضمنهم عواد.. موسيقار يعني.. اسمه علي العجمي.

علي العجمي كان الذراع الأيمن لضامنة المغنى.. هي تعلم البت الأنوثة وهو يعلمها الطرب والمغنى.. هي تعلم البت المحن.. وهو يعلم البت المقامات وإمتى تطلع وإمتى تنزل بالعُرب والحليات علشان تشعلل قلب المستمع اللي في أغلب الأحوال كان بيخر من أول كوبليه بتقول فيه يا ليل يا عين.

وده بالظبط اللي حصل مع اتفاق.. اشترتها ضامنة المغنى بأقل من ٤٠٠ درهم.. وسلمتها لعلي العجمي علشان يزنجفها.

ويبدو كده ان اتفاق كانت موهوبة.. برعت في لعب العود والغنى والمحن إلى الدرجة اللي لفتت نظر الكل وأولهم ضامنة المغنى.. اللي شافت ان الشوكولاتة مكانها فوق.. خدتها على قصر السلطان.. اتفاق تعزف وتغني.. والسلطان يبص على مفاتنها وصوتها يضرب في ودنه ومخه ويعمله تربنة.

وقبل ما تخلص قعدة السمر كانت ضامنة المغنى قابضة التمن.. والصالح إسماعيل هيمان في بحور العشق.. اختص نفسه بالجارية اتفاق وقربها منه حتى انها أصبحت محظيته.. بتاعته هو لوحده.. وفيوم من الأيام معرفش يمسك نفسه.. حملت اتفاق وولدت طفل ذكر وبقت أم الواد.. أم الواد يعني مش جارية تاني.. يعني السلطان يموت من هنا وتبقى حرة من هنا وابنها يدخل في الليلة بتاعة صراع العروش.. بعد ما كانت جارية متاحة لأي حد.. بقى عندها فرصة انها تبقى فيوم "أم السلطان".

سبحان العاطي.

الدنيا مضحكتش كتير لاتفاق أيام الصالح إسماعيل.. هو يا دوب بنالها بيت تمنه ٨٠ ألف درهم وشوية عبايات على طرح على جلاليب مطرزين ومطعمين بالجواهر واللؤلؤ غير شوية جواري وعبيد كده يا دوب يشوفوا شغل البيت.

مرض الصالح إسماعيل ومات.. مسك مكانه سلطان كان كريه أوي على الناس اسمه الكامل سيف الدين شعبان.. قال عنه ابن تغري "كان من أشر الملوك ظلما وعسفا وفسقا.. وفى أيامه خربت بلاد كثيرة لشغفه باللهو وعكوفه على معاقرة الخمور وسماع الأغاني وبيع الإقطاعات بالبذل" البذل اللي هو الرشوة يعني.

خد عندك الحتة دي توريك الكامل شعبان كان بيفكر إزاي..

الكامل شعبان كان متجوز بنت أمير الأمراء "بكتمر الساقي".. ده كان رجل له شنه ورنة كبار أوى أيام الناصر قلاوون.. سمع شعبان ان مراته بنت الأكابر لها أخت أحلى منها.. حاول يخطبها لنفسه بس أمها رفضت لأنه لا يصح الجمع بين أختين.. أخت مراته كانت متجوزة ٣ من عيال السلطان قلاوون برضه.. واحد مات وسابها عذراء والتاني مكملش شهرين على العرش واتخلع والتالت يبقى الصالح إسماعيل اللي مات بالمرض وهو اقل من ٢٠ سنة.

طيب يعمل إيه الكامل شعبان علشان يطول مزة المزاميز اللي حكوا كتير عن جمالها دي؟

راح جاي مطلق أختها وكتب عليها ودخل بيها في نفس اليوم.. علشان تنقلب الحزينة إلى عروسة والتمن كانت جوازة أختها.

اسفخص عليك راجل.. هو في حد يبص لحريم أخوه!!!

إيه القرف ده!!

ده مش كده وبس سعادتك.. الحب الحقيقي في حياة الكامل شعبان لا كانوا مراتاته ولاد الأصول ولا ال ٥٠٠ جارية اللي ماليين القلعة.. دي كانت واحدة تانية خالص..

واحده حالكة سواد البشرة وبتعرف تلعب على العود وأول حرف من اسمها.. اتفاق.

اتفاق!!!

مرات أخوه؟

أي نعم.. هي بعينها..

أول ما اتسلطن الكامل شعبان.. جري على اتفاق وكتب عليها وقتي.. اتاريه كان حاطط عينه عليها من فترة وساكت.. الواد اتجوز ٢ من نسوان أخوه.. والدنيا ضحكت أوي في أيام الكامل شعبان لاتفاق.

بقى عندها بيت ما شاء الله يحكوا ويتحاكوا عنه.. لبست من الذهب والجواهر ما كان شديد الندرة.. تمن الطرحة الواحدة من آلاف الطرح الموجودة في خزنة ملابسها كان بيوصل ل ١٠٠٠ درهم.. أصبحت ذات قرار وهيبة هي وخدامها..

حتى ان أمراء المماليك كانوا بيلجأوا إلى أي طواشي من بتوع اتفاق علشان يتوسطلهم عند الست.. والست تتوسط عند السلطان.. والسلطان في دنيا تانية خالص اسمها لم الضرائب والفلوس والفساد والجري ورا النسوان.. فكان طبيعي أن الأمراء تنقلب عليه بسبب أخلاقياته السيئة وبسبب أزمات اقتصادية كتير عصرت مصر وفقرت الناس.

وغار في داهية الكامل شعبان وجه مكانه أخوه اللي اتولد في أيام الحج المبروكة.. المظفر حاجي.

مكانش سنه كبير هو كمان لما قعد على العرش.. يادوب ١٦ سنة هو راخر.. وده يدينا فكرة عام وتصور عن مين اللي فعلا كان بيدير شئون البلاد في الفترة دي..

أمراء المماليك..

بقول آخر.. قادة الجيوش..

العسكر..

أول حاجة عملها المظفر حاجي لما مسك انه أمر بنزول أم السلطان شعبان وكل الحريم والجواري من القلعة ويغوروا في داهية وتتصادر أملاكهم وفلوسهم.. عاوزين نمشي عدل علشان ربنا يباركلنا في الملك والحكم.. تفاءل الأمراء والناس خير.. يبدو ان الراجل ده فعلا راجل محترم.. خصوصا انه كان شجاع وقلبه ميت.

بس الفرحة مدامتش كتير.. أتاري المظفر حاجي هو راخر عينه كانت على الجارية اتفاق.. طلعها القصر واتجوزها في السر.. واللي كسبته في أيام الصالح إسماعيل والكامل شعبان.. كسبت اده ١٠ مرات في أيام المظفر حاجي اللي ساب البلد تضرب تقلب وركز في حاجات تانية خالص.

تخيل يا مؤمن انها قعدت تغنيله فيوم لحد ما اتسطل وراح جاي فارش تحت رجليها ٦٠ حتة حرير أطلس "أغلي أنواع الحرير وقتها" وغطاها بالدنانير الذهب وأهداها ٤ فصوص نادرة و٦ حبات لؤلؤ تمنهم ٤ آلاف دينار!!!

ابن تغري كان هيتجنن من الولية دي.. إيه سرها يعني.. نفسنته بانت أوي في كلامه عنها لما قال:

"وهذا ثالث سلطان من أولاد ابن قلاوون تزوج بهذه الجارية السوداء، وحظيت عنده، فهذا من الغرائب على أنها كانت سوداء حالكة لا مولدة، فإن كان من أجل ضربها بالعود وغنائها، فيمكن من تكون أعلي منها رتبة في ذلك، وتكون بارعة الجمال بالنسبة إلى هذه فسبحان المسخر"

الراجل هيطق من جنابه يا حرام.. بس عنده حق يا جدعان.. هو مكانش في حريم في البلد غير الولية دي علشان ٣ سلاطين أخوات يريلوا عليها كده!!

وبعدين إزاي بس حد يبص لحريم أخوه.. وربنا عيب وميصحش.

الكلام ده معجبش أمراء الخاصكية.. خصوصا الأميرين قرابغا وصمغار.. ودول بالذات لازم السلطان يعملهم ألف حساب لأنهم أمراء الحرس الشخصي بتاعه.. يعني بسهولة جدا ممكن يصطادوه في ليله من الليالي إياها ويخلوه يزعل بجد.

- جرى إيه يا جماعة.. انتو مضايقين من اتفاق ليه.. دي بنت حلال وصوتها حلو
- الغازية لازم تنزل.
- أصل الحكاية.....
- لاازم تنزل.. لازم تنزل.

ونزلت اتفاق من القلعة لابسة عباية تمنها ١٠ آلاف دينار.. بس السلطان كان جدع ومساباهاش تتبهدل.. خدلها بيت مع جواريها وأمر لها بنفقة شهرية يا دوب ٧٠٠٠ دينار ومعاهم عبد علي العواد علشان تستمر ليالي الأنس والفرفشة بعيد عن القلعة وبعيد عن عيون الأمراء اللي فرسهم المظفر حاجي بزيادة وبدل ما كان بيهيص مع الحريم بس.. بقى بيهيص مع الحمام والصيع.. بنى غية حمام كبيرة صرف عليها فلوس البلد ولم ألاضيش البلد وبقوا يلعبوا تحطيب كل يوم قصاد عيون الأمراء اللي هتولع من الغيظ من السلطان العيل وعمايله.

نهاية حاجي كانت متوقعة طبعا.. قبل ما يكمل العشرين هو كمان كان الأمراء جايبين رقبته علشان يحطوا مكانه سلطان تاني عيل هو كمان.. أول أيامه كان اسمه السلطان قماري.. وبعد كده بقى اسمه بدر الدين أبو المعالي الحسن.. المشهور عندنا باسم السلطان الناصر حسن.. صاحب أهم تحفه معمارية إسلاميه موجودة حاليا في ميدان القلعة.

الناصر حسن مكانش له في السود.. هو الوحيد اللي مبصش على الولية دي.. كان مغرم بالحريم آه.. بس الحريم التاني الأبيض اللي زي القشطة.. اتفاق وشلتها راحت عليهم خلاص وفضلت عايشة مع نفسها بعيد عن تركة المظفر الكبيرة اللي فرتكها الأمراء وأولهم السلطان نفسه.

طيب.. اتفاق بقى حصلها إيه؟

الولية دي متطلعش خسرانة أبدا.. لقت ان لعبة السلاطين دي مش تمام ومفيش سلطان بيعمر.. راحت رامية الهلب على الوزير موفق الدين هبة الله بن السعيد إبراهيم.. ده كان من كبار كتاب الناصر محمد بن قلاوون وبقى وزير أيام الصالح صلاح الدين صالح.. وكان برضه من أهل الحظ والفرفشة.. يعني مفتاحه سهل أوي مع اتفاق اللي قدرت تلف عقله لحد ما خصصلها مرتب سنوي قدره ٧٠٠ ألف درهم.

يا قوة الله.. اكتر من ٥٠ ألف درهم في الشهر!!

يهدك ولية.. دي تكلفة تجهيز الجيش المتوسط كانت ٤٠ ألف درهم..

بتعملي إيه بالفلوس دي كلها!!

المهم ان الوزير موفق جرى عليه اللي جرى على الكل في الوقت ده.. وشاية ونميمة واغتيال وتقطيع.. مات موفق وساب اتفاق بفلوسها وجواريها.. كانت عظمتها كبرت بقى ومبقاش فيها أي طمع.. عاشت لوحدها لحد ما ماتت في سلطنة الناصر حسن الثانية.

عارفين الشاهد من الحكاية دي إيه؟

ان البلد دي من قديم الأزل مسيطر عليها أصحاب السيوف.. ومبيفلحش فيها إلا الطبالين والرقاصين.



سفر برلك

تعرف هتنطق الكلمة دي إزاي؟

كلمة سفر العادية بتاعتنا.. وبعدها برلك.. بفتح الباء وتسكين الراء وكسر اللام.. تبقى سَفَرْ بَرْلِك.

بالتركي معناها الترحيل الجماعي.

وفى الترحيل الجماعي دايما قصص وحكايات وروايات.. نفس الحكاية لو سمعتها بودنك اليمين ممكن تعجبك.. ولو سمعتها بودنك الشمال ممكن تسب وتلعن.. حكاوي التاريخ كلها كده.. مهم أوي تسمعها بودانك الاتنين.

مش قادر احدد ان كان التاريخ بيجري ورايا وللا أنا اللي بجري وراه.. خدت أسرتي في زيارة لمدينة رسول الله المنورة في رمضان.. أهي البلد دي ومسجد وقبر الحبيب المصطفى عليه أفضل صلاة وسلام أكاد اجزم بنسبة ١٠٠% انها جزء من الجنة ربنا نزله على الأرض علشان نشوف إيه اللي منتظر المحسنين في الآخرة.. يا بخت أهلها بيها..

المهم يا سيدي إني نزلت أجيب فطار لأسرتي العزيزة بدل ما يفضحوني.. لقيت المسجد والمبنى دول في وشي.

إيه دول بقى؟

◈◈◈◈◈◈◈

سهل أوى أقولك ان ده مسجد الأتراك ودي محطة القطر الموجودة في منطقة العنبرية قرب الحرم النبوي.. سهل كمان أقولك ان المسجد ده اتبنى على الطراز العثماني سنة ١٩٠٨م أيام السلطان عبد الحميد الثاني من الحجر الحرّاوي الأسود الصلب "حجر بازلت بركاني مشهور في المدينة".. بل إني كمان ممكن اعمل فيها عميق وأقولك يا أخي محطة القطر دي تبقى نهاية خط سكك حديد دمشق-الحجاز.. حجاز ديميريولو.. اللي اتعمل سنة ١٩٠٨م.

علشان يسهل حركة الحجاج ويحكم ايد السلطان على أطراف السلطنة.. وسهل كمان أقولك ان المسجد ده كان بيصلي فيه بصورة يومية واحد اسمه عمر فخر الدين مسعود بن محمد ناهد بن عمر المشهور بفخري أو فخر الدين باشا.. وانت تهز راسك وتقول يا سلام.. ياللا.. الله يرحمه.

وتخلص الحدوتة.

أو تبدأ.

البداية جت لما كنت بتابع أخبار السياسة علشان اضحك كالمعتاد على كوميديا مجانية حلال فيها التف على وجه المتحدث وحلال فيها سب أمهات المتحدثين "كما أجمع جمهور المحللين والعلماء" إذا كانوا عرب.. وألاقيلك يا مؤمن خناقة لرب السماء بين وزير خارجية الإمارات وبين بعبع المنطقة الأناضولي.. رجب طيب أردوغان.

الجدع بتاع الإمارات عمل ريتويت لتويتة كتبها طبيب أسنان اسمه علي العراقي بتتكلم عن "مذبحة" عثمانية في المدينة المنورة اسمها سفر برلك.. والاتنين عمالين يغنوا ويردوا على بعض ويعيطوا على وحشية العثمانيين في سنة ١٩١٦م. وقت حدوث سفر برلك.. وأردوغان طبعا مسكتش.. مفيش مبرر منطقي لسكوته الصراحة.. راجل قوي مسنود بحاضر قوي وتاريخ أقوى ولسان حاد ممكن يقلع عيال الخليج دول ملط.. ده غير انه استغفر الله العظيم يارب "منتخب".. يبقى ليه السكوت؟

الخناقة كاملة أهي.

https://www.youtube.com/watch?v=sU73EwHifyo

ما علينا من الردح. لفت نظري الحدث التاريخي نفسه.. خصوصا إني سمعت مصطلح "سفر برلك" ده قبل كده.. فيروز كانت عملت فيلم في السينما سنة ٦٧ يحمل نفس الاسم.. المصطلح نفسه أصبح مطية لأي حد عاوز يعمل بي بي على التاريخ العثماني.. يروح قايل سفر برلك علطول وكده بقى عميق وتاريخي وكده يعني.. طبعا بعد الفيلم بتاع فيروز لازم تكره العثمانيين القساة غلاظ

القلوب.. عكس اللي بيحصل لما تحس إنك بتحبهم أوي لما تخلص قراءة مقالات كنا رجالا أو كتاب من كتب الصلابي أو أي حد من العالم اللي بتريل على تاريخ العثمانيين.

بس الموضوع مش بالسطحية دي.

الموضوع محتاج مشوار بآلة الزمن للخلف.. سنة ١٩١٦م بالظبط.. نقف فوق سطوح التاريخ ونبص بنظرة عامة شاملة نشوف الموقف كله في المنطقة عامل إزاي.

- الحرب العالمية الأولى بتنتهي ومعاها آخر أنفاس الحياة في صدر الرجل العثماني المريض.
- الإنجليز والفرنسيس أخيرا اتفقوا.. بس اتفقوا علينا.. داخلين المنطقة طايحين سرقة واحتلال ونهب وقتل.
- أوروبا بتولع في كذا مكان.. البقرة العثماني وقعت وكل واحد بيحاول يسن سكينة علشان ياخد أي حتة لحمة.
- سايكس وبيكو شغالين في خريطة الشرق الأوسط الجديد.
- الجزيرة العربية تسبح في مية البطيخ.. الشريف حسين أمير مكة بيخطط تخطيط بعيد كل البعد عن المنطق والواقع.
- المدينة المنورة.. آخر حصون الحكم العثماني تنهار.
- مصر لسه بتهتف بحياة الخديو عباس حلمي الثاني رغم انها أصبحت بأوامر الانجليز سلطنة يحكمها سلطان عبيط.

ونحط خطوط كتير تحت الاسم ده.. توماس ادوارد لورانس.

طيب.. كل دول بقى بيعملوا إيه؟

بعد الانجليز ما قدروا يتمكنوا أخيرا من العثمانيين سنة ١٩١٨.. عملوا معاهم معاهدة اسمها معاهدة موندروس.. اعترف فيها العثمانيين بالهزيمة وتفنن الانجليز وقتها في إذلال وتقطيع أوصال الدولة العثمانية عن طريق جاسوسهم الأشهر ظابط المخابرات البريطانية.. توماس ادوارد لورانس.. المشهور عندنا باسم لورانس العرب.. الراجل اللي ضحك على المنطقة بتاعتنا كلها ولبسها

طرح حريمي بشراشيب.. في الوقت ده كانت المدينة المنورة تخضع للحكم العثماني بينما مكة تخضع لحكم الشريف حسين بن علي.. صاحب التطلعات في الاستقلال بحكم الحجاز والخروج بيها من مظلة ومذلة العثمانيين.. مختصر المعاهدة دي كان تسريح الجيش العثماني وانسحاب القوات العثمانية من الدنيا كلها.. تسليم إسطنبول للإنجليز ومعاها كل الأسرى الموجودين عند العثمانيين.. تقروا الفاتحة على أرواح أسراكم عند الانجليز وتلبسوا قميص النوم الأحمر وتستنوا إنجلترا في الأوضة.

شروط مهينة طبعا توضح مدى سوء حالة السلطنة العثمانية في أواخر أيامها.

طيب.. وبعدين.. حصل إيه؟

حصل ان الجاسوس البريطاني لورانس كان حلقة الوصل بين أبو ريالة أمير مكة وبين اللورد كتشنر "المعتمد البريطاني في مصر".. الصفقة جاهزة ومترتبة.. ساعدنا في نفخ العثمانيين.. وهنديلك الحجاز هدية.. مش عارف أنا الصراحة إيه اللي يخليه يصدق وعد زي ده من ناس جاية المنطقة أساسا علشان تهدم المقدسات بعد ما فشلت ٣ مرات قبل كده.. واهو العينة بينة.. الجنرال الفرنساوي هنري جورو دخل دمشق ووقف يستهزأ بقبر صلاح الدين بينما الجنرال اللنبي وقف في فلسطين وقال بكل تبجح يوم ما دخل.. "اليوم انتهت الحروب الصليبية".

طيب انت كشريف حسين.. إزاي تضمن كلمة من ناس زي دي؟

انت كشريف حسين معادي آل سعود ومتفق مع الانجليز.. وآل سعود معادينك ومتفقين مع الانجليز.. وانت وآل سعود معادين العثمانيين اللي هما أساسا معادين الانجليز.. يعني كلكوا اتفقتوا ان العثمانيين ولاد حرام وانجلترا حلوة.

وده طبعا غلط..

ماما هي اللي حلوة مش إنجلترا.

كان طبيعي جدا ان الشريف حسين يلبس أكبر وأعمق خازوق لبسه إنسان في التاريخ.. دا الجزاء العادل للخيانة.. لا طال بلح الشام ولا عنب اليمن.. لا فضل أمير البلد الحرام ولا طال حكم الحجاز.. يا دوب رموله عضمة في غرب نهر الأردن عملها مملكة ليه ولعياله.. ومات ملعون وسيرته في التاريخ مش اكتر من خائن قذر.

نعود للعام ١٩١٦م.

في الوقت ده كان الحاكم العثماني في الشام اسمه أحمد جمال باشا "جمال باشا السفاح".. ده كان من الناس الشديدة أوي اللي ساقت شباب الشام للحرب في صفوف الجيش العثماني زي الخرفان.. ايده كانت تقيلة وطويلة وعنيفة وكمان كان بيحلم بإمبراطورية شامية مستقلة تحت حكمه هو.. بلا عثمانيين بلا بطيخ.. نقدر نعتبر ان سياسات الراجل ده كانت السبب العلني المباشر لثورة الدول العربية على الحكم العثماني.

وبعدين؟

جمال باشا استشعر الخطر على المدينة المنورة.. فطلب من واحد من أخلص رجالته انه يروح يمسك الموقف هناك علشان يأمن حدود السلطنة اللي بتنهار.. كمان في مشروع خط سكة حديد شغال بين دمشق والمدينة المنورة.. مش هينفع نشتغل فيه أكيد والقلق ده موجود.

وكان الراجل ده هو فخر الدين باشا.. موضوع الخناقة بين بن زايد وبين أردوغان.

فخر الدين باشا مسك الحكم في المدينة كآخر حاكم عثماني لها والدنيا كانت مولعة.. الثورات حواليه من كل ناحية.. الصحراء وجوها المرعب.. جفاف رهيب وأمراض عمالة تنتشر كل شوية بين العساكر.. قواته كلها كانت ١٥ ألف.. يعني لو كل شهر جاله وباء.. يبقى ممكن الحامية كلها تروح فطيس من غير حرب.

طيب إيه المطلوب من فخر الدين باشا بالظبط؟

المطلوب هو الدفاع عن المدينة المنورة بكل ما أوتي من قوة.. مدينة رسول الله لا يمكن تقع في ايدين الانجليز مهما كان التمن.

طيب.. هل نجح فخر الدين باشا؟

كتب التاريخ بتقول انه فضل يدافع عن البلد ٣١ شهر كاملة قبل السقوط.. رغم اتفاق الشريف حسين وقواته مع الجاسوس لورانس وهجماتهم المستمرة عليه.. رغم خط التلغراف اللي قطعوه وخط السكة الحديد اللي كسروه.. رغم العزلة اللي كانت فيها وانقطاع الاتصال تماما بينه وبين القيادة.. إلا ان الراجل فضل متماسك.

- فخر الدين باشا.. أكل يوك!!
- كلوا الجراد فالاد
- باشا.. مية يوك!!
- افحتوا الأرض فالاد
- طيب المدنيين هنعمل فيهم إيه؟
- اممم فالاد.. انتي ودي أهل المدينة برا.. انتي اعملي "سفربرلك"

ومن هنا بدأ العك.

لك ان تتخيل عسكر بيخرجوا مدنيين من بلدهم وقت الحرب علشان يتفرغوا للدفاع عنها ضد هجمات الانجليز.. وارد طبعا ان يحصل تجاوزات.. وارد ان العسكر بأدمغتهم الضيقة وفكرهم المحدود ورفضهم للنقاش يستعملوا العنف مع المدنيين الرغايين اللي بيحبوا الهري والتناحة والسؤال عن كل حاجة.. وارد جدا إنك تقرأ في كتب "القوميين" اسم مذبحة على الحدث ده.. بينما في كتب "الإسلاميين" تقرا عن الحدث ده وكأنه فتح عظيم.

الإطار العام للحدث ان فخر الدين باشا قدر يتم بناء خط السكة الحديد.. وقدر يدافع عن المدينة بقوة.. هجّر الناس من بيوتهم إلى مدن في الشام ومصر والعراق وتركيا.. قدر يجمع ٣٠ أثر من المقدسات الإسلامية في المنطقة ويشحنها على إسطنبول في قطر مخصوص سموه قطار الأمانات المقدسة.. الآثار دي ما زالت معروضة حتى هذه اللحظة في قاعة الأمانات المقدسة في قصر طوب

كابي.. شفتها فعلا ولكن كان ممنوع التصوير.. هي عبارة عن ملابس للرسول آل البيت.. سيف الرسول وسيوف الصحابة.. مقتنيات ترجع لسيدنا يوسف وسيدنا إبراهيم وجزء من سفينة نوح.. الكشف الجيولوجي قدر يحدد عمر تقريبي للآثار دي.. لكن كلمة الفصل النهاية عند الله عز وجل ان كانت حقيقة أم خداع.

القصة بالودن اليمين ان ده كان رجل صالح قوى ومقاتل عظيم شديد المحبة للرسول عليه الصلاة والسلام.. الانجليز بنفسه سموه "نمر الصحراء التركي".. رفض تسليم المدينة رغم انه جاله أمر سلطاني بالتسليم.. بدأ ترحيل أهل المدينة علشان يجنبهم كم المتفجرات والبارود والحرب وعلشان يضمن ان محدش فيهم يضعف قصاد أي إغراء إنجليزي.. أنشأ الفرقة الزراعية في الجيش علشان يتغلب على نقص الغذاء.. كان كل ما يخطب في الجنود وأهل المدينة الناس تعيط وتهتف باسمه..

يقول الباحث العراقي أورخان محمد علي مثلا:

"وبدأ الطعام يقل في المدينة، كما شحت الأدوية، وتفشت الأمراض بين جنود الحامية، وجمع فخر الدين باشا ضباطه للاستشارة حول هذا الظرف العصيب، كان يريد أن يعرف ماذا يقترحون، ومعرفة مدى إصرارهم في الاستمرار في الدفاع عن المدينة، اجتمعوا في الصحن الشريف، في الروضة المطهرة في صلاة الظهر، أدى الجميع الصلاة في خشوع يتخلله بكاء صامت ونشيج، ثم ارتقى فخر الدين باشا المنبر وهو ملتف بالعلم العثماني وخطب في الضباط خطبة كانت قطرات دموعه أكثر من عدد كلماته، وبكى الضباط حتى علا نحيبهم، وقال: لن نستسلم أبدًا ولن نسلم مدينة الرسول لا للإنجليز ولا لحلفائهم.. ثم نزل من المنبر فاحتضنه الضباط وهم يبكون، اقترب من القائد العثماني أحد سكان المدينة الأصليين واحتضنه وقبَّله وقال له: أنت مدنيّ من الآن فصاعدًا.. أنت من أهل المدينة يا سيدي القائد".

ولما المدينة وقعت.. فضل فخر الدين باشا واقف لوحده يحمي قبر الرسول حتى انهم اضطروا يخرجوه من مسجد الرسول قسرا وكان عاري الصدر بسبب حرارة الجو.. وكان يوم خروجه تاريخي هتفت فيه الناس بحياته.

القصة بالودن الشمال انه كان راجل متوحش ولص وحرامي سرق فلوس واكل أهل المدينة وعساكره سحلت النسوان على الأرض ومرحموش العجائز ولا الأطفال وهما بيطردوهم من بيوتهم ومساكنهم.. تحولت المدينة من مكان يهاجر الناس إليه إلى مكان يهجر الناس منه.. ارتفعت أصوات النواح وتغنى الناس بأبيات من شعر الرثاء والحزن والنواح على الأموات.. يصرخ القوميون بظلم العثمانيين وبيسألوا بأي حق يسرق العثماني آثار النبي ويهجر أهل الأرض من بلدهم علشان بس يوفر الأكل للعسكر العثماني بعد ما الحمى الاسبانية والإسقربوط ضربوا في الجيش.

بالودن الشمال هتلاقي أبيات شعر مثلا كتبها واحد اسمه شكري البغدادي بيوصف فيها حال المدينة وأعمال فخر الدين باشا:

أفعاله السود قد أضحت بلا عدد فليس أوراق هذا العصر تحصيها

لا يعرف الظلم إلا من يكابده ولا المجاعة إلا من يعانيها

الناس أخرجها والدور هدمها والخلق غادرها تشكو لباريها

التمر صادره والمال جمعه والناس قاست جوعاً وكفاً لا يعطيها

القصة الأقرب للمنطقية ذكرها المؤرخ العراقي أورخان محمد علي في بحث مفصل نشره في مئوية الحادث.. كمان في محاضرة عملها باحث سعودي اسمه عائض الردادي سنة ٢٠١٥ أتكلم فيها عن أحداث وردت في مذكرات الظابط ناجي كاشف كجمان.. وده واحد من الظباط المقربين لفخري باشا وكان حاضر الحادث.. والحقيقة الظابط العثماني قال بلاوي يمنعني من ذكرها خوفي على أكل عيشي في البلد دي.

يتبقى سؤال علشان نقدرنحكم على الراجل فعلا ان كام مجرم وللا لأ.

لو مكانش فخر الدين باشا أمر بترحيل الآثار المقدسة إلى إسطنبول.. كان زمانها فين دلوقتي؟

اعتقد انها كانت هتبقى معروضة في المتحف البريطاني زي حجر رشيد مثلا بدل ما هي معروضة حاليا في بلد إسلامي في كل الأحوال.

بس كده..

كل الحوارات دي جت في دماغي وأنا واقف في نص الشارع أتفرج على المسجد الموجود في أول صورة.. نسيت خالص ان الساعة ٦:٥٥م وفاضل ٥ دقائق على آذان المغرب وأنا مجبتش فطارومش هلحق طبعا والبيت مفيهوش أكل.

مراتي هتنفخني!!!

مصادر

الأمانات المقدسة في قصر طوب كابى https://www.dailysabah.com/.../pictures-sacred-relics-in-topk...

د. عائض الردادى – فخري باشا الظالم والمظلوم – المحاضرة الكاملة https://www.youtube.com/watch?v=EAhQqQwg_f4

الدفاع عن المدينة المنورة – ناجي كاشف كجمان

ذكرياتي عن الثورة العربية - فايز الغصين

العهود الثلاثة - محمد حسين زيدان

سفر برلك وجلاء أهل المدينة المنورة – سعد بن وليد طوله

الدفاع عن المدينة: آخر العثمانيين في ظلال نبينا – فريدون قاندمرا

فصول من تاريخ المدينة المنورة - علي حافظ



فخر الدين باشا



فخر الدين باشا أعلى قطار الأمانات المقدسة



فخر الدين باشا فى الحرم النبوي



مسجد الأتراك "العنبريه"



الترحيل الجماعى لأهل المدينة

ساقي العطاشى يا عباسي

مش عارف ليه كل ما أزور قبة السيدة نفيسة العلوم (٨) حفيدة حفيد ستنا فاطمة بنت سيد الخلق عليه الصلاة والسلام بعد السلام والتحية وذكر سيد الخلق بما نحب ولا يرقى لخلقه العالي وذكره الغالي علطول تيجي في بالي كلمات فؤاد حداد..

وسجدنا في براح السيدة نفيسة.. إذ قال جدها.. الأرض مسجدي

وبدمع من سماح.. قربت إلى السماء.. الأرض المستغيثة وبلال مسعد

حرما يا سيدي..

السيدة نفيسة بتفكرني دايما بالشيخ الشعراوي وكرمه وجوده وحسن أخلاقه.. تكيته ما زالت موجودة في مواجهة قبة المسجد الذهبية.. نفس القبة اللي بتفكرني برضة بالخلفاء العباسيين.

عباسيين!!

إيه العلاقة؟



حضرتك لما تخرج من مسجد السيدة نفيسة وتاخد أول يمين في أول يمين علطول.. هتلاقي قهوة بلدي قصادها مجاذيب السيدة بلبسهم المميز والسبح حوالين رقابيهم.. بعدهم علطول هتلاقي على اليمين باب حديد مقفول قاعد قصاده موظف ميري هتعرفه من شكله.. اديله خمسة جنيه بالظبط وهيفتحلك الباب.. ادخل جوا واتصدم.

شايف القبة الكبيرة دي؟؟

اهو دي تبقى مقبرة العباسيين.

(٨) هي السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن بن علي بن أبي طالب

يااااه على الزمن يا ناس..

العباسيين!!

بعد العز والجاه والأبهة والخلافة والقصور والحروب والفتوحات والأدب والشعر والعمارة والفنون وهارون الرشيد..

ينتهي الحال بقبة تعبانة خالص في مكان مهمل خلف مسجد السيدة نفيسة؟

إيه اللي جاب العباسيين هنا!!

مصر دي غريبة أوي..

فيها كل حاجة وأي حاجة.. بلد عرفت النور قبل النور ما ينور ظلمات اللي حايشين عننا النور دلوقتي.

بالك انت لو قلتلك ان مصر عرفت نظام حكم يشبه الملكية الدستورية بتاع ممالك أوروبا اللي مصدعينا بيه دلوقتي.. هتصدقني؟

طيب اسمع يا سيدي.. اسمع وارجع معايا شوية لورا كده..

النهاردة إيه من أيام ربنا؟

النهاردة ١٠ فبراير سنة ١٢٥٨ بالميلادي.. أو تاسع يوم من تاني شهر بعد ٦٥٦ سنة من هجرة النبي للمدينة.

بص حواليك كده؟؟ بتشبه على بغداد؟؟

آه يا أخي.. هي بغداد صحيح.. القصور الفخمة والمساجد الواسعة الكبيرة أم مآذن مميزة أوي.. الناس اللي رغد العيشة باين على وشهم لدرجة انتشار بيوت "ولا مؤاخذة" اللهو في كل مكان.. الخلفاء بلبسهم الأسود الفخم المميز.. نسل عم النبي العباس بيحكم العالم الإسلامي من هنا.. بقالهم كتير أوي في الحكم من بعد ما قطعوا رقبة آخر حكام بنى أمية "مروان الثاني" في مصر.. بيحكموا ومتهنيين بالحكم.. الدنيا حلوة وصوت الصخب عالي في القصر.. قصائد الغزل في الجواري والغلمان تقول ان الناس دي في اليومين دول نسيت كل حاجة ومركزة في نصها التحتاني وبس.. صوت الموسيقى والطرب كان عالي أوي في قصر الخلافة.. كان عالي إلى درجة انهم مسمعوش صوت حوافر خيل المغول وهما على أبواب بغداد.

طيب مشافوش غبار الخيل اللي جاية تهجم بالآلاف؟؟

لا حضرتك.. أصل الوزير ابن العلقمي كان شيطان بيعرف يلف السجاير كويس أوي.. لف جوان محترم خلى دماغ الخليفة لفت بصحبة جارية بيضاء مربربة.. اتسطل الخليفة من هنا.. وقطع المغول عليه خلوته من هنا.. دخلوا بغداد وجابوا عاليها واطيها.. مات في الأيام دي ألف ألف نفس يا إما بالذبح من شياطين المغول.. يا إما بالمرض بعد ما الوباء انتشر بفعل الجثث المرمية في كل مكان.

طب والخليفة المتبغدد في العز.. عملوا معاه إيه؟

بعد ما ذلوه ذل الكلاب.. لفوه في سجاد فخيم من اللي كان فارش بيهم قصره.. ولعبوا بيه كورة علشان يموت الخليفة مضروب بالشلاليت.. لا مطعون ولا مقطوع رقبته.. دم الخليفة لم يسيل علشان يبقى في ثأر.. موتة زي الزفت لا تليق أبدا بالمستعصم بالله المفترى عليه.. حكايته حكاية الراجل ده.. بس مش وقته.

طيب وبني العباس حصلهم إيه؟؟

في اللي هرب يمين واللي هرب شمال.. في اللي استخبى تحت الأرض وقالك ياللا نفسي.. وفى اللي ربنا كتبلهم النجاة زي "أبو العباس أحمد".. اللي قدر يزوغ على الشام ومعاه ٥٠ فارس.. دخل الشام متخفي.. الرعب اللي شافه من أسبوع خلاه ينسى هو مين وابن مين.. عاش في الشام عيشة العامة من الناس وهو ابن الأشراف.. عاش ساكت ومذلول ملوش عين يرفعها في أي حد ويقوله انت عارف انت بتكلم مين؟

كان يقعد كده يفتكر كلام ابن سكره الهاشمي وهو بينافق جدوده وبيلقح كلام على آل أبو طالب وبيقول:

إن الخلافة مذ قامت ومذ بدأت معقودة بفتى من آل عباسِ

إذا انقضى عمر ذا قام ذا خلفا فلاحت الشمس وامتدت على الناسِ

فقل لمن يرتجيها وغيرهم سفها لو شئت روحت كرب الظن باليأس

يفتكر أبو العباس الكلام ده.. ويعيط "أو يضحك في سره" من قسوة الأيام على كل من فكر ان الدنيا دايمة على حال.

بس في أخبار حلوة أهو..

في جيش جرار جاي من مصر.. أي نعم دي عيال ترك مماليك.. ملهمش عهد ولا أمان.. إنما مسلمين وسمعتهم في الحرب حلوة وأنا واخويا على ابن عمي.. جايز يعملوا حساب للدين ويكون ليهم شأن مع العالم اللي شبه بعض دي.. والعيال الترك ينتصروا على المغول.. المظفر قطز وبيبرس البندقداري وجمال الدين آقوش عملوا شغل عالي أوي مع المغول.. شغلوا فيهم القتل والذبح لحد ما المغول قالوا يا فكيك.. ابعدنا يا عم عن الأرض دي أحسن فيها عيال معندهاش يامه ارحميني.

وسمع قطز عن أبو العباس أحمد.. جابه وقعدوا اتكلموا سوا.. متقلقش يا ابن عمي.. إحنا معاكو بالرجالة والنبابيت لحد ما نرجعك تاني على كرسي الحكم في بغداد..

- ونعم الفتونة يا قطز
- ونعم الأخوة يا عبس

بس قطز ملحقش ينفذ كلامه.. بيبرس غدر بيه في طريق العودة من النصر.. بيبرس راخر مش سهل.. عنده طموحات وتطلعات ورؤية.. شايف نفسه يقدر يبني دولة قوية بدراعه.. مع السلامة يا قطز.. أشوفك ان شاء الله في الجنة.. زوووووو... وراح ملبسه الخنجر في فم المعدة.

ورجع بيبرس على مصر.. فارس الدين أقطاي المستعرب قعده على العرش.. وبقى اسمه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس العلائي البندقداري النجمي الصالحي.. أبو الفتوح والغزوات.. صاحب أكبر عدد من الفتوح حصلت في تاريخ دولة المماليك في مصر.. أو المؤسس الحقيقي لدولة المماليك البحرية في مصر.

بس في مشكلة بقى..

الشيخ العز بن عبد السلام رفض الموافقة على الهسس ده.. مملوك إيه اللي يمسك حكم المسلمين.. ده عبد ولا يسوى.. يعني هو يا نسوان يا مماليك.. إيه البلد دي.. لا يا حلو انت وهو.. الكلام ده عند أم ترتر.

وخرج الشيخ العز من مصر غاضب.. بيبرس قاله مع السلامة يا شقيق.. سي يو.. متنساش تاخد الباب في ايدك.. ومش فدماغه خالص إيه اللي ممكن يحصل بعد كده.. اهو شيخ مخرف خرج غضبان.. يا هيموت من الجوع يا من الطريق.

صحي بيبرس تاني يوم على صوت مصر كلها وهي خارجة ورا الشيخ.. يا وقعتك السودة يا بيبرس.. هتحكم بلد فاضية؟

خرج بيبرس ورا الشيخ يجري ويتكفى في هدومه الواسعة.. هو قتل قطز آه.. إنما الشيخ العز.. هيهات.. ده بس لو داس على طرف خياله.. مش بعيد الناس دي تاخده فوق سطوح الواد حماده التركماني الصالحي النجمي وتعمل معاه السليمة.

هتعمل إيه يا بيبرس؟؟

إحنا نعمل اتفاق.. الجدع العباسي اللي قطز لقاه في الشام ده نجيبه هنا.. يشتريني ويعتقني لوجه الله.. هو يبقى خليفة المسلمين وندعيله في المساجد.. وأنا أبقى أسيّر أمور الدولة باسمه.. يعني يبقى كده زي ملكة إنجلترا وأنا الوزير المنتخب.

- بقيت حر أهو مش عبد.. ماشي يا مولانا.. أحكم بقى؟
- على بركة الله يا بيبرس يا ابني.. إحنا بنشتري راجل.
- لا مش كده وبس.. ده أنا هبعت معاه كمان عساكر وسلاح علشان نستعيد ملك العباسي من المغول الكفار.. طالما رقعناهم علقة هنا.. يبقى بعون الله نعلم عليهم في أي مكان.

بس الأمور مكانتش وردية أوي كده..

بيبرس سمع لدسائس مماليكه.. خافوا العباسي ينتصر في العراق ويرجع الملك تاني ويرتد علشان يحارب بيبرس وملكه في الشام ومصر.. كده كده بيبرس لسه اسمه بالقلم الرصاص ومش عاوزين قلق لحد ما نقعد كده والعملية تحلى.

طبعا القصة بعد كده متوقعة.. كام عسكري أي كلام يبعتهم بيبرس مع أبو العباس.. هزيمة من المغول... أبو العباس يختفي.. نجيب مكانه واحد تاني

عباسي برضه اسمه "أبو القاسم أحمد".. يختفي تماما صوت الشيخ العز بن عبد السلام طالما ان الجالس على العرش مش مملوك ولا عبد.. يبقى خلاص.. ملوش حاجة.

وبيبرس فرحان بالعرش.. يشيل خليفة عباسي ويحط خليفة عباسي تاني مكانه.. اللي شكله ميعجبوش يديله استمارة ٦ ويقعده في بيتهم.. ومشى على المنوال ده من بعد بيبرس قلاوون وعياله.. لحد ما وصل عدد خلفاء بنى العباس في مصر أيام دولة المماليك إلى ٢٢ خليفة في الفترة من ١٢٦٠ إلى ١٥١٧.

طيب اشمعنى ١٥١٧م يعني؟؟

آه.. ماهو دي السنة اللي ظهرت فيها قوة جديدة على مسرح الأحداث.. ولاد عثمان اللبانين في أي حتة مسمعين.. جحافل جيوش سليم الأول دخلت مصر وأسقطت حكم المماليك تماما.. واتكعبلوا في العباسيين في السكة.. فشالوهم هما كمان.. آخر خليفة عباسي في مصر كان اسمه "المتوكل على الله الثالث".. شحنوه على إسطنبول.. عملوا فيه إيه هناك بقى؟؟

أكيد مش حاجة كويسة.. ولكن بشكل شخصي.. لا أتوقع انهم قتلوه بالرغم من انهم قتلوا طومان باي المملوك في مصر.. طومان باي كان محارب.. إنما صاحبنا المتوكل ده كان وديع أوي.. مفيش منه قلق ولا خوف يعني.

٢٢ خليفة يا آخى يموتوا ويندفنوا تحت القبة دي.. مدفن لا يليق أبدا بسلاسة العباس.. ده يا دوب كان فيه أولاد بيبرس من بعده.. يقوم يندفن فيه خلفاء؟

طيب المصريين كان رأيهم إيه في الليلة دي؟

المصريين كانوا بيحبوا ال البيت جدا.. ولكن لو حصل أي قلق بين الخليفة "الصوري" وبين الحاكم العسكري أبو سيوف ورماح.. يبقى الحاكم العسكري أولى بالطاعة.. مخدناش من الخلافة غير وجع القلب.

طيب لما المماليك وقعوا.. ليه المصريين متلموش كلهم مع بعض كده حوالين اللي فاضل من ولاد العباس علشان يقاوموا الغزو العثماني؟ كتابات الشيخ بدر الدين الزيتوني وتأريخ ابن إياس الحنفي بيقول بوضوح ان مصر فجعت في

عسكر سليم وكانت كارهة الحكم ده تماما.. طيب مانتو عندكو شرعية من نوع تاني يا جدعان.. ال البيت اهو.. ناقص إيه بقى؟؟

مش ناقص حاجة.. إحنا لسه هنقوم ونعمل ثورة على سليم ويحدفوا علينا غازات ويحصل اللي كلنا عارفينه..

يا عم بقي.. خلينا في اللي نعرفه أحسن.

يااااه على الزمن..

بقى ساقي العطاشى.. ينتهي كده!!

سبحان من له الدوام.



قبة العباسيين الموجودة خلف مسجد السيدة نفيسة

الصالح "لا مؤاخذة "طلائع

مفيش حد صالح كله بتاع مصالح "اقتباس من الأديب الإمام محمد رمضان".



لما تخلص شارع المعز كمل علطول علشان تعدي شارع الأزهر والغورية.. عدي البوابة الموجودة بعد بيت نفيسة البيضاء وأقف خمسة كده وضهرك لباب زويلة.. بص قصادك على الشمال شوية.. بعدها هتلاقي نفسك محتار.. يا ترى تبص وراك وتقف باحترام علشان تقرا الفاتحة على روح سلطان عاش محترم ومات شجاع بعد ما قعد على الكرسي "مكره" ٤ شهور قدر يختم فيهم تراث مماليك الشركس في مصر بنهاية كويسة على عكس سيرة حياتهم المهببة في اغلبها.. وللا تبص قصادك وتتف على الأرض؟

هتتف فين.. مش فارق.. يمينك ينفع وشمالك ينفع.. ان كان سبيل فرج بن برقوق وللا مسجد الصالح طلائع.. مش هتتف على الجامع والعياذ بالله.. إنما على النصاب اللي بنى الجامع ده.

فاكرين عبد الغفور البرعي لما طلق إشاعة في وكالة البلح انه لقى كنز علشان يعمل لنفسه كيان وحيثية يقدر بيهم انه يدخل المزادات ويقفش اللي يقدر عليه وسط الحيتان الكبار وفى ضهره طبعا المعلم إبراهيم سردينة؟

المسلسل كان جامد أوى.. خصوصاً ان الحركة الاونطا دي حصلت في التاريخ قبل كده.. الفرق بس الكنز مكانش كنز..

كان أغلى من الكنز بشوية..

امتى وفين وإزاي ومين؟؟

اسمع يا سيدي..

زمان كانت العمارة حاجة من اثنين.. يا قصور يا جوامع.. اللي يحب يخلد سيرته في التاريخ كان يبني قصر منيف مليان برك وأجنحة وزخارف بالذهب وأبراج وأبواب عالية وخدم وحرس وحشم ومعاهم يضحي بسمعته كرجل تقي أو حاكم ورع أو وزير عادل.. ومش بعيد كمان يضحي معاهم بسمعته كراجل من أساسه.. يا إما يبني مسجد يرتل فيه القرآن الكريم ومعاه مدرسة للعيال تحفظهم آيات ربهم وبالمرة الناس تتجمع وتصلي في المسجد وتدعى لبانيه بالمغفرة والرحمة.. لعل وعسى دعاء واحد من الصالحين يتقبل ويشيل من على أكتاف اللي بنى المسجد هم.. حاكم الناس دي كتافها شايلة بلاوي كتير أوي.

من الناس دي بقى.. الصالح طلائع.

هو طلائع بن رزيك بن الملك الصالح الغسان.. مش معروف مولود فين.. شوية بيقولوا أمازيغي.. شوية بيقولوا ارمني.. شوية تالتين بيقولوا انه ابن الأمير بدر الدين الجمالي "أمير الجيوش وحاكم الشام اللي الخليفة الفاطمي المستنصر بالله استعان بيه علشان ينقذ مصر من سنين الشدة الصعبة".. المؤرخين برضه ساعات بتحدف منهم.. عموما.. اغلب الآراء بتقول انه اتولد في أرمينيا سنة ١١٠١م. نشأ وكبر في مصر فقير وشحات ولا حيلته ابيض ولا اسود.. وزي أي شيعي متدين راح مع أبوه زيارة لقبر سيدنا علي في النجف "العراق".. وهناك اخترع حدوتة عبد الغفور البرعي دي.

قال يا سيدي خادم الضريح خرج من معتكفه مرة واحدة كده وقعد ينادي..

- فين طلائع بن رزيك.. فين طلائع بن رزيك
- أنا يا فندم.. أنا طلائع
- أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بيقولك يا طلائع روح على مصر عشان هتملكها قريب.
- يا بركة يا بركة.. أوامر سيدي الإمام.

ورجع طلائع على مصر بالحدوتة دي.. وبقدرة قادر بقى حاكم مدينة في الصعيد اسمها منية أبو خصيب.. اللي نعرفها إحنا دلوقتي باسم المنيا عروس الصعيد.

أوعى تنسى ان مصر وقتها كانت شيعية وكانت في أواخر أيام الفاطميين.. يعني بخلاف خرافات الشيعة.. الدولة كانت في أسوأ أحوالها سياسيا.. يعني متستغربش ان الراجل مسك الحكم بالدروشة وحواديت ألف ليلة.

الصالح طلائع اتبسط بالمنيا وعايش حياته سعيد ٢٤ قيراط.. راجل شاعر وفنان كل كام يوم يكتب قصيدة جديدة في مدح ومحبة آل البيت.. مكانش عنده أي طموح في أي شيء.. لولا ان الظروف ضحكت في وشه من وسع مرة واحدة كده.. فقرر بعدها انه يغرف من طبق الفتة اللي اسمه مصر.. وبدل ما تبقى المنيا.. تبقى المحروسة كلها.. اشمعنى هو يعني.

الأيام دي كانت مصر بزرميط خالص.. ظهر فيها وزير مستقوي نفسه ومستعفي على الشعب اسمه أبو الفتوح عباس الصنهاجي.. الراجل ده وصل إلى قمة غروره سنة ١١٥٤م وراح جاي قاتل الخليفة الظافر بأمر الله وقعد مكانه ابنه الفائز بدين الله اللي كان عيل عمره ٥ سنين بس.. طبعا معروف هو قعده على العرش ليه.. الكلام ده معجبش أهل القصر وطبقة الكريمة اللي عايمة على وش الفتة.. جريوا على ولي من أولياء الله الصالحين.. الصالح طلائع بتاع المنيا.. الحقنا يا مبروك.. نستحلفك براس الحسين.. أنقذنا من عباس وبلاويه.

وطلائع مكدبش خبر..

لم الرجالة ونزل على مصر.. حارب الوزير عباس وعمل منه عبرة بعد ما هزمه.. علقه على الصليب علشان الرايح والجاي يعتبر ويتعظ.. أدي آخرة كل اللي يضايق الخليفة الفاطمي ظل الله في الأرض.. كله إلا الخليفة يا كلاب.. ده حبيبي وابن حبيبي.

تمشي الأمور حلاوة مع الصالح طلائع.. الحدوتة عاملة شغل عالي أوي.. ٦ سنين بالعدد ويموت الخليفة الطفل "الفائز بدين الله" ويقوم الصالح طلائع يقعد عيل تاني مكانه سنه ٩ سنين ويروح مسميه العاضد لدين الله.. اهو من البيت الفاطمي برضه وينفع خليفة.. طالما هنحط في اسمه اسم الله هيبقى شغال.. العاضد لدين الله.. الفائز بدين الله.. المحب لدين الله.. أعوذ بالله حتى.. كله حلو.

المهم يا سيدي.. بدل ما كان الوزير عباس هو اللي بيسرق وينهب ومسيطر على الخليفة الطفل الأولاني.. بقى الوزير الصالح طلائع هو اللي بيسرق وينهب ومسيطر على الخليفة الطفل التاني.. الفرق بس ان الإمام علي وصى بالحكم للصالح طلائع بينما الوزير عباس كان إخوان مسلمين شكله كده.. وكده كده الناس متعودين ان الخليفة ده ندعيله في صلاة الجمعة بس.. الحاكم الفعلي هو الوزير الأول.

يا حلاوة.. شغلانة الدين في السياسة دي شكلها بتكسب أوي.

في نفس التوقيت.. الجماعة الصليبيين في الشام مهيصين مع الحريم بعد ما عسقلان وقعت في أيديهم من سنتين وشوية.. أهل القصر مش عاجبهم الصالح طلائع وعمايله السوداء.. الراجل كان طايح في البلد ولا كأنها بلد أبوه.. هو الآمر الناهي فعليا والخليفة عيل صغير مش قادر يعمل أي حاجة.. اللي يرفع صوته بكلمة لأ.. طلائع يركبه المرجيحة علطول.. وفي كمان أخبار زي الزفت ان الصليبيين هينبشوا المشهد الحسيني في عسقلان علشان يطلعوا راس الحسين.. والله اعلم هيعملوا فيها إيه.. ال يعني الأحوال ناقصة زفت.

يا لهوى.. إلا راس الحسين.. تغور البلد كلها.. إلا راس الحسين.

إلا راس الحسين.

طبعا الليلة دي كلها متعديش من صاحبنا طلائع.. الراجل كان عايش حياته بالدروشة.. اللي خلى دعوة الإمام على تركبه الحكم في المنيا.. يخلى راس الحسين تمكنه تماما من القصر.. واهو كلهم من آل البيت.

الراجل مكدبش خبر.. عمل اتفاق مع المخنوقين في القصر دول.. إحنا نعمل حملة سياسية كبيرة علشان نسترد راس الحسين من المشهد الموجود في عسقلان وندفنها في مصر هنا.. وآدي دليل الجدية بتاعي اهو.. أنا بنيت جامع كبير أوي عالي عن الأرض ومليان زخارف وشغل معمار زي الفل.. حاجة اوستيك وشغل فنادق أبهة تليق براس الحسين.. إحنا نهجم على الجماعة الكفار دول.. نسترد راس الحسين وندفنها هنا.. ان معرفناش ناخد الراس بالحرب.. يبقى ندفع فلوس بالهبل وناخدها.

زي الفل..

اختفي طلائع شوية كده ورجع معاه كيس حرير أخضر مقفول محطوط على كرسي أبنوس اسود متعطر.. راس الحسين أهي يا جدعان.. احتفال مهيب في داخل المسجد بغسل راس الحسين والكيس مقفول.. حتى الحوض الخشب اللي غسلوا فيه الراس "زي ما قال" موجودة لحد النهاردة في المسجد.. الناس بره المسجد بتهتف للصالح طلائع "والكيس لسه مقفول" بينما الخليفة واقع من الحدوتة خالص.. لا يا جدعان.. ميصحش كده.. بعد خناقة كبيرة بين الخليفة وبين الصالح طلائع.. اتفقوا ان الراس هيتغسل في مسجد طلائع "والكيس مقفول".. بس هيندفن في قصر الخليفة المهيب "والكيس مقفول برضه".. وفعلا اتحرك الكرسي الخشب اللي شايل "الكيس المقفول" من مسجد الصالح طلائع إلى قصر الخليفة اللي الزمن دار عليه ومبقاش قصر خالص.. بقى مسجد سيدنا الحسين المحاط بكل أنواع الأفاقين والدجالين والنصابين حاليا.. واللي إعلامي معين حاليا بيسترزق من وراه كل سنة في موسم عاشوراء عن طريق استضافة شوية بهاليل صيع ييجوا يصدعونا بكلام فاضي عن حقهم في إقامة حسينيات وأي كلام فارغ حوالين المسجد.

نبص بصة سريعة كده على مصروقتها بقى.. عاوزين نشوف الصالح بطيخ ده عمل إيه بعد كده.

الراجل فجر ومبقاش حد عارف يلمه.. يعين ده ويشيل ده.. يذبح ده ويقبض من ده.. بقى دولة فوق الدولة.. يملك نص أراضي المحروسة.. كلامه أعلى من كلام الخليفة.. فلوس البلد انتقلت من بيت المال إلى ديوان وزارة الصالح طلائع وبقت تحت أمره.. الدراويش في كل مكان بتغني سيرة الراجل اللي الإمام علي قاله روح املك مصر واللي جاب راس الحسين من بق العو.

الراجل بقى ولا كمال الشاذلي فعز مجده..

بس الراجل يظهر نسى ان كرسي الحكم في مصر ملوش أمان أبدا.. نفس الناس اللي رفعته على الأعناق علشان يخلصهم من الوزير عباس الصنهاجي.. هما نفس الناس اللي خططوا ودبروا وعملوا مؤامرة متخرش المية علشان يخلصوا منه.

إيه اللي وقع زيد في عبيد طيب؟؟

الخليفة وطلائع صحاب وزي الفل.. أساسا طلائع هو اللي نصب العيل ده وخلاه خليفة.. بس يظهر كده ان منصب الوزير الأول مكانش مالي عين صاحبنا.. جه فيوم وعرض على الخليفة عروسة بنت بنوت وصغار تنفع للجواز والخلفة..

- مين دي يا طلائع؟
- دي بنتي يا مولاي الخليفة.
- سوري.. أنا مش بفكر في الجواز دلوقتي.. استنى لما ابلغ الأول علشان اعرف اعمل اللي بالى بالك.
- شكرا يا مولاي.. الاهتمام مش بيتطلب على فكرة

وكبر في نفس الصالح طلائع رفض الخليفة له.. إزاي الخليفة العيل ده يرفض يتجوز بنته ويخلف منها عيل تاني يورث منه الحكم بعد كده ويقيم دولة الطلائعية في مصر على أنقاض الفاطميين اللي كانوا بيطلعوا في الروح فعلا.. الراجل اتجنن وحبس الخليفة في دار الوزارة لحد ما يوافق على الجواز أو يقتله.. توصل الأخبار دي لعمة الخليفة.. الولية مكدبتش خبر والنسوان أساسا بتموت في القلق وتدبير المصايب.. استغلت غلطة طلائع الرهيبة بحبس الخليفة ورتبت الترتيبات واستعانت بالأغوات علشان يوم ٥ رمضان يتلموا كلهم على الصالح طلائع وتنزل عليه ضربات السيوف زي المطر.. ويقع على الأرض غرقان في دمه ويشيلوه مربعن على فراش الموت عشان يقابل رب كريم بعد يومين ويشوف هيقوله إيه بقى لما يسأله عن حدوتة سيدنا علي دي.

الراجل بيطلع في الروح ومع ذلك متبت في الدنيا.. لسه فيه حيل يلوم الخليفة انه وافق على قتله ويطلب تعيين ابنه المنصور مكانه.. الخليفة يوافق كنوع من أنواع الترضية لرفيق كفاح الاونطا اللي بيموت.. يمسك المنصور الحكم مكان أبوه ويسمي نفسه العادل رزيك.. اترستق على الكرسي من هنا.. وراح جاي متمم جوازة اخته من الخليفة العاضد من هنا.. وفى ليلة صباحية اخته كان قابض على عمة الخليفة وكل العيال اللي قتلت أبوه.. القانون لازم ياخد مجراه.. يقتلهم كلهم بتهمة المؤامرة على حياة أبوه وقتله.. وأصبح فقط في انتظار إن اخته تخلف من الخليفة ويتحقق حلم أبوه.

مات الصالح طلائع يا جدعان ومفضلش من آثاره إلا المسجد اللي كان مفروض يستضيف رأس الحسين ودواوين شعر وكتاب اسمه الاعتماد في الرد على أهل العناد.. مات وساب المسجد الفخم اللي محدش صلى فيه ولا ركعة.. أول صلاة جمعة فيه أقامها السلطان المملوك عز الدين أيبك التركماني.. بعد كده ب ٩٠ سنة.

الناس دي نسيت ان الأرض لله يورثها من يشاء.. تسقط الدولة الفاطمية كلها بعد الأحداث دي بعشر سنين بس ويبقى مسجد الصالح طلائع هو آخر حاجة تتبني في أيام الفاطميين.. الوريث اللي جاي كان على موعد مع حروب وبطولات من نوع آخر.. الفاطميين مستنيهم في مصر أيام سودة.. الأزهر هيغطيه التراب والمذهب الشيعي هيروح في الكازوزة بكل خرافاته.. أسماء الخلفاء الفاطميين اللي كانت مكتوبة في الجامع الأزهر بمية الدهب هتتشال من أماكنها.. الأذان هيتغير وسيرة الخلفاء الأربعة كلهم هترجع تاني لخطب الجمعة.. المصريين ملهمش في الليلة دي.. زي ما قلبوا شيعة بعد ما ابن طولون وقع.. هيرجعوا سنة تاني بعد ما العاضد وقع، ويحيا السلطان المعظم اللي ملبسنا وبيحمينا من الإرهاب.

الجميل في الحدوتة دي كلها حاجة لطيفة بقى..

نصباية الصالح طلائع كان أساسها راس الحسين.. طيب.. سيدنا الحسين اتقتل في كربلاء "العراق".. يبقى إيه اللي ودي راسه عسقلان أصلا؟؟

ده غير ان الإمام بن تيميه جه بعد كده بأكثر من ١٠٠ سنة وأثبت ان رأس سيدنا الحسين لا هي في عسقلان ولا راحت مصر من الأساس.. وان المشهد اللي عمالين تتخانقوا عليه في مصر ده.. مشهد فاضي.

أنا شخصيا زرت مشهد للحسين في سوريا وآخر في العراق وقرأت عن ٨ مشاهد حسينية موجودة في الوطن العربي وكل بلد تؤكد بنسبة ١٠٠% ان الرأس الشريف موجود عندها.

في كمان حدوتة مشهورة أوي بيحكيها الجماعة إياهم عن لجنة من الأزهر في الثلاثينات نزلت مكان دفن الرأس الشريف وخرجوا شاخصي البصر وهما بيقولوا "هو.. هو.. هو" يقصدوا انها رأس الحسين يعني.

معلش.. سؤال..

اللجنة دي عرفت منين انه "هو"؟

مين كان شاف شكل سيدنا الحسين قبل كده علشان يقرر ان هي دي الرأس الشريف فعلا وللا لأ؟

ما يمكن أي رأس كان مدفونة في عسقلان وأي رأس جابها الصالح طلائع في ايده وهو جاي.. ده راجل نصاب.. زي ما رجع من العراق بحدوتة الإمام علي.. يرجع من عسقلان برأس يقول انها ابن الإمام علي.

الرد المفحم على الكلام ده جالي مرة من واحد "منهم".. قالي بالنص..

تصدق يا أخي.. المقام حتى لو فاضي.. كفاية ان عليه اسم الحسين.

بس كده.. ردت في صدري قتلتني.. هو ده مفتاح الدخول لعقول وقلوب الناس الطيبة دي.. تعالى بقى بيع أي حاجة أو قول أي حاجة أو اعمل أي تصرف عن المقام المبارك "حتى لو كان فاضي" مع الأيام هتبقى شرع وعقيدة.. وهو ده السبب المباشر لخروج دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب من الحجاز.. الأضرحة مالها وما عليها.

مش عارف ليه تخيلت كلام الإمام ابن تيميه وهو بيقول في آخره "المشهد مش موجود في مصر يا قفا".

آه يا قفا يا قفا.

لما تزور مسجد الصالح طلائع الأيام دي وتلاقى المجاري ضاربة حواليه.. إبقى كلمني علشان نرتب لوقفة جماعية في التحرير نتف فيها كلنا على وش المسئول عن الخراب ده.



مسجد الصالح طلائع – الدرب الأحمر

صابون نفيسة

لما تفتكر الحكاية دي.. لازم تحس بالجميل والعرفان للحاج اللي اخترع الشاور جيل.. كتر خيره أنقذنا من بلاوي



لو نزلت مره تصلي في الحسين.. خرم من هناك على شارع المعز.. من قلب الصاغة هتمشي في حواري ضيقة أوي هتوصلك في النهاية من قصاد مسجد الحسين إلى منتصف شارع المعز بالظبط.

عندك اختيارين..

يا تدخل يمين.. علشان تعدي على قبة الصالح أيوب ومجموعة قلاوون وبيت السحيمي وبعدين باب الفتوح..

يا إما تدخل شمال.. علشان تعدي على خضر العطار وسوق البهارات ومسجد الأشرف برسباي..

الناس كلها بتروح يمين.. خليك انت المرة دي الناحية التانية.. كمل مشي زي ما أنت كأنك رايح على باب زويلة "بوابة المتولي".. أول ما تقرب من شارع الأزهر هتلاقي البوابة قصادك.. مميزة جدا وعليها مأذنتين.. أقف خمسة كده.. اقرأ الفاتحة لروح سلطان شجاع دافع عن مصر لحد ما وقع بالخيانة والأتراك علقوه في الباب ده جثة هامدة ٣ أيام بحالهم يتعظ منها الرايح والجاي ويعرف اللي هيعادي الأتراك هيحصله إيه.

الله يرحمه طومان باي.. قريتله الفاتحة؟؟

طيب..

بص على شمالك كده.. هتلاقي بيت قديم أوي.. شكله زمان كان حاجة أبهة.. بيت ووكالة وسبيل.. تخيل نفسك لابس بنطلون واسع وعمة ونازل من جمبك

سيف يقول إنك قوى شديد ومستعد للحرب في أي وقت.. تخيل نفسك فلان البندقدارى النجمي الصالحي..

تخيل نفسك ابن ثلاثين.. واقف مستني القمر اللي هيطل من الشباك ده زي عادته كل يوم الصبح علشان يسقي الورد والقرنفل والريحان اللي ريحتهم عبقت الجو كله.. والناس تستغرب.. يا ترى دي ريحة القرنفل وللا ريحة صاحبة القرنفل.

بينك وبين نفسك هتقف تدندن وتغنى وتقول شعر في سكان البيت.

علشانك يا نفيسة.. اشتريت كيلو هريسة..

أو

ساكن في حي السيدة.. ونفيسة ساكنة في المعز

وعلشان أنول كل الرضا.. يوماتي أجيب بط ووز

من السيدة.. أنا امشي واهززززز

أصل اللي كانت ساكنة هنا كان اسمها نفيسة.. وعلشان كانت بيضاء أوي وحلوة أوي.. الناس سموها نفيسة البيضاء.

دي كانت إيه يا جدع.. صاروخ..

جابوها من بلادها "القوقاز" جاريه عيلة صغيرة متعرفش حاجة.. مبتعرفش تتكلم إلا تركي.. رموها في حريم علي بك الكبير.. مرضيتش تبقى حريم وبس.. كانت ذكية وشاطرة.. عرفت تلف على الجدع لحد ما اتجوزها.. وبقت نفيسة البيضاء سيدة مصر الأولى.

لفت الأيام بعلي بك الكبير.. بقى خاقان البحرين وقال لأولاد عثمان ملكوش في مصر.. أنا السلطان هنا.. بس عيبه انه كان غبي.. وثق في مملوك تاني اسمه محمد أبو الدهب اللي نفسه كانت واطية ورمة أوي..

العثمانيين زغللوا عينه بالحكم فانقلب على سيده علي بك الكبير بمساعدة اتنين مماليك تانيين من أسوأ المماليك اللي عدت على مصر.

مراد بك وإبراهيم بك..

مراد بك كان ظاهرة صوتية.. جعجاع على الفاضي.. اونطجي ولا يعرف يعمل أي بتنجان في البطيخ.. اشترك مع أبو الدهب في الانقلاب على سيدهم بشرط يجوزوه نفيسة لو فلحوا.. الحب يا ولداه فرهد قلبه.. شباب بقى والست زي المانجاية.

مات علي بك.. ومات أبو الدهب.. وراحت نفيسة متساقة غصب عنها لبيت مراد بك.. صاحبه إبراهيم بك اشترك معاه في حكم مصر ولا كأنها أبعدية أبوهم.. نفيسة كانت ذكية.. عرفت ان مراد بك مش مطول.. لا هو شخصية تنفع للحكم ولا الكرسي له أمان في زمن المماليك.

نفيسة أسست تجارتها هي.. اشتغلت وتوسعت وبقى ليها وكالة كاملة باسمها.. ماهو علي بك الكبير مسابلهاش شوية يعني.. ومراد راخر معاه فلوس زي الرز.. في الوقت نفسه كانت ست طيبة وايديها في بق الجعان.. عملت سبيل ومدرسة للأيتام.. الحي كله بقى بيسبح بحمد نفيسة.. شغلها وسع ومحبينها كتروا لحد ما سموها "أم المماليك".

بيت نفيسة كان مفتوح دايما لكل زائر.. أعوذ بالله من قعدات النسوان الصبح حوالين فناجيل القهوة.. اجتمع في بيت نفيسة كل من هب ودب.. وهي متقدرش ترد سائل ولا ضيف.. حكاوي مصر كلها كانت بتلف في بيت نفيسة.. نفيسة مخدتش بالها ان من ضمن الضيوف كانت زوجة السفير الفرنساوي.. والفرنسيس طول عمرهم رمم.. نفيسة وصاحبتها يحكوا.. مرات السفير تنقل الحكاوي لجوزها.. وجوزها يبعت على فرنسا.

بطن مصر انكشف للفرنسيس لحد ما قرروا في يوم ان مصر جاهزة بتقول هيت لك.

ودخل الفرنسيس مصر.

خسر مراد بك كل مواجهاته مع جيش نابليون الحديث وجري وهو بيقول يا فكيك.. ساب ماله ومحتاله وحتى مراته في اللي كانت قاهرة وهرب على الصعيد.. الشعب مش موافق على حكم الأجانب.. المماليك أجانب آه.. بس أهم مسلمين زيهم زينا وبيتعلموا عربي وكبروا وسطينا.. إنما الجدع القصير أبو

وش محبب ولسان معووج ده منعرفوش.. ده قتل ربع سكان البلد يا ناس لما قالوله ارحل يا بونابرته.

مات مراد بك هربان طريد.. موتة تليق بنذالته.. نفيسة ست مرغوبة.. اتجوزت إسماعيل بك المحتسب العام في مصر.. الراجل ملحقش يخلف منها حتت عيل يشيل اسمه.. مات أوام وساب لنفيسة أكوام فلوس طمع فيهم الأمير ذو الفقار أمير الجيش.. ده بقى كان طمعان في كل حاجة عند نفيسة.. حلاوتها اللي لسه باينة أوى رغم انها كسرت الخمسين.. وفلوسها المتلتلة اللي ملهاش آخر رغم ان الفرنسيس مسابوش حد في مصر إلا لما سرقوه.. لكن نفيسة كانت حالة خاصة.. محدش فاهملها حاجة.. بتأكل الفقراء وتتبرع بفلوس لمشايخ الأزهر علشان يحاربوا الفرنساوية.. وفي نفس الوقت فاتحة بيتها مستشفى علشان تعالج عسكر نابليون اللي فتوات مصر وروهم الويل وسواد الليل.. تخبي الفدائيين اللي بيحاربوا نابليون.. بينما تقبل من نابليون ساعة ألماظ فخمة أوي نظير علاقتها المتميزة بالفرنسيس.

في إيه يا ولية!!

النسوان ملهاش أمان.. تحسها كده ان نفيسة دي كانت من حزب النور.

نفيسة ست.. ومملوكية.. وحلوة.. يعني احتمالات انها تكون إبليس قربت من المليون في المية.. بس يظهر كده ان أزواج نفيسة كان وشهم حلو عليها وهي وشها عليهم نحس.. كلهم ماتوا مقتولين.. كل واحد مات سابلها شيء وشويات.. بعد الأمير ذو الفقار اتلمت خالص واحترمت سنها وقالت كفاية كده جواز.. معادش نفسها في رجالة تاني.. السن برضه له هيبة.

مشيوا الفرنساوية من مصر قفاهم يقمر عيش.. وجه من بعدهم الألباني الذئب أبو عينين زرق وقلب زي الحجر.. أفندينا محمد علي ومعاه شلة الترك صحابه.. منهم كان واحد مش بيطيق أي حد مملوك.. وهو صغير كان بيحب بنت مملوكية.. بس يظهر كده أبوها عمل معاه الجلاشة وطلب منه نيش غالي أوي فكبر وهو بيكرههم عمى.. حتى انه كان المدبر الرئيسي لحفلة الدم بتاعتهم في القلعة.. قصير وعينيه ضيقه وخبيث زي سيده بالظبط.. محمد لاظ أوغلي

حط المماليك على دماغه وزعق.. مفيش مملوك في مصر هيفضل على حاله.. زي ما جم مصر عبيد.. نخرجهم منها شحاتين.

وبدأ لاظ أوغلي يسرق ويستولى على أملاك المماليك بمباركة الراس الكبيرة.. فلوسهم كانت كتيرة أوي في بحري والصعيد.. كلهم أعيان وأصحاب أطيان ووكالات تجارة.. ومن ضمن اللي لاظ أوغلي زعلهم.. كانت نفيسة طبعا.

نفيسة البيضاء كانت الشخص المثالي لانتقام لاظ أوغلي.. ست.. مملوكية.. حلوة.. اتجوزت كبارات المماليك.. وعندها فلوس زي الرز.. فضل الجدع وراها لحد ما خلاها على الحديدة.. بعد ما كان بيتها فيه من الخدم ٤٠٠.. والنيل بيجري فيه ٢٠٠ مركب شايلين فلوسها وتجارتها.. بعد ما كان دهبها يوزن الصاغة باللي فيها.. بعد ما كانت الذبائح شغالة بدون انقطاع في بيتها العامر.. تصحى نفيسة في يوم من الأيام وهى مش لاقية تمن أكل تاكله.. محمد علي مرحمش شيخوختها.. كان مركز أوي على بيتها وفلوسها.. مين يآمن لأرملة الرجل الخائن الغدار مراد بك.؟؟

قضت نفيسة حياتها في آخر أيامها في فقر وعوز.. بس نفسها كانت عزيزة وأبية.. مطلبتش من أي حد أي حاجة.. ماتت في هدوء بعد حياة حافلة سنة ١٨١٦.. اندفنت جمب جوزها الأولاني.. الراجل اللي عملها من الصفر علي بك الكبير في مقابر الإمام الشافعي.. محمد علي ما صدق.. خد بيتها وسكن فيه كبار رجالته هو.. البيت هو هو.. سكانه من الأكابر.. بس بدل ما كانوا من المماليك.. بقوا من خاصة محمد علي.

انت لسه واقف تحت الشباك.؟؟

مستني نفيسة؟

معلش.. تلاقيها اتأخرت.. ما هي النسوان كده.. لما تلاقيك مدلوق.. تتقل.

تعالي احكيلك حكاية كمان لحد ما تحن عليك أم المماليك.

حكاية الصابون.

في الأيام دي كان الصابون بيتعمل من زيت الزيتون.. سيوة مكانش حد يعرفها.. علشان كده كل الصابون اللي كان موجود في مصر كان بييجي من الشام.

الصابون طبعا سلعة حيوية جدا.. تجار الصابون في الأيام دي كانوا زي شركات الموبايلات دلوقتي كده.. بيلموا فلوس باليمين والشمال.. طبعا مغابش كل ده عن نظر أفندينا.. بقى كل فترة كده يخترعلهم ضريبة أو يجبرهم على التبرع للمحروسة..

التاجر تاجر.. تطلع الدنيا وتنزل.. وهو كسبان.. يغلى الدولار.. ينزل الجنيه.. ملوش فيه.. هو له نسبته وهيعلي سعر البيع على المواطن لو سعر الخام علي عليه.. تمام زي ما عملوا الصابونجية كده قبل ما الناس يفقعوهم شكوى عند محمد بك لاظ.. محمد بك لاظ هز طوله وفرض سعر أرخص على الصابونجية علشان يراضي الناس.. حركة مجدعة غير متوقعة منه الحقيقة.

مين بقى كان مراقب الجو ده وواخد باله من الفلوس دي كلها؟

العسكر..

العسكر كانوا يشتروا الصابون من التجار بالسعر الرخيص.. ويجبروا الناس يشتروه منهم بالسعر قبل التعديل.. كانت العسكر تتجمع وتقف حوالين دكاكين التجار علشان تعمل زحمة وإرهاب للناس علشان متشتريش من التجار بالرخيص وتشترى منهم بالغالي.. والناس كانت بتشتري مضطرة.. اللي يقول للعسكر لا.. يا ويله يا سواد ليله.

جريت الناس على لاظ باشا.. الحقنا يا كبير.. عساكرك هلكونا..

لحد كده وشحن جدعنة لاظوغلي قطع.. لحد العسكر وستوب.. دول ايده ورجله برضه.. بس برضه محبش يكسف الناس أو يظهر بمظهر العاجز اللي مش قادر يحل ولا يربط.. اقترح لاظ باشا على الناس تنظيم سرقتهم بدل ما هما بيتسرقوا في هرجلة وزحمة كده.

قالك هنخلي بيع الصابون كله من منفذ بيع سبيل نفيسة.. واحد هيبقى قاعد جوه ورا الشباك الحديد.. تديله الفلوس.. يديلك زفلطة..

سوري.. صابون.

والناس قالت ماشي.. موافقين وحسبنا الله ونعم الوكيل.

بس العسكر برضه معجبهمش الليلة دي.. ماهو كده الفلوس هتبقى متراقبة لأن موظف البيع ده كان تبع لاظ باشا اللي لبس الشعب في العسكر وأجبرهم يحلوا مشاكلهم بعيد عنه.

راحوا متجمعين حوالين السبيل وعملوا نفس اللي كانوا بيعملوه عن التجار..

زحمة وإرهاب..

وفضلت الناس تشتري الصابون من العسكر بالغالي ورجليهم فوق رقبة أبو اللي خلفوهم..

اللي اتغير بس ان طريقة لاظ باشا في التخلص من المشكلة نفعت والناس مبقتش تشتكي تاني..

مين بقى حل المشكلة جذرياً؟

الباشا الكبير.. محمد علي..

طالما الصابون مهم كده وفلوسه حلوة وقطفها سريع.. يبقى لا انت ولا هو يا عيال يا هفأ..

الليلة دي تخصني..

احتكر الباشا تجارة الصابون كله.. بالموليف ولوكس وديتول وكله كله.. مبقاش حد بيستورد صابون ولا يبيعه ولا يقبض تمنه إلا محمد علي.. ولما شاف عن قرب إزاي الموضوع ماشي.. راح جاي مغرق مصر شجر زيتون.. مش بس علشان الصابون.. إنما الصابون والزيت وباقي المنافع المعروفة من الشجرة المباركة دي.

خدت بالك من تصرف محمد علي.

شفت عمل إيه؟

خد كل حاجة لحسابه.. بس من غير ما يضر ولا يخرب البلد.. وفر الحل والفلوس ليه وللكل بشرط ان هو ياكل اكتر نصيب.. وده كان سلوك محمد علي دايما.. مصر بقرة كبيرة هسمنها وأغذيها واستنفع منها أنا الأول وانتو هتاكلوا وهتشبعوا وهتهيصوا برضه.. أنا خدت أد إيه وانتو خدتوا أد إيه.. ده من الأسئلة المحرمة.

انت متنح ليه يا عم..

مستني إيه.. نفيسة خلاص ماتت.. مكان بيتها ومكان السبيل بقى في كوم الزبالة اللي انت شايفه دلوقتي ده.. فاطمة وسلمى استولوا على محلاتها وبدلوا تجارة نفيسة البيضاء وسبوبة صابون العسكر بتجارة هدوم صيني رخيصة أي كلام لا فيها صنعة ولا خامات ولا ذوق حتى.. بيفتحوا المحل كل يوم الصبح ويشغلوا أغاني زبالة ويعملوا دوشة علشان يبيعوا أي كلام بالرخيص اللي يقدر يدفعه الغلابة.. لا الحكومة عارفة قيمة المكان.. ولا هي بتساعد الناس علشان ينظفوه.. لا الشارع بقى هو الشارع ولا السكان هما السكان.. ولا مصر بقت هي مصر..

راح كل شيء جميل ومفضلش غير القبح.



منزل نفيسة البيضاء – شارع المعز

رجل كل العصور

كان في راجل من بتوع السياسة في مصر دخل مجلس الشعب سنة ١٩٦٤ وفضل فيه لحد ما مات سنة ٢٠١٠.. أمين اتحاد اشتراكي شغال.. رئيس المجالس القومية المتخصصة ميضرش.. عضو الهيئة العليا للحزب الوطني الديمقراطي ماشى.. وزير الدولة لشئون مجلسي الشعب والشورى في وقت فراغه ميجراش حاجة.. تتفرج على جلسات المجلس الموقر تحس انه مش مجرد نائب أبدا.. ده زي ما يكون هو ريس القعدة كلها والناس كلها بتخطب وده.. رغم ان مهمة أعضاء البرلمان الأساسية هي الرقابة عليه وعلى اللي جابوه.. بس متعرفش بقى هو كان ماسك عليهم سيديهات ابيحة ولا إيه.. المهم يا معلم ان مصر كلها كانت بتخاف وتسبح بحمد هذا الكمال الشاذلي.

شخصية غير مسبوقة فعلا..

لا لا.. استنى..

مين قالك غير مسبوقة؟؟

أمال بركات بن موسى ده يبقى إيه؟



كل رئيس أو زعيم أو أي رجل في منصب كبير يلزمه جوقة إعلامية وشلة مطبلاتية تمجد في سيرته وتلمع في صورته قصاد الناس.. بعضهم بيكون مؤمن فعلا بقدراته الخرافية واغلبهم بيكون ارزقي.. بياكل عيش من مسح الجوخ والكذب.. بعد زوال المنصب أو موت الرئيس أو الزعيم.. بيظهر معدن كل واحد من الحاشية.. قلة منهم بتنزوي وتدرك ان أيامها خلاص راحت وتفضل عايشة على حكايات أيام العز.. والأغلبية بتستمر مع العهد الجديد بعد ما تغير جلدها زي الحرباء.

لكن مش كل حرباء زي حرباء الحكاية دي.

المرة دي إحنا في القرن العاشر الهجري تحديدا سنة ٩١٢هـ. أو القرن السادس عشر بالميلادي حوالين سنة ١٥٠٦م.

أغلقوا الأفواه وافتحوا الآذان.. نحن الآن في عصر من أشد عصور الانحطاط المصرية "الكثيرة الحقيقة".. مع آخر كلمات الموضوع ده هنقول كلنا باي باي للسلطنة المصرية المستقلة.. وداعا لعصور الرجولة والجدعنة والفتونة والانحطاط برضه.. وأهلا ب ٢٨٨ سنة من الظلام والجهل والتخلف والمزيد من الانحطاط.. ٢٨٨ سنة من تدهور مرعب رهيب هوى بأرض كمت السمراء الطيبة إلى ما هو أسفل من قاع الكنيف بكتير أوي.

كفاية تقديم كده بقى.. نخش في الجد.

مصر وقتها في عصر المماليك الثاني.. يتربع على كرسي العرش "مكرها" السلطان الأشرف أبو النصر قنصوه الغوري.. المملوك اللي اشتراه السلطان الأشرف قايتباي من تاجر العبيد المشهور بيردي الغوري اللي نسب إليه قنصوه.. السلطان رقم ٢٠ من سلاطين المماليك الشركس في مصر.. رجل ستيني رفض كرسي السلطنة كذا مرة.. دي حقيقة يا جماعة مش أفوره.. قنصوه الغوري هو واحد من قلائل جدا رفضوا بشدة كرسي السلطنة في مصر.. ليه وإزاي وفين وإمتى.. هنقول حالا اهو بلاش استعجال.

في عجالة كده.. حكم المماليك في مصر بدأ سنة ١٢٥٠ بتولي السلطانة شجر الدر الحكم وانتهى بشنق الأشرف طومان باي سنة ١٥١٧ على باب زويلة.. ال ٢٦٧ سنة دول نقدر نقسمهم محطتين كبار أوي:

- دولة المماليك البحرية.. دي كانت دولة حربية تماما مليانة بطولات وقصص غزو ونجاح.. وعلى المستوى المعماري كانت متميزة جدا.. من أهم آثارها مجموعة السلطان قلاوون في شارع المعز ومسجد السلطان حسن في الدرب الأحمر.. وعلى المستوى الحربي.. معركة عين جالوت واسترداد عكا من الصليبيين.

- دولة المماليك البرجية.. ودي كانت دولة مصايب وكوارث وخيانات ورشوة وحاجة آخر نيلة.. من آثارها المعمارية قلعة قايتباي في الإسكندرية ومسجد السلطان برقوق في شارع المعز.

طبعا كان في خيانات في الدولة الأولى ونجاحات في الدولة الثانية.. لكن بصورة إجمالية يعتبر الوصف السابق ليهم صحيح تماما.. الدولة الأولى دولة البطولات والثانية دولة الانكسارات.

هنركز كلامنا علي الدولة الثانية "مماليك الأبراج أو الشركس" ونقف شوية عند آخر محطة مزهزهة فيها..

عصر السلطان الأشرف قايتباي..

لو رحت منطقة بحري في دولة الإسكندرية الحبيبة وقبل ما تدخل جوا الحواري علشان تاكل سمك طازة وصاحي وبيلعب عند أبو أشرف.. إبقى أقف شوية على البحر.. بص على يمينك واقرا الفاتحة للسلطان صاحب القلعة الكبيرة دي.. ده كان راجل مجدع وله هيبة.

بعد ٢٦ سنة على العرش.. مات السلطان قايتباي سنة ١٤٩٦م. ومن بعدها يا ولداه مصر مبقتش مصر خالص.. بقت بزرميط.

خد عندك يا سيدي.. من سنة ١٤٩٦ إلى سنة ١٥٠١م. خمس سنين بس اتبدل على مصر فيهم ٥ سلاطين بالتمام والكمال.. منهم اللي قعد على العرش سنة بالضالين ومنهم واللي حظه كان دكر.. اتسمى سلطان وبعد ٣ أيام كانوا جايبين رقبته.. منهم اللي كان قبل الكرسي محبوب وصالح والحريم بتزغرطله في الشوارع وبعد المنصب اتقلب بقى زي الزفت.. ومنهم اللي كان زفت من يومه.. عاش زفت ومات أزفت عليه وعلى دماغ اللي بلانا بيه.

بعد ما أمراء المماليك مارسوا هوايتهم المعتادة وقطعوا رأس السلطان العادل طومان باي "ده غير طومان باي الشهيد".. اتفقوا كلهم على تولية المنصب للراجل الكباره أبو شعر ابيض قنصوه الغوري.. الراجل شايف ان سكة كرسي السلطنة دي وان واي ومفيهاش هزار.. اللي بيروح يا ولداه مش بيرجع.. فضل يزق فيهم ويزقوا فيه.. يرفض عن كراهية مش تمنع وهما يضغطوا عليه.. لحد ما في الآخر وصلوا لحل وسط.

هنعمل إيه بقى؟

السلطان الغوري هيحكم ويبقى له عليهم حق السمع والطاعة.. ويوم ما يكرهوه أو يتخنقوا منه يصرفوه بالحسنى من غير ما يقتلوه.. يقولوله امشي يا قنصوه.. يقوم يمشي علطول.. خلونا نصون العشرة يا جماعة.. مش لازم دم وبتاع.. ده إحنا واكلين شاربين سارقين البلد وقاتلين السلاطين اللي فاتوا سوا.

- اتفقنا يا جماعة؟؟ امشي يا غوري.. همشي علطول
- آمين يا ريس.. اطلع على الكرسي بقى علشان نشوف هنقولك انزل إمتى.

مدركين حال البلد كان عامل إزاي؟

شايفين مدى كراهة الكرسي وعدم الاستقرار في الحكم؟

مصر في الوقت ده كانت عبارة عن عزبة أو بقرة حلوب.. يملكها ويحلبها كبار أمراء المماليك.. زي قانيباي الرماح وماماي السيفي ويشبك من مهدي الداوادار وخاير بن ملبان الجركسي وجان بردي الغزالي واينال السيفي وآخرون.. أمراء المماليك دول كانوا خط أحمر.. البلد تفتقر أو تغتني.. الناس تموت أو تعيش.. هما كده كده عايشين في طبقة تانية لوحدهم خالص.. يوتوبيا حقيقية على أرض مصر في القرن ال ١٦.. المصريين سموهم أولاد الناس.. صار امتلاك أمير من دول لجارية مصرية شرف للجارية وأهلها.. الناس كانت بتتنافس علشان تشتغل عندهم أو تعيش حواليهم في حماهم.. يمكن ينوبهم من الحب جانب.

ماشي.. جميل..

وبعدين؟

فلوس مصر كانت من مجالين أساسيين.

- الزراعة.. ودي كانت بمزاج النيل.. يوم ما حضرته ييجي عالي.. يبقى معناها موسم عز ونغنغة
- التجارة.. قوافل البضائع بين أوروبا واسيا "الهند تحديدا" كانت بتنزل في الإسكندرية وبعدين تتمشى لحد سيناء ومن هناك تركب البحر تاني وطبعا في السكة بين إسكندرية والبحر الأحمر كانت بتدفع ضرائب وتبيع وتشترى مع سكان المدن.. يعني خير كتير وكله بيرزق.

السلطان الغوري بقى كان رجل منحوس نحس التنين..

سنة ١٤٨٧م. تجار أوروبا ضجت من الاستهبال في الضرائب والسرقات اللي بتحصلهم في مصر من أمراء المماليك وأمير الحسبة على وجه الخصوص.. بالصدفة كده كان في مركب خرجت من البرتغال وقدرت انها توصل للهند من طريق تاني غير طريق صلاح سالم بتاعنا ده.. فرحت أوروبا بالطريق الجديد خصوصا انه كان هيبعدهم تماما عن المسلمين في مصر وهيوفر عليهم كل اللي كانوا بيدفعوه هناك.. وكمان بدل ما هما كانوا تحت رحمة العربان وقطاع الطرق وأمراء المماليك في مصر.. بقت مصر كلها تحت رحمتهم لما وقفوا عسكروا في مضيق باب المندب وقطعوا عننا مية ونور من تحت.

الله.. اللعب هيحلو.

طبعا تحول الطريق من مصر إلى رأس الرجاء الصالح كان له أثر رهيب على مصر ماليا وسياسيا وحربيا.. دش مية ساقعة مثلجة اندلق على نافوخ السلطان ومماليكه وأمراؤه.. وطبعا الشعب مكانش فارق معاه أوي.. كده كده الناس فقرانة وبتعض في الأرض من الجوع.

طيب يعمل إيه السلطان الغوري؟

بخلاف انه تحول إلى مجرد جامع مجنون للأموال.. مكانش راجل سهل برضه.. فكر كده ودبر وراح جاي عامل "مول" كبير أوي في المحروسة.. وكالة ضخمة جدا فيها اكتر من سوق مليانين بضائع مختلفة من كل مكان علشان يشجع حركة التجارة.. لو حسيت بالزهق في يوم.. إبقى انزل مشي رجلك في شارع المعز.. خلصه وعدي شارع الأزهر.. كمل زي ما انت علطول.. سيبك من الزبالة والمحلات المقرفة الموجودة هناك.. بص حواليك كده.. انت دلوقتي في الغورية.. اللي زمان كانت وكالة الغوري للتجارة.. رئة مصر الاقتصادية.. وزي ما قال محمد بن قنديل اتابك المغنواتية الشعبيين..

يا رايحين الغورية..

هاتوا لحبيبي هدية..

وبما إن الشياطين تسكن دايما في الأسواق.. بقى في منصب رسمي في مصر اسمه "المحتسب" أو "أمير الحسبة".

وده بقى موضوعنا بالتحديد.

إيه بقى وظيفة المحتسب دي؟

ده راجل – المفروض – انه يكون تقي وورع وبتاع ربنا.. يلف على الأسواق ليل ونهار ينصح الناس ويراقبهم.. يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر.. يضبط الأسعار ويعاقب المخالف.. يجرس المحتكرين ويفضح مطففين الكيل في الوزن.. يتأكد ان كل شيء موجود وبيتباع بالتسعيرة.. وتحيا القوانين الاشتراكية.

ده المفروض.. الواقع بقى كان حاجة تانية خالص.

نتيجة انخفاض دخل مصر.. تحول السلطان وحاشيته والناس إلى كائنات تجمع الأموال وبس.. أصبح كل شيء في مصر قابل للبيع والشراء.. الذمم.. الأعراض.. البشر.. الاحتكار.. كل ما تتخيله أصبح قابل للبيع وله سعر.. ادفع.. تحصل على ما تشاء سواء كان منطقي وحلال أو لا.

هل كانت الوظائف كمان تباع وتشترى؟

يعني كان مثلا ممكن ادفع ٥٠ ألف دينار وأكلم حد من الأتابك علشان ادخل كلية الشرطة اللي في الريدانية "العباسية حاليا" دي؟

آه يا فندم.. عادي جدا.

كان الموضوع ده عادي جدا لدرجة ان رجل مجهول تماما اسمه بركات بن موسى راح لواحد من كبار أمراء المماليك يعرض عليه انه يشترى منصب محتسب القاهرة بدلا من المحتسب الحالي بياع المشبك السابق "على ابن أبي الجود" اللي الناس ضجت منه ومن ظلمه.

- بركات ابن موسى.. الاسم ده يبدو مألوف.. يكونش قصدك الزيني بركات؟؟
- أي نعم.. هو بعينه
- بتاع جمال الغيطاني!!! مش ده احمد بدير يا عم؟؟ هو ده طلع شخصية حقيقية؟
- آه يا فندم.. شخصية حقيقية.. حقيقية لدرجة مرعبة ورد ذكرها في كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور للمؤرخ المعاصر للأحداث ابن إياس الحنفي.

بركات بن موسى محدش يعرف أصله ولا فصله.. نزل على مصر كده بالباراشوت.. شوية يقولوا أصله من الأعراب.. وشوية يقولوا هرب مع اللي هربوا من الأندلس بسبب محاكم التفتيش.. شوية يقولوا مملوك وشوية يقولوا مصري.. الرواية الغالبة انه كان مجهول تماما ومش معروف لأي حد ولا حتى بصاصين الحكومة.. المهم انه في يوم وليلة كده الناس لقت السلطان الغوري بيصدر قرار بتولية بركات بن موسى إمارة الحسبة في مصر وينعم عليه بلقب الزيني كمان.

رد فعل الناس هنا مش مهم خالص.. هيكون إيه يعني غير واحد ظالم زي اللي سبقه؟؟ هيكون إيه غير انه دفع ٢٠ أو ٣٠ ألف دينار للغوري علشان ياخد الوظيفة والغوري فرض عليه ١٠ أو ١٥ ألف دينار إتاوة كل شهر هيطلعها من نحل وبر الغلابة زيه زي كل اللي سبقوه؟

الملفت للنظر بقى هنا هو رد فعل الزيني بركات نفسه.

السلطان يكلفه بالمنصب – اللي هو دافع فلوسه – وهو يرفض قصاد الناس كلها.

الله.. هنهزر بقى وللا إيه؟

يكونش بيتقل شوية.. على أساس ان التقل صنعة يعني وكده.

لا.. الراجل بيتكلم جد.. حتى ان السلطان كرر طلبه مرتين.. وفى المرتين بركات يرفض.

أمال عايز إيه يا جدع.. انت جاي تهرج وللا إيه؟؟

نكتشف من بين أوراق التاريخ ان العصر ده كان عايش فيه رجل دين فاضل وذو هيبة اسمه الشيخ أبو السعود الجارحي.. اهو الراجل ده كان هدف بركات بن موسى.. كل الرفض ده كان علشان الموضوع يوصل للشيخ الجارحي.. اللي يلاقي الناس مصرة عليه وهو رافض فيتوسم فيه الخير ويطلب منه تولى المنصب.

الشيخ أبو السعود الجارحي ده حدوتة كبيرة أوي.. تقدر تراجع سيرته في نفس الكتاب ده.. في فصل طول بعرض يا سيدي الجارحي.

هنا يقفز للسطح سؤال مهم جدا..

اللعب برجال الدين في السياسة.. وبعدين بقى؟

رجل الدين في الغالب بيبقى روحاني طيب لا يلوي على أي أذى ولا يحمل في نيته أي سوء.. العلة كلها فولاد الكلب اللي ميعرفوش ربنا وقلوبهم اسود من الخروب ووشوشهم انعم من الملائكة.

دعم رجل الدين شيء أساسي لكل الناس.. حتى الأفاقين منهم.. المسنود برجل دين يقدر يعمل أي حاجة.. صلاح الفعل أو فساده يتوقف على قوة وبصيرة رجل الدين نفسه.. نتذكر كلنا الشيخ العز بن عبد السلام وإزاي قدر يسند أمير ضعيف زي قطز في مواجهة العتاة من مماليك فارس الدين أقطاي ونقارنه بموقف رجال الدين في بلد مجاور جابوا اللعنة للحكام وكانوا سبب مباشر في الحاد ناس مشتتة الفكر في الأصل.

الزيني بركات أدرك الموقف ولعب جامد أوي على النقطة دي..

بحصوله على دعم الشيخ الجارحي يبقى كده الفيلم اتظبط تمام.. يوافق الزيني بركات على المنصب ويستلم عدة الشغل علشان يبدأ اللعب مع مراكز القوى الموجودة حواليه وأهمهم طبعا كبير البصاصين.. رئيس جهاز أمن الدولة.. زكريا بن راضي.

زكريا ده راخر حكايته حكاية سودة.. هو الآمر الناهي في البلاد.. مسئول الأمن الداخلي.. جاسوس بيراقب كل مواطن وكل أمير.. عنده ملفات وسيديهات كل الناس.. كل الناس بتخاف منه وتعمله ألف حساب.. لما تدخل عنده.. يا تخرج بكيس فلوس تمن رخيص لنذالتك في الوشاية بأهلك وأصحابك وجيرانك.. يا إما متخرجش من أصله وتندفن في المقبرة الموجودة أسفل قصره.

بدأ الزيني بركات عصره بموقفين في منتهى الأهمية:

- فلوس علي ابن أبو الجود "المحتسب السابق".
- فوانيس الشوارع.

أول أوامر السلطان الغوري كانت تسليم المحتسب السابق علي ابن أبو الجود للزيني بركات علشان يقرره ويعرف منه هو شايل فلوسه فين.. الراجل ده ميت ميت ودي فلوس السلطنة.. خده يا معلم اهو عندك اهو.. انفخ أمه.. المهم يقر ويقول الفلوس فين.

وصاحبنا مكدبش خبر.. بس مش معقول يعني هيعذبه في بيته في باب الرطل "باب الشعرية" ويبوظ سمعته قصاد الناس وهو الراجل الطيب المتقي.. ولا معقول كمان انه يسلمه لخصمه زكريا بن راضي ويخسر أول مهمة رسمية ويبقى منظره قلة قصاد السلطان .. طيب.. تعمل إيه يا بركات؟

بركات راح جاي شاقط الجدع على مقر احتياطي كان محتفظ بيه لنفسه في حلوان وهناك تقريبا كان في ١٠٠ فاااارااااج دخلوا على المحتسب السابق دخلة انك ميت وإنهم ميتون.. وسائل تعذيب مبتكرة عن طريق إطعامه البقوليات والقهوة اللي تلخبط جهازه الهضمي وتعمله إمساك أو إسهال "وممنوع الحمام طبعا".. بالإضافة إلى الوسائل الكلاسيكية المعتادة زي الجلد والزيت المغلي وعصر الخصيتين والحاجات الرومانسية دي.

الزيني بركات ابتكر وسائل تعذيب جديدة قد تبدو من بعيد كده انها لعب عيال.. لكن مع التجربة ثبت انها جبارة.

مثلا كان بيقعد علي ابن أبو الجود في اوضة مفيهاش أي حاجة.. لا نقش على الحيطان ولا أبواب ولا أي شيء.. ساكنة وهادية زي القبر.. وفى صوت مية بتنقط بالراحة أوي.. بعد ٣ أو ٤ أيام بدأ ابن أبى الجود يصرخ ويطلب الرحمة.. أعصابه اتحطمت تماما.

مرة تانية قتل ٣ مساجين وعلق رؤوسهم في رقبة ابن أبي الجود.. تخيل ان انت قاعد ومتعلق في رقبتك عقد فيه ٣ رؤوس تقطر دم.. مع الوقت الدم ينشف وتبدأ الرؤوس في التعفن.. بخلاف الريحة القذرة جدا.. في عيون موتى بتبصلك.

ابن أبي الجود قدر يمسك نفسه شوية.. الزيني بركات قرر الاستعانة بناس خبرة من عند زكريا بن راضي والحجة انه راجل مش بيحب العنف.. ابن أبو الجود انهار ومستحملش وخر بكل حاجة.. ٤٠٠ ألف دينار دهب هدية للسلطان من فلوس ابن أبي الجود.. في وقت كان تجهيز الجيش بيكلف ٥٠ ألف دينار..

متخيلين ضخامة المبلغ؟

السلطان الغوري اتبسط بشدة من الزيني بركات وراح جاي موافق علطول على فكرته التانية.. ألا وهي فوانيس الشوارع.

فجأة كده لقى أهل القاهرة ان ليل شوارعهم نور بفعل بفوانيس متعلقة على عمدان عالية.. الحرامية قفشوا.. هيشتغلوا إزاي والليل بقى نهار كده.. هناكل منين يعني يا عالم هو إحنا كفرة!!

صراع ذئاب بدأ بين المحتسب الجديد اللي شكله كده مش سهل وبين رجل الأمن العتيق زكريا بن راضي اللي مش حابب أي راس تانية ترتفع في السلطنة غيره.

يعمل إيه أبو الزيك؟؟

في مصر.. لما تحب تعمل قضية ما رأي عام.. ملكش إلا سكة واحدة هي اللي بتاكل مع المصريين.

الدين علطول.

هات أي تخريفة وحط معاها أي حديث أو أي آية قرآنية ملهمش أي علاقة بالموضوع.. ولو مش حافظ قرآن مش مشكلة.. قول أي كلام بالنحوي والتشكيل مع كام بيت شعر وفى الآخر قول استغفر الله العظيم.. وهتلاقي الناس بتهتف معاك وبتصرخ وبتقول دي حرب على الإسلام لا محالة.. تمسك برأيك الخالي من المنطق وهيزيد إعجاب الناس بيك ويستحسنوا استبسالك في الدفاع عن الدين.. زايد على إيمان الخلق وتدينهم وأعلن أنك على استعداد للموت في سبيل منع فكرة الفوانيس الكافرة اللي نورت الشوارع وكشفت ستر

الناس في البيوت وانت هتلاقي الناس نسيت كل تاريخك الأمني القذر وبتهتف باسمك في الشوارع على أساس ان انت من المجددين..

حتى لو كنت زكريا بن راضي نفسه.

وانقسمت آراء أهل العلم في الأزهر..

- ناس قالت الله نور السماوات والأرض.. يبقى مفيش مانع ننور الشوارع.. النور من الله ومحدش يرفض التنوير.
- ناس قالت بقى ربنا عتمها وانتو عاوزين تنوروها يا كفرة.. انتو إيه.. بتتحدوا قوانين الله في الأرض.. ده ربنا قال وجعلنا الليل لباسا.

في الحقيقة ربنا لا عتم ولا نور.. ربنا سبحانه وتعالى خلق كله ده وحط القوانين وكله ماشي بقوانين الخالق.. ربنا قال بصريح العبارة كده..

وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (يس – ٤٠)

مجال الاجتهاد مفتوح ومفيش أي تعارض بين قوانين الفيزياء الإلهية وبين تطويع الإنسان لموارد الأرض علشان تسهل حياته.. العبرة هنا بمفسري القرآن حسب الهوى.. نفس الكتاب المقدس تخرج منه آيات تحرم أو تحلل نفس الموضوع.. القران ثابت لا يتغير بينما أهواء الناس هي اللي بتتغير..

ويل للعالم إذا انحرف رجال الدين.

طب يا جدعان ماحنا لازم نفض خناقة بن موسى وبن راضي.. مش هنسيبهم كده يولعوا في بعض.

يا جماعة عيب.. انتو كبار.. استهدوا بالله ميصحش كده.. المفروض انكوا تتفقوا مع بعض علينا.. انت راجل بصاص وسخ وانت راجل خبيث ووسخ برضه.. المفروض زيتكوا يبقى في دقيقكوا وتخبزولنا عجين حلو ينفخ بطننا .. صبوا في مصلحتنا أحسن بدل مانتوا مقطعين بعض كده.

مش كده وللا إيه؟

ده صوت المنطق اللي بالفعل سمعه البصاص زكريا ابن راضي والمحتسب الزيني بركات.. الاتنين اتفقوا يتعاونوا مع بعض والضحية طبعا معروف مين.

تمر الأيام ونلاقي ان الزيني بركات ده مصيبة.. قرر إعادة سك العملة بوزن أقل.. الناس تنام وتقوم تلاقى الدينار الجديد يساوى تلت الدينار القديم.. الزيني اشترى منهم الفلوس القديمة كلها علشان يدخل للسلطنة الفرق.. خزائن الغوري بدأت تتملي تاني.. الراجل اتكيف أوي من الزيني بركات وراح جاي مرقيه محتسب عموم القطر المصري كله.. يعني مرتبه زاد كمان علشان كده دخل في شريحة أعلى.. وأكيد كمان هيصرف بدل سكن وبدل انتقال.

لكل مجتهد نصيب يا جدعان.. حتى في الوساخة.

طيب.. تخيلنا كده الظروف الداخلية عاملة إزاي في سلطنة يحكمها سلطان منفصل عن الشعب وعايش بيجمع فلوس وبس وطبقة المماليك المخملية اللي عايشة في كومباوند الرميلة هايتس وباقي الشعب اللي بيكمل عشاه نوم و٢ ذئاب متفقين يتحكموا في مصير البلد بحالها؟

لو اختصرنا حال مصر كله في كلمة واحدة بس.. مش هنلاقي كلمة توصف الحال بدقة إلا كلمة مؤامرات.. كله بيتآمر على كله وكله بيبيع كله وكله بيفتن على كله وكله بيشتغل كله على رأي أمينة.

طيب بره بقى الحال عامل إزاي؟

لو انت قاعد في مدرجات الدرجة الأولى هتلاقي إسماعيل الصفوي الشيعي على يمينك.. الراجل قدر يوحد إيران وينط ياخد العراق ويفرض اسمه كقوة إقليمية لها وزنها خصوصا لما كسب أول جولة قصاد العثمانيين.

لو انت قاعد في المقصورة يبقى بص فوق وهتشوف العثمانيين.. دولة لسه جديدة بشوكها.. من ٥٠ سنة بس عملوا حركة جامدة استولوا بيها على درة مدن أوروبا.. القسطنطينية.. سقطوا الحكم البيزنطي المسيحي تماما وأعلنوا

نفسهم كقوة إسلامية جديدة بتسن سنانها علشان تحجز لنفسها صفحات عريضة أوي في التاريخ.

والاتنين دول كان عينهم على مصر.. اللي كانت سلطنة تحت رايتها مصر والشام والحجاز والسودان ونص شمال إفريقيا.. بسم الله ما شاء الله يعني اللهم لا حسد.

في الظروف الحلوة المحيطة بمصر في الوقت ده.. تفرغ الزيني بركات وزكريا ابن راضي علشان يخزوقوا أمراء المماليك ويلموا فلوس من الناس ويقرطسوا السلطان الغافل قنصوه الغوري.

كانت سنة جميلة ١٥١٤م دي..

سنة ١٥١٤م. الزيني بركات في عز مجده.. لحس كل وعوده للناس وتحول إلى ظالم جبار مفتري لابس وش حمل وديع.. كل اللي عمله المحتسب السابق علي ابن أبو الجود عمله الزيني بركات وزيادة.. بس ابن أبي الجود كان فاجر وبيعلن.. بينما الزيني بركات كان ذئب ودموع الخشوع سابقة كلامه.. يطبطب عليك ويوعدك برفع الظلم عنك وحراسه منتظرينك على الباب علشان لما تخرج يطيروا رقبتك.

سنة ١٥١٤م. زكريا ابن راضي يبدأ تطبيق نظام جديد للتجسس على الناس يخليه يحتفظ بملف كامل عن كل مواطن عن طريق أهل بيته.. بالإضافة إلى خطة كاملة لاختراق الأزهر وتجنيد رجال العلم فيه لخدمة النظام.

سنة ١٥١٤م. السلطان العثماني سليم الأول يرقع إسماعيل الصفوي علقة موت في جالديران "إيران" ويخليه يطلع يجرى ويسيب حريمه وراه وهو بيقول جااااى.. مش عاوز العب مع الأتراك تاني.

شايفين الفرق بين ال ٣ قوى المتصارعة في المنطقة؟

هل نقدر نستنتج ان بعد ما سليم الأول علم على الصفويين.. راح جاي عامل ستوب ومحود على الشام علشان يأزأز البطة اللي اسمها مصر وبالمرة يجيب ٢ كيلو حلاوة حمصية بالجبنة من سوريا.؟؟

آه طبعا.. ده لو معملش كده يبقى عبيط.. خصوصا ان له ٩٠ ديشيليون جاسوس في المنطقة بيحكوله دبة النملة.. وكمان معاه كام شيخ من مشايخ الشام ظبطوله الدخلة علشان العوام ميهيجوش عليه.. انت تيجي عندنا باسم الإسلام يا حاج سليم.. البلاد الإسلامية محاطة بخطر من كل الجهات ومفيش غيرك يقدر يسد.. انت تيجي وهنسميك أمير المؤمنين وهندعيلك على المنابر يوم الجمعة وهتبقى الحياة قشطة.. بس انت تعالى.

ويوصل لقنصوه الغوري ان سليم الأول عمل دقة نقص معاه.. خد الشام كده وهو قاعد في مصر عمال يتفرج على ملاعيب الزيني بركات وكبير البصاصين ..

ويقعد السلطان في بلكونة القصر وهو بيسمع طقطوقة المغنواتي محمد بن محي البيراقدار.. قادر وتعملها.

قادر وتعملها يا سولوم.. مكانش العيش والملح يا خسيس.

ويصرخ قنصوه في رجالته.. إلى الجهاد يا أمراء المماليك.. اليوم يوم المروءة ولا مجال للتراجع.

صوت صرصور الحقل..

الله.. هو محدش بيرد ليه؟؟

هو اكمن البلد دي مش بلدهم.. هيسيبوها كده صيد سهل وحلال لبني عثمان!!

طيب ما الأملة اللي هما فيها دي بسبب البلد دي.. معقول هيرجعوا بلادهم تاني اللي هما أساسا مبقوش يعرفوها ولا يعرفوا حد فيها.. هل هيسيبوا الإمارة ويرجعوا تاني يمسحوا عربيات في القوقاز!!

صوته علي وبدأ يصرخ.. انت يا أمير الكلاب منك ليه.. ياللا علشان نحارب.. قوم ياض منك ليه فز على الحرب.. اللي مش هييجي فيكو وربنا لأغزه.

ويخرج أمراء المماليك على الحرب رجل ورا ورجل قدام.. بقالهم كتير محاربوش ولا شالوا سيوف.. مفيش حيل بقى للشقاوة والتنطيط وبهدلة الحرب.. الأيادي

نعمت والقمصان بقت حرير في حرير.. العضلات راحت وطلع مكانها كروش لطيفة من أثر سنين العز الطويلة.. ألف رحمة ونور على السلطان المجدع أبو الفتوح بيبرس ورجالته.

اتقابلوا الجيشين في مرج دابق "سوريا".. الجولة الأولى سنة ١٥١٦م – وياللعجب- كانت الغلبة للمماليك.. طلعوا شداد برضه.. ان دبل الورد ريحته فيه.. سليم الأول عرف ان الحرب دي مش حرب عافية ومش هيعرف يدخل مصر إلا بالخديعة.

ونشطت الجواسيس واشتغلت حرب الشائعات في صفوف المماليك.

الحق.. ده السلطان مات..

الحق.. الميمنة انشقت..

الحق.. سليم الأول هينزل بالمدافع..

الحق.. السلطان حاطط أمراء المماليك الكبار في المواجهة علشان يخلص منهم ويحتفظ بالجلبان الجدد.

والنتيجة ان المواجهة الثانية كانت مسخرة.. يقف السلطان الغوري في قلب المعركة والضرب شغال علشان يسمع أمراؤه الكبار وهما بيملوا عليه شروطهم المالية وخططهم الكرتونية وتقاعسهم عن استكمال الحرب.. شوية كمان ويسمع الخبر المتين اللي جاب داغه.. ماهو أصل المصائب لا تأتى فرادى..

الأمير خاير بك الجركسي – أمير حلب – انسحب تماما بجيشه علشان يسيب الطريق واسع ومنور ومتسفلت لحد مصر قصاد جيش سليم الأول.

آه يا كلب.. هو في كده!!!

قنصوه كان راكب حصانه وبيحارب.. سمع الخبر ده من هنا ومستحملش.. اتشل في ساعتها ووقع من على فرسه بقه معووج زي نور الشريف كده وهو بيقول عاوز أشوف القرد.. يموت السلطان الغافل موتة بطل محارب في المعركة تحت رجول الخيل.. ارزقنا حسن الخاتمة يارب.

بس ثانية كده..

لما المماليك كانوا كسبانين في الأول.. أمال خاير زفت ده عمل كده ليه؟؟

ماهو حضرتك بقى طلع ان خاير بك ده واحد من جواسيس العثمانيين في ارض مصر من زمان.. كل اللي حصل سعادتك ده كان مترتب ومعمول حسابه.. كل الإشاعات دي طلعت من عند خاير بك.. ولما لقى الإشاعات مجابتش نتيجة.. راح طالع للمستوى التاني وسحب جيشه علطول.. وانتهت مرج دابق بهزيمة ساحقة للمماليك وخروج الشام من مظلة السلطنة المصرية.

طيب وصحابنا.. الزيني بركات وزكريا بن راضي.. عاملين إيه في مصر؟

عاملين بلاوي ولاد الوارمة ولا كأن العاركة تخصهم.. عمالين يفرضوا ضرائب زيادة بس على الناس وخلاص علشان المجهود الحربي.. وطبعا كلنا عارفين في مصر فلوس الحكومة بتروح فين.

طيب يا جدعان مصر دلوقتي من غير سلطان.. البلد عريانة وعورتها مكشوفة.. ولاد عثمان جايين جايين.. تلاقيهم بس واقفين في الرست اللي عند السويس بيعبوا بنزين ويشحنوا الموبايلات.. كلها كام يوم وهينطولنا في مصر.

مبدهاش بقى.. مفيش مفر من ترقية نائب السلطان.. حاكم المرحوم قنصوه قبل ما يخرج على الشام ساب ابن أخوه طومان باي مكانه على الكرسي.

بيحكيلنا ابن إياس الحنفي ان الأشرف طومان باي كان شاب "٤٤ سنة" بهي الطلعة معتدل الجسد محارب شجاع.. متقي وبتاع ربنا لا بيشرب ولا بيلمس من النساء إلا زوجته.. عادل وبيحب المصريين.. أول حاجة عملها انه فتح السجون وخرج المحبوسين وألغي كل أنواع الضرائب اللي كان فارضها جوز الكلاب اللي كانوا قافشين البلد ولا كأنها ملك أبوهم.

إيه ده.. شكلها هتظبط أخيرا وللا إيه؟

معقول مصر هيبقى فيها سلطان محترم يعني وكده؟؟

طب وجوز الغربان.. زكريا والزيني.. هيسكتوا على كده؟؟

إزاي.. ودي تيجي برضه..

زكريا بن راضي اختفى تماما.. فص ملح وداب.. قرا الليلة بدري بدري وخد ديله فسنانه وقال يا فكيك.. حتى سيرته المنيلة مجتش بعد مرج دابق في أي كتاب تاريخ ولا حتى جغرافيا.. من الذكاء أنك تنسحب في الوقت المناسب انت وفلوسك اللي بالهبل.. دبي فيها متسع لأي حد معاه فلوس.

طيب والزيني بركات؟

المنطق يقول ان الجدع ده يبقى أول واحد يقبض عليه طومان باي ويشنقه.. مش كده؟؟

اللي حصل بقى يثبت ان البني ادم بيتولد كويس لحد ما يعيش في مصر.. بعدها يتهطل.

بركات يا أسيادنا كان مأمن نفسه كويس.. مش بس أمير الحسبة.. لا.. ده كان مسيطر على مخازن الذخيرة كمان.. لما طومان باي حب يألشه من السلطة علشان ينضف الحاشية ويتفرغ لولاد عثمان.. بص حواليه ملقاش معاه ولا حتة سلاح.

- مين اللي ماسك مخازن السلاح يا جماعة؟
- الزيني بركات يا مولاي
- طيب مين غيره موجود
- مفيش.. هو الوحيد اللي يعرف مخابئ السلاح وتفاصيلها يا مولاي

ويضطر طومان باي انه يستعين بالذئب الزيني بركات.. حبة بس كده وهنألشه بعد الحرب ان شاء الله.. نشوف الأهم فالمهم يا رجالة.. يا ريتني كنت عايش معاهم.. كنت هقف اصرخ بعلو صوتي وأقوله انت غلطان يا مولانا السلطان.. الزيني بركات هو الأهم.

ها.. وبعدين؟

دخل سليم الأول وعساكره مصر.. جري عليهم السلطان طومان باي علشان يحاربهم.. اتقابلوا في الصالحية "الشرقية".. الراجل عمل اللي عليه وزيادة.. بس يعمل إيه واحد وسط ألوف.. الخونة مكانش آخرهم خاير بك.. طومان باي شاف بعينه الأمراء المماليك وهما بينسحبوا من الحرب واحد ورا التاني وهو واقف لوحده.. قهر القهر يعني.

لما بنقول أمير مملوك انسحب.. ده مش معناه انه مجرد فرد.. كل أمير من دول كان معاه فرقته من مماليكه.. قد يكونوا ٥٠٠ أو ١٠٠٠ أو ٢٠٠٠٠.. الجيش أساسا كان عبارة عن امراء المماليك.. جيش طومان باي كله كان ١٢ ألف في مواجهة ٤٠ ألف مع سليم الأول.. يعني لو انسحب من عند طومان باي ٣ أمراء من التقايل.. يبقى شكرا للحرب على كده.

طيب هو في كام أمير انسحبوا؟؟

٨ أمراء حضرتك.

آه يا ولاد ال.. هي بقت كده؟؟

وعملا بالمثل القائل "الجري نص الجدعنة" اختار طومان باي انه ينسحب بهزيمة مؤقتة لحد ما يلم عساكره ليوم تاني أفضل.. مش عارف جاب منين التفاؤل ده وأئمة المساجد بدأت تدعى بالفعل لسليم الأول على المنابر.

بعد حرب شوارع متفرقة ومقاومة في شارع الصليبة.. سليم الأول وعساكره حرقوا الشارع باللي فيه ومن ضمنه مسجد شيخون العمري.. علشان يتقابلوا في الفاينال بقى في صحراء الريدانية "العباسية".

للأسف الريدانية كانت تحصيل حاصل.. الأمور كانت منتهية بالفعل.. طومان باي كان مهزوم نفسيا حتى انه بعت لسليم الأول يطلب منه الانصراف في امان وحفظ دماء المسلمين في مقابل انه يحكم مصر باسمه ويدعوله كل جمعه على المنابر ويحارب معاه ويدفعله الجزية السنوية عادي جدا زيه زي أي محتل.. الفرق بس ان سليم الأول مسلم.

هل لو كانت الرسائل دي وصلت لسليم الأول.. كان فعلا رجع وحفظ دماء المسلمين؟

أصل العيال بتوع حزب النور العثماني قتلوا مراسيل طومان باي وقعدوا يسخنوا في سليم الأول وينفخوا فيه وهو أساسا مكانش ناقص نفخ.

ويشاء الله إن السلطان العادل المحترم.. يتهزم ٣ مرات في اقل من شهرين.. رغم انه قلب الحرب في الآخر إلى حرب شوارع بمساعدة المدنيين ضد عسكر سليم الأول بعد ما الأمراء المماليك جريوا هربانين كالعادة.. بس كان خلاص الوقت فات.. جيش المماليك الهمجي المهلهل اللي معاه سلاح أي كلام مقدرش يقف قصاد جيش عصري حديث قوي زي جيش سليم الأول.

نقطة لفتت نظري..

المماليك في مصر أصلهم من آسيا الصغرى.. يعني ترك.. العثمانيين أصلهم برضه ترك.. الجنس ده من البشر معروف بقوته وشراسته في الحرب وفروسيته الفذة.. يعني الاتنين ند وكفء لبعض.. والدليل هو انتصارات الغوري في البداية على سليم الأول.. أمال إيه اللي ميل كفة سليم بقى في الآخر؟

أرد أقولك بخلاف خيانات وتقاعس الأمراء عن الحرب.. في كمان فتاوى المشايخ اللي قالت ان المدافع والبارود ده من عمل الشيطان وليس للمسلمين في الحرب إلا السيف.

تخيل انت بقى فرسان شجعان بالسيوف بيحاربوا فرسان شجعان بالسيوف والمدافع.

زي ما الشيوخ ممكن تدفع السلطان للنصر.. ممكن برضه تضمنله هزيمة محققة.. الشيخ الصالح في السلطنة رزق.

دخلة سليم الأول على مصر كانت دخلة بلدي بكل ما تحمله الكلمة من معاني.. حكى المؤرخين عن الأيام دي وكلماتهم بتنقط بدل الدموع دم.. الشيخ بدر الدين الزيتوني مثلا "كان من القضاة الشافعيين وأديب وشاعر وزجال" قال:

نبكي على مصر وسكانها قد خربت أركانها العامرة

وأصبحت بالذل مقهورة من بعد ما كانت هي القاهرة

وقال ابن إياس الحنفي "المؤرخ" في رثاء مصر:

نوحوا على مصر لأمر قد جرى من حادث عمت مصيبته الورى

زالت عساكرها من الأتراك في غمض العيون كأنها سنة الكرى

الله أكبر إنها لمصيبة وقعت بمصر ما لها مثل يُرى

لهفي على عيش بمصر قد خلت أيامه كالحلم ولى مدبرا

ابن زنبل الرمال وصف عسكر سليم الأول انهم كانوا بيشربوا الخمر علنا في الأسواق.. لا يصومون ولا يصلون.. لا يراعون حرمة لبيت أو لمسجد.. كالبهائم ان أكلوا وان تكلموا.. وانتشر مثل بين أوساط العوام لما شافوا تصوف العثمانيين "جاء الترك بالشرك".. ويقال ان في اليوم ده حملت ألف عذراء سفاحا من عسكر سليم الأول ومات اكتر من ١٠ آلاف مدني.. ده طبعا غير النهب والسرقة والحرق ومئات الصنايعية الحريفة اللي شحنهم سليم الأول على إسطنبول علشان تختفي من مصر ٥٠ حرفة كاملة ويزداد الوضع الاقتصادي سوء.. ده بالإضافة إلى ألف جمل محملة ذهب وفضة ده غير التحف والنحاس والسلاح الرخام والخيول والمواشي.

حيا الله سليم الأول.. وربنا الجدع ده كفاءة.. هي دي دخلة المعلمين صحيح.



هنا في نقطة مهمة جدا يلزمها توضيح..

المؤرخين المعاصرين كانوا من امراء المماليك.. يعني نقدر نقول بلغتنا الأيام دي ان دول كانوا "فلول" العصر وقتها.. هل نتوقع انهم يكونوا منصفين في ذكر سيرة سلطان من أشجع وأقوى سلاطين العثمانيين زي سليم الأول خصوصا ان دخول العثمانيين لمصر افقدهم اغلب مميزاتهم؟

بالتأكيد لأ..

في الوقت نفسه لما نقرأ تاريخ سليم الأول هنلاقي انه رجل عسكري قح لا يجيد في الدنيا إلا القتل والغزو.. قتل أخوه علشان الكرسي وكان على وشك قتل ابنه.. هل نتوقع انه دخل مصر سلميا وهو الأقوى عسكريا.. خصوصا انه لسه خارج من نصر حاسم في مواجهة الصفويين وعنده معلومات مؤكدة عن تعاون بشكل ما بين السلطان الغوري وإسماعيل الصفوي؟

بالتأكيد لأ برضه..

هل حد خد باله من موقف البرتغال وإسبانيا بعد سقوط الأندلس واكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح ومحاولات السيطرة على المنطقة كلها من مدخل مضيق باب المندب؟

طيب نفهم من كده إيه؟

نفهم ان دخول العثمانيين مصر رغم قسوته إلا انه كان حماية لمصر من الغزو الأوروبي اللي بكل الأحوال كان هيبقى أسوأ من العثماني.. ولنا في الأندلس والحملات الصليبية خير دليل.

هنعرف كمان ان من وقت دخول العثمانيين لمصر سنة ١٥١٧م محصلش أي هجمات أوروبية على مصر.. أول حملة كانت الحملة الفرنسية بتاعة بونابرته سنة ١٧٩٩م. سنين العثمانيين في مصر كانت ظلامية آه.. مفيهاش تطور معماري ولا طبي ولا أدبي ولا أي نوع.. مصر تحولت من سلطنة مرهوبة الجانب إلى مجرد أيالة تورد فلوس للخزينة الكبيرة في إسطنبول وبس.. ده صحيح.. لكن في نفس الوقت الناس عاشت آمنة على نفسها وحياتها ودينها.

يعني العثمانيين بدخلتهم البلدي دي.. حموا مصر من مخاطر السقوط تحت نير الاستعمار الأوروبي الاستنزافي العنصري.. ونفهم كمان ان قوة القاهرة كانت من قوة إسطنبول.. لما ضعفت إسطنبول وبدأت تنهار.. ضعفت مصر وبقت هفأ ومطمع.

بقول آخر..

العثمانيين حضارة عادية جدا زي أي حضارة.. مفيهاش ملائكة ولا شياطين.. لكن فيها سلاطين عظام حققوا انتصارات جبارة.. وسلاطين هفأ جابوها الأرض.

****

طب والسلطان طومان باي كان مصيره إيه؟؟

مصير درامي مأساوي هنعرفه بالتفصيل في الكتاب ده اسمه "عدالة السماء".

طيب.. وقت الحرب بين سليم الأول وطومان باي.. وبعد ما دخل سليم الأول مصر بالفعل وملك كل شيء واترفعله الدعاء في المنابر.. الزيني بركات كان في أنهي داهية؟

ولا حد يعرف.. ابن الأبالسة اختفى تماما ولا كأنه كان في مصر فيوم من الأيام.

اترستق سليم الأول في مصر.. عمل اللي عمله وبدأ يظبط نفسه علشان يرجع اسطنبول ويلحق موسم السياحة من أوله.. أول كلامه كان والي من طرفه على مصر اسمه يونس باشا.. في طريق العودة سليم حب يعلم على يونس باشا اللي كان رافض حملة مصر.. سليم رمى كلمتين كده بما معناه إني طلع عندي حق اهو يا قفا ومصر بقت معانا.. يونس باشا شكله كان حمار.. راح رامي رد زي الدبش فوش السلطان المنتصر العنيف.. السلطان اتخنق منه وأمر بقتله.. واندفن الراجل في جنوب غزه في مكان اتسمى باسمه لحد النهاردة.. خان يونس.. ملحقش يونس باشا يصرف علاوة الترقية.. الحرام مش بيدوم برضه يا جدعان.

طيب كده مصر من غير والي.. سليم أكيد هيعين حد.

- عين مين بقى؟؟
- خاير بك الجركسي.
- يا لهوى.. انت بتقول إيه يا عم!! خاير بك اللي كان أمير حلب؟؟
- ايون.. هو بعينه

- اشمعنى طيب!!
- ماهو ده ثمن الخيانة.. تمن دخول سليم الأول لمصر كان ولاية خاير بك على الديار المصرية لحد ما يموت.
- يا حلاوة!!

لو قريت الفترة دي من كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور.. هتلاقي ان الأوضاع متغيرتش كتير بين أيام المماليك السودة وأيام العثمانيين الأسود.. ده حتى حصلت حادثة كده بعد ما خاير بك اتولى بكام يوم.. حاجة كده حسست الناس ان مفيش حاجة اتغيرت وان كلنا أسرة مع بعضينا.

حصل إيه بقى؟؟

نزل المنادي للأسواق راكب على حمار فور باي فور وهو بيقول الآتي:

يا أهل مصر المحروسة.. طم ططم طم طام

خبر يستاهل ميت بوسة.. طم ططم طم طام

قرر مولانا السلطان المعظم سليم شاه أمير المؤمنييييييييييين.... طم ططم طم طام

تعيين القاضي بركات بن موسى في وظيفة أمير الحسبة.. طم ططم طم طام

وأميراً للبيمارستان المنصوري.. طم ططم طم طام

وأميراً للذخيرة.. طم ططم طم طام

ويمنح خلعة السلطان.. طم ططم طم طام

ولقب الزيني بركاااااااات.. طم ططم طم طام

والحاضر يعلم الغائب.. طم ططم طم طام

واللي مش عاجبه أبوه لأبو اللي جابوووووووووووووه. طم ططم طم طام

- هو في إيه يا عم.. زيني بركات مين؟؟

- أيوه يا حاج.. هو الزيني بركات بتاع قنصوه الغوري وبتاع طومان باي.. دلوقتي شغال مع ولاد سليم اللبانين
- ليه يا عم.. هو كمال الشاذلي وللا إيه!!
- هو مش من عيلة الشاذلي أكيد.. بس غالبا كان منوفي.

تخيل بقى يا مؤمن ان أهم جاسوس للعثمانيين في مصر كان هو بركات بن موسى.. كان بيبعتلهم التفاصيل أول بأول.. المعلومات المهمة عن التسليح والفلوس والأحوال.. مداخل ومخارج القاهرة.. مخابئ امراء المماليك.. أماكن تمركز النقاط الحصينة.. كله كله.. مخلاش ابن الإيه.. كل ده يا عيني والعيال بتوع الأزهر "المجاورين" يخرجوا علشانه مظاهرات وهما لسه مخدوعين فيه.. وهو في الآخر يطلع جاسوس رمة.

وزي ما كان عايش في أيام المماليك بالخيانات والخديعة والمؤامرات.. استمر برضه زي ماهو أيام العثمانيين.. علشان يبقى الزيني بركات رجل كل العصور بجد.. شغال مع الكل وطالع واكل نازل واكل.

طيب وشباب الأزهر الثوري؟؟

المشايخ؟؟

امراء المماليك؟؟

الشعب؟؟

كل حاجة فضلت زي ماهي.. اللي بيتكلم فضل يتكلم.. الأمراء فلوسهم فضلت زي ماهي.. والشعب برضه فضل زى ماهو.

- يعني كل الغلب ده علشان يشيلوا سلطان مملوك.. ويجيبوا مكانه والي عثماني!!
- لا.. وكمان علشان زكريا بن راضي يهرب حضرتك.. بلاش ننكر الإنجازات
- طيب ما كانوا قالوا يا عم.. كنا وفرنا الدوشة والمصاريف دي كلها
- يا ابني وفين الأكشن.. هيدخلوا على مصر سكيتي يعني!!!

- يا عم كله في السلانكاتيه.. ما انت بتقول اهو ان مصر عاشت ٢٨٨ سنة ظلام تحت حكم ولاد عثمان
- يا عم بس دول مسلمين
- وهما يعني المماليك كانوا كفار.. طيب فلوس الغوري والغورية.. حصل فيها إيه؟
- الله.. جرى إيه يا كلاوي.. من امتى بنسأل الأسئلة دي
- طيب.. بس لعلمك بقى.. اللي زي الزيني الشاذلي ده نهايتهم بتبقى سوده
- يعني.. نقدرنقول آه ونقدرنقول لا برضه.
- إزاي طيب.. هو ابن إياس طرمخ على الحكاية دي في الكتاب وللا إيه؟ ليكون خاين هو كمان ومتفق مع سليم الأول
- مش فارقة بقى.. كده كده مصر بقت ولاية بعد ما كانت سلطنة.. كل الخراب شبه بعضه.
- يلزمنا بس من باب الفضول نعرف مات إزاي رجل كل العصور ده.

خاير بك حكم مصر لمدة ٥ سنين.. في الوقت ده المصريين كانوا بينادوه "خاين بك".. سليم الأول برضه كان مسميه "خاين بك ملك الأمراء".. صاحبنا الزيني ملوش دعوة بالليلة دي كلها.. هو خدام لقمة العيش.. ولقمة العيش مع خاين بك بقت لقمة بغاشا.

خاين بك كبر وعجز والمرض ركبه.. بعض الناس قالت عنده سرطان وبعضهم قال شلل رباعي.. عجز الطب وقتها في تشخيص حالته.. الناس قالت ان ده انتقام ربنا المؤقت في الدنيا لحد ما يروح الآخرة علشان يتظبط صح.. يموت خاين بك سنة ١٥٢٢م علشان يبقى آخر مملوك فعلا يمسك حكم مصر.. يندفن في مقبرة فخمة أوي في باب الوزير الناس بتعدي عليها لحد النهاردة علشان تتف.. سليمان القانوني بعد كده سمع كلام أبوه ومبقاش يثق في المماليك.. والى مصر لازم يكون بكلربكي عثمانلي.. راح جاي باعتلنا مصطفى باشا الراعي.. أول والى عثمانلي لإيالة مصر اللي كانت محروسة .

في عصر مصطفي باشا حصل أول تمرد من امراء المماليك ضد سلاطين بنى عثمان.. يمكن كانوا ساكتين الخمس سنين اللي فاتوا علشان زي ما قلنا مفيش حاجة اتغيرت.. الوالي مملوك وفلوسهم ومناصبهم زي ماهي.. إنما لما ييجي والي عثمانلي جديد منعرفوش ولا يعرفنا ويبدأ بقى يقولنا من أين لك هذا..

اهو ده اللي مش ممكن أبدا.

تبدأ اتصالات بين الأمير الخائن جان بردي الغزالي في الشام والأمير اينال السيفي كاشف الغربية والأمير جانم السيفي كاشف البهنسا والفيوم.. الثلاثة اجتمعوا واتفقوا على انهم يعلموا سليمان القانوني درس عمره ما ينساه ويعرفوه مين هما المماليك.

مش عارف ليه سامع صوت ضحكة سليم الأول الخشنة في قبره.. العيال دي فاكرة ان سليمان شاب تركي من بتوع العشق الممنوع.. يا ليلة زرقاء.. بقى ملقيتوش غير ده وتحكوا فيه!! ده عصبي أوي يا جدعان وإيده سابقة لسانه.

للأسف محدش بيسمع الكلام.. جان بردي الغزالي اترقع علقة محترمة من مصطفى باشا في الشام علشان يموت كلب ذليل وتشمت في موته الناس لأنه كان من اللي خانوا الشهيد طومان باي.. بينما في مصر.. ظهر عفريت العلبة من تاني علشان يعمل حركة قارعة من حركاته لعل وعسى يكسب بيها بنط عند الوالي الجديد زي ما كان عند الوالي الخائن السابق والسلطان الشهيد المشنوق على باب زويلة والسلطان الغافل الميت تحت سنابك الخيل في مرج دابق.

ومين يكون عفريت العلبة غير الزيني بركات؟؟

يخرب بيتك راجل.. انت لسه عايش؟

آه.. عايش ولسه بيلعب وبيدبر مؤامرات كمان وبيعيط من الخشوع لما بيتكلم قصاد العوام..

وهي الناس هابلة يعني علشان تصدقه؟

للأسف بقى.. كتاب ابن إياس "بدائع الزهور" خلص لحد هنا.. الراجل مات الله يرحمه.. بس مش مشكلة.. في كتاب ابن زنبل الرمال "آخرة المماليك" فيه الشفاء.

بيقول إيه بقى ابن زنبل الرمال؟

بيقولك يا سيدي ان الزيني بركات قدر يقنع مصطفي باشا انه يصبر شوية على تمرد جانم واينال السيفي.. يديله فرصة يتكلم معاهم وهيقنعهم يبطلوا شقاوة.. بس انت عارف بقى يا باشا.. حلاوتي مش اقل من شاليه في العين السخنة.

ويروح الزيني بركات لمعسكر المتمردين في الشرقية.. يدخل ويرمى السلام على الموجودين ومحدش يعبره..

- أنا برمي السلام يا أمير اينال
- إيه اللي جابك يا كلب أسيادك؟
- خلينا نتكلم كفنيين.. مصلحتنا دلوقتي مع العثمانيين
- لا يا خاين.. إحنا هنرجع أمجاد أجدادنا تاني.
- الأمجاد دي تحطها في.. عينك.. على رأي المملوك توفيق بن الدقن أتابك المشخصاتية
- انت عاوز إيه دلوقتي يا خاين؟؟
- مش أنا اللي عايز.. مصطفى باشا هو اللي عايز يتكلم معاكوا ووعدني انه مش هيتعرضلكوا وكل طلباتكوا مجابة
- طلبات مين يا كلب يا ابن الكلب.. انت عاوز تسلمنا تسليم أهالي
- اسمع بس.. أنا كلم........

وهنا فقد الأمير اينال السيفي أعصابه قصاد برود لا متناهي من شخص خان قضية المماليك ألف مرة على الأقل.. راح جاي مطلع سيفه وطير رقبة بركات بن موسى.. علشان تقع على الأرض الراس اللي شالت مخ من أخبث الأمخاخ

اللي وردت على المحروسة ويتلوث التراب بدم الخائن.. اعتقد إن الموجودين وقتها سدوا أنوفهم من ريحة الزفاره اللي عبقت المكان.

بلغ الكلام ده مصطفى باشا.. هو كده كده مش مركز معاهم.. شوية مماليك في بعض اياكش يولعوا كلهم.. كمل حربه عادي خالص مع المتمردين.. والمتوقع حصل.. خيانات داخلية في صفوف المماليك علشان يقع الأمير جانم السيفي في وسط المعركة ويقطع العثمانيين راسه ويهرب اينال السيفي على غزه.. وهناك تنقطع أخباره تماما ويستقر الحكم بعدها لمصطفى باشا الراعي وتتقفل صفحة المماليك الشركس في مصر للأبد.

الظريف بقى هي الشائعات اللي صاحبت اختفاء الأمير اينال السيفي.

بيقولك يا سيدي انه خرج من مصر لابس طاقية الإخفاء.

مش بعيد كمان يكون وقع في ايد سليمان القانوني اللي قعد يقوله العلبة دي فيها فيل.. طرااااخ.. فيها فيل.

ال طاقية إخفاء ال.

محدش عارف الأمير اينال السيفي مات امتى ولا إن كان هرب في طاقية الإخفاء فعلا وللا دي تخاريف المخابيل اللي كانت منتشرة بقوه أيامها وكانوا فعلا بيعتقدوا في المواضيع دي إلى الحد اللي خلاهم يؤمنوا إن الجن هما بناة الأهرام.

اللي فضل بس من سيرة اينال السيفي موقفين..

موقفه المجدع من مقتل طومان باي..

وسيفه البتار اللي طير رقبة واحد من أكثر الخونة غموضا في تاريخ مصر المحروسة..

خائن اسمه بركات بن موسى..

أو الزيني بركات.

عدالة السماء

يا أخي الدنيا دي غريبة أوي ..

يعمر فيها الرذيل لحد ما شعره يشيب.. بينما ابن الحلال يودعها بدري ويسيب في القلوب حسرة.

بص حواليك هتلاقي الكلاب كسروا الثمانين.. بينما الشباب نايم في قبره مش مرتاح.. لا لحق دنيا كويسة يعيشها.. ولا الكلاب سايبين الناس تترحم عليهم.. اللهم لا اعتراض على حكمك.. ارزقنا بس الصبر لأحسن لم يعد في قوس الصبر أي منزع.

بطل حكايتنا النهاردة يا سادة.. مملوك.. لكنه مش أي مملوك.. ده آخر المماليك السلاطين.

زي ما البطن قلابة وتخلق من ضهر العالم فاسد.. حب المولى يورينا إزاي خرج من أصلاب المماليك مملوك مش خائن ولا غدار.. وزي ما كان المصريين ميطيقوش المماليك.. نفس المصريين حبوا سيرة مملوك منهم وقالوا فيه كلام أثار سلطان الأتراك.. سليم ابن عثمان.

مملوك النهاردة يا أهل المحروسة هو آخر سلاطين الشركس في مصر ..

الأشرف طومان باي.

◈◈◈◈◈◈◈

زي ما شفنا في سيرة سيء الذكر الزيني بركات.. انتهت أيام مماليك الشركس في مصر بهجمة بربرية من سلطان الأتراك على ارض مصر.. شفنا إزاي المماليك فضلوا على درب الخيانة سائرون.. وزي ما خانوا قنصوه الغوري وموتوه بالسكتة.. خانوا طومان باي وخذلوه في الحرب.. ٣ مرات طومان باي كعبه يعلى ويبقى بين سليم وبين الهرب تكة.. إلا إن كل مره تنشق الأرض عن ندل

جبان يطعن طومان باي في ظهره ويفتح جزء من الجيش لعسكر سليم.. كل ده وطومان باي مش يائس.. السلاح خلص والرجالة هربت والأئمة بتدعي لسليم الأول على المنابر.. وهو زي ماهو.. شكله كان راسم على استشهاد.. نحسبه عند رب العباد شهيد ولا نجرؤ نزكي على الله أحد.

انتهت الحرب ووقع طومان باي.. انكسر صحيح لكنه مش أسير.. قدر يهرب من البصاصين والخونة على البحيرة.. بالتحديد قرية اسمها البوطة.. استخبى عند ولاد الحلال لحد ما قالوله إن المنطقة كلها في حماية واحد من صحابه القدام له عليه أفضال وجمايل وحان وقت ردها.

مكدبش طومان باي الخبر وطلع من ساعته على صاحبه القديم.. شيخ عربان البحيرة.. حسن بن مرعي.

وعند حسن بن مرعي وأخوه شكر استقر السلطان المجروح.. محتاج يرتب الدنيا ويشوف هيعمل إيه مع ولاد عثمان اللي مبرطعين في القاهرة.. الأخبار اللي جاية من وراء أسوار المحروسة لا تسر عدو ولا حبيب.. الناس اللي اعتبرهم السلطان الجريح أهله طاح فيهم العسكر بدون حسيب ولا رقيب.. كل الناس بتسأل ..

مين ينقذنا من الهمج؟

مين يبعد عننا الأتراك؟

يا ناس.. الترك دخلوا بالشرك.. فين طومان باي؟

بس طومان باي مش سامع.. لأنه كان مستخبي عند حسن بن مرعي.

يا زين ما اخترت يا سلطان.. استخبيت عند حسن وشكر.. ندل وجبان

زي ما لكل زمن موضة.. موضة الأيام دي كانت الخيانة.. ألف اتفاق واتفاق بين أصحاب السلاح بتتغير كل ساعة.. نقعد سوا ناكل ونشرب ونتفق إننا نحارب مع بعض ضد عدو تالت مشترك.. وقبل ما صحون الأكل تترفع نكون قلبنا على بعض واتفقنا مع طرف رابع علشان نحارب سوا طرف خامس هنتفق معاه بكره.. مفيش كلمة ولا عهد.. محدش له أمان لو كان أخوك ابن أمك وأبوك.

علشان كده أول ما قعدوا في بيت حسن بن مرعي.. طومان باي مسك المصحف وطلب من حسن وأخوه إنهم يحلفوا عليه.. طيب هيحلفوا على إيه؟؟ ده على رأي المثل.. قالوا لابن مرعي احلف.

- موافقين يا رجالة؟
- موافقين يا سلطان
- تحلفوا على المصحف؟
- نحلف يا سلطان.
- آدي المصحف أهو
- وآدي الحلفان أهو.. نقسم برب هذا المصحف إننا لا نخونك ولا نغدرك ولا ندلس عليك ولا نسلك معك أيا من أسباب المسك.
- والخائن يا رجالة؟
- عليه ربنا يا سلطان
- اتفقنا
- آمين يا سلطان.. انت في عينينا وعينين عينينا كمان.. كفاية أفضالك علينا من أيام عمك السلطان الغوري.

وحلف العربان على المصحف سبع مرات.. وصدق السلطان الساذج الحلفان.. قعد في بيت حسن بن مرعي مدي الأمان الكامل ولا كأنه في بيته.

السلطان قاعد يغمس عيش ناشف في الزيت والملح.. بيفكر في اللي جاي والأعراب بيطوقوا البيت زي الثعبان.. ثعبان طويل وضخم.. أرقط وسام.. ثعبان يعصر ضحيته بلا رحمة لحد ما تلفظ الروح.. تعبان ملعون براسين اسمهم حسن بن مرعي وأخوه.. شكر بن مرعي.

وفى غمضة عين تهجم الأعراب على السلطان المستكين.. تكتفه وتكمم بقه وتغطيه بشوال.. الراجل ملحقش حتى يسحب سيفه علشان يطهر الأرض من خائن وللا اتنين.. هو كان شجاع صحيح.. بس طول عمرنا عارفين إن الكترة تغلب الشجاعة.. خبطتين بقبضة سيف غشيم على راس السلطان علشان يخر فاقد الوعي وسط الأنذال.

يبعت الخائن حسن بن مرعي اتنين من رجالته على المحروسة بالأخبار السعيدة لابن عثمان.. ابن عثمان ابتهج.. أخيرا حط ايده على آخر أمل للماليك.. هو ده الكلام.. عفاريم عفاريم شيخ حسن.. وطي على الأرض خد مكافئتك.. كيس دهب تشبرق بيه نفسك.. ابني بيت من الحجر بدل الخيام.. ألف قطعة دهب تدخل بيهم تاريخ الأوساخ من أوسع أبوابه.. باب الخيانة.

بعت سليم عساكره تقبض على طومان باي.. شحنوه في التو والحال على إمبابة مقر إقامة سليم الأول اللي قاعد يبلطج على الخلايق.. وصل طومان باي لمجلس سليم.. باين عليه الإرهاق والبهدلة.. لابس خيش في خيش.. جسمه متوسخ وشعره منكوش.. على وشه المرهق رسم عرق الحرب المختلط بتراب الصحراء خطوط الهزيمة العريضة.. راحت مظاهر النعمة من على ابن الناس وظهر مكانها القهر والحزن.

رغم محاولات سليم لإذلال طومان باي، إلا انه فضل واقف على حيله شادد نفسه وصالب طوله.. باصص في عين سليم الأول بنظرة الند.. المسكين كان فاكر انه خسر معركة بينما الواقع الأليم انه خسر الحرب كلها.

يا ترى سليم ناوي يعمل إيه في الجدع؟

قام سليم يلف حوالين طومان باي.. حرب أعصاب مش اكتر.. عاتبه بكام كلمه خرجوا غصب عنه مكللين بالاحترام.. مهما كان العدو شرس، إلا إن احترام المخلص واجب.. سليم صحيح حرامي ومغتصب، إلا إنه راجل محارب ويقدر الجدعان.

سليم طلق رجالته في أنحاء المحروسة ينشروا الأخبار.. طومان باي وقع في الأسر خلاص.. معادش ليكوا أمل يا مصريين.. آخر رجالتك يا بلد متسلسل بالحديد عندنا.. انسوا بقى فيلم الحرب واستعدوا لسنين طويلة من ظلام عثماني هيعشش على بيوت مصر.. الناس في مصر مصدقتش عسكر سليم.. أي نعم في شوية كلاب كانوا ماشيين بين الناس بالشماتة.. بس الأغلبية كانت بتتف عليهم.. ماهو أصل اللي يشمت في مصايب الناس ملوش إلا التف على وشه.

هتعمل إيه يا سليم في طومان؟

إكراما لفروسيته وجدعنته، قرر سليم الأول انه يبعته على مكة يعمل عمرة وبعدها يحتفظ بيه في إسطنبول.. لعل وعسى ييجى يوم ودماغ طومان الناشف يلين ويوافق على عرض سليم الأول.

عرض سليم الأول!!

لاهو سليم الأول لما كان بيوشوش طومان باي.. كان بيعرض عليه رشوة؟؟؟

أه.. تصدق!!

بس هي مش رشوة بالمعني المفهوم.. سليم الأول عرض على طومان باي انه يبقى من رجالته.. ومش أي رجالة.. ده هيبقى قائد الجيوش.. مفيش في عسكر سليم الأول زيه.. وده أقل من مقامه.. بس هو يرضى.

والله عين العقل يا سليم.. تفكير براجماتي صحيح ١٠٠%.

بس الكلام البراجماتي ده معجبش آخر ٣ كلاب في دولة الشركس.

الكلب الأولاني.. جان بردي الغزالي.. مملوك من قرية اسمها منية غزال في الشرقية.. ومنها خد اسمه.. كان في خدمة الأمير سيف الدين تغري بردي "اللي هو والد أبو المحاسن جمال الدين يوسف.. المؤرخ الكبير صاحب كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة".. كان من الأمراء اللي هربوا في مرج دابق وسابوا السلطان الغوري لوحده.. وصاحبنا طومان باي بدل ما يشنقه على خيانته.. يروح مكلفه بحملة للشام علشان يصد هجوم سليم الأول.. فيقوم سليم يضحك على الكل ويجنده مع وعد بإمارة دمشق لو سابه من الليلة بتاعة الحرب دي وفتحله سكة لمصر.. وطبعا الغزالي كمملوك حقيقي مكدبش خبر.. فتح الطريق قصاد سليم من غزه لحد مصر.. ولما الأمور استقرت للعثماني.. راح معينه كأول والي مملوك على دمشق في عصر الظلام العثماني.

الكلب الثاني.. خاير بك الشركسي.. دوره في مرج دابق يعتبر المرجع الأساسي لكلاب وخونة الدنيا.. كافئه سليم على خيانته بولاية مصر.. سماه ملك الأمراء

رغم انه فضل يقوله يا خاين بك.. عاش مكروه ومات مريض محدش بيترحم عليه.. الناس تعدي على قبره وتتف رغم إن قبره كان فخم ومهيب.

أما الكلب الثالث.. فده حبيبنا من أيام الجيزة..

القاضي بركات بن موسى.. أو الزيني بركات

هاهاهاهاااااااااااااااااااااااااااااااااااااى

بركات؟؟ عفريت العلبة!!!

تخيل يا مؤمن؟ واضح طبعا إن طومان باي كان راجل درويش تماما لما قرر إنه يثق فيه.

فكرك انت بقى لما سليم الأول يقرر إنه يكرم طومان باي.. ال ٣ كلاب هيعملوا إيه؟؟

أساسا حياة واحد زي طومان باي ده عبارة عن إهانة للخونة الثلاثة.. كل نفس بيتنفسه بيحط من قدرهم ويخلي الناس تتف عليهم زيادة.. ودت الزانية لو أن كل النساء زواني.. نسمع كلامهم ونرجع تاني بعد الفاصل..

جان بردي: هتسيبه يا مولانا السلطان؟؟

خاير بك: هتبقى غلطة كبيرة يا مولانا!!

الزيني بركات: لو سبته.. الناس هتحكي وتعيد وتزيد في سيرته.. هيبقى بطل في العقول والقلوب.. وانت هتبقى في السلانكاتيه يا أمير المؤمنين.

سليم: شوروا عليا يا رجالة.. نعمل إيه؟؟

جان بردي: نقتله بالغدارة

خاير بك: نقتله بالسيف

الزيني بركات: حرام عليكو يا كفرة.. خلو عندكوا رحمة.. إحنا نشنقه يا مولاي.

وفى الخلفية شغالة أغنية الربابة بتاعة فيلم أمير الدهاء "فريد شوقي مش أنور وجدي.."

كانوا تلاتة.. عملوها.. مؤامرة زمان.

خانوا صاحبهم.. بنار.. ما لها دخان.

وصمت الراوي عن سرد الحكاوي.. في انتظار المزيد من الخطوب والبلاوي.

وأي بلوة لسلطان مهزوم أكبر من ٣ خونة اجتمعوا ضده عند سلطان دموي منتصر؟

وكان القرار السهل بعد ١٧ يوم قضاهم طومان باي في الحبس والغربان بتزن على ودان سليم.. قرار شنق طومان باي.

◈◈◈◈◈◈◈

أشرقت شمس يوم ١٤ ابريل سنة ١٥١٧م حزينة مكتئبة على غير عادتها.

يخرج طومان باي من حبسه مكبل بالسلاسل الحديد في حراسة أقوى ٤٠٠ عسكري إنكشاري من عسكر سليم الأول.. ده غير رماة الأسهم.. جيش صغير بيحرس سلطان أسير خائر القوى لابس خيش وراكب على حصان هزيل.. سلطان يبدو بلا حول ولا قوة.

بقى معقول سليم الأول.. المحارب الدموي الشرس.. خايف من طومان باي للدرجة دي!!

الحقيقة هو خايف من رد فعل الناس.. مع انه قرر انه يلف القاهرة بموكب طومان باي علشان يكسر في النفوس أي رغبة أو أمل في الحرب.. بس برضه الأمر ميسلمش.. ال ٤٠٠ حارس دول يلزموا لتأمين الموكب وينفعوا برضه كقوة صغيرة تقدر تسيل دم كثير لو المصريين قلوا عقلهم لحد ما القوة الكبيرة تهجم وتبقى درمغة على الكل.

مش سهل برضه سليم الأول.

يتحرك الموكب من إمبابة بعد الفجر علشان يشق طرق القاهرة كلها من بولاق للمقس والناس على الصفين بتسلم وتحيي طومان باي.. وصلوا سوق مرجوش وبدأت الناس تحدف ورد على الراجل المجدع وهو يرد عليهم السلام.. عدوا من شارع أمير الجيوش كله لحد ما وصلوا باب زويلة وما زال السلطان بيحيى الناس والناس تحييه.. الموكب اللي عملوه علشان يكسروا الأمل في القلوب.. تحول إلى موكب تكريم ووداع لطومان باي اللي تحول إلى كابوس لسليم.

نهاية الخط عند باب زويلة.. وقف الانكشارية واتخضوا من عدد الجمهور.. عملوا دائرة محكمة حوالين طومان باي.. طومان باي بص فوق على الباب لقى حبل المشنقة مدلدل.. عرف إنها النهاية.. سرحت بيه الذكريات بسرعة.. افتكر أول دكر من بني جنسه لما علق في نفس المكان ده جثث رسل الخراب التترية.. سبحانك يارب.. نفس الباب اللي شهد ولادة دولة المماليك هو نفس الباب اللي بيشهد أفولها دلوقتي.. دولة بدأت بسلطان عظيم رسم أول خطوط مجده بدم التتار.. وبتنتهي دلوقتي بسلطان عظيم هتتعلق رقبته هنا.. زي التتار برضه.. يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء.

يا ترى طومان باي كان بيفكر في إيه؟

بيراجع شريط حياته؟

بيسب الخونة؟

ندم انه قبل كرسي السلطنة ومجريش زي اللي جريوا؟

هل كان لازم يقبل رسالة سليم الأولي وميكابرش؟

الحقيقة انه مفكرش في أي حاجة من كل ده.. طلع لوحده على المنصة بخطوات ثابتة.. بص للناس وقالهم بصوت قوي..

اقرولي الفاتحة ..

اقرولي الفاتحة ..

اقرولي الفاتحة..

المشاعلي هيتجنن.. الراجل ده جايب القوة دي منين.. المشنقة مبتهزرش.. هو مش هيطلب الرحمة وللا إيه؟

النمرة غلط يا جناب العشماوي.. مش طومان باي اللي يطلب الرحمة..

طومان باي قرأ الفاتحة لنفسه ٣ مرات نطق بعدهم الشهادة وقال إنا لله وإنا إليه راجعون.. بص للمشاعلي وقاله بلهجة قويه آمرة:

اعمل شغلك.

صوت بكاء الناس في الخلفية مغطي على صوت طومان باي.. المشاعلي مش سامع.. في أول الأمر ابتهج وافتكره بيطلب الرحمة.. لما ركز في الكلام الحسرة ملت قلبه.. حس انه بيتحداه.. بيقولوا إن المنتصر يفقد فرحته بالانتصار لو ابتسم المهزوم ساخرا.. المشاعلي فقد لذة إعدام السلطان خصوصا لما سلطانه شاورله من بعيد.. ياللا خلصونا بسرعة.

سليم متوتر..

يقرب المشاعلي من عصاية فتح بير المشنقة.. ترتفع أصوات الناس بالتكبير والدعاء بالجنة لطومان باي.. دراع المشاعلي عفية وعمرها ما خذلته.. لكنها دلوقتي بتترعش على العصاية حتى انه استخدم ايديه الاتنين علشان يشد العصاية لورا وينفتح البير ويستمتع بمنظر جسد السلطان متعلق من رقبته في الحبل علشان تنكسر فقراته العنقية ويموت الجسد وتبقى الروح في أذهان الناس.. بدأ الشغل.. هوووووووب.. العصاية تستجيب بعد عصلجة.. باب البير يتفتح.. ملك الموت منتظر أهو..

بس الحبل اتقطع ووقع جسم طومان باي على الأرض..

لسه فيه الروح.

تصرخ الناس فرحانة بجنون.. اعتبروها إشارة من ربنا يحذر فيها سليم من إعدام البطل.. عسكر سليم ميفهمش الكلام ده.. نظرة سليم الغاضبة أجبرتهم يجروا بسرعة يبدلوا الحبل بحبل جديد.. اليوم اللي عمله علشان يأكد نصره بينقلب عليه بسبب إهمال الحراس.

المشاعلي يركب الحبل الجديد.. يلف العقدة كويس حوالين الرقبة العريانة.. خطوتين لورا.. يا قوة الله.. هوووووووب.. العصاية تستجيب وينفتح باب البير ..

والحبل ينقطع تاني ويقع جسم طومان باي على الأرض..

لسه فيه الروح.

وترتفع صرخات الناس اكتر.. المكان بقى أشبه بساحة المجانين مش ساحة إعدام سلطان.

صرخة غاضبة من سليم الأول أدرك بيهم المشاعلي انه هالك لا محالة.. المرة دي حبل غليظ واتنين حراس يساعدوه.. العقدة ملفوفة بإحكام على الرقبة اللي رفضت الكسر.. المرة دي مفيش هزار ولا استهانة.. اتنين زي البغال شدوا العصاية.. صمت رهيب يخيم على المكان كله.. انفتح باب البير وصمد الحبل الملعون.. صوت قرقعة عظام بتتكسر مع شهقة الم مكتومة مزقوا الصمت الحزين.. سقط جسد البطل متأرجحاً في الفراغ.. ارتج باب زويلة بصرخة حزن عظيمة من الحضور.. انشقت الحناجر بصرخات ألم هرب من قوتها الطير حزين على البطل الشهيد.. صوت نواح النساء أرعب سليم الأول.. خرج هو وعسكره من المكان بدون ما يشيلوا الجثمان.. لا اعتقد انه نسي اليوم ده لحد ما مات.

انتقل الخبر بسرعة وارتجت شوارع المحروسة ٤٠ يوم بالبكاء والعويل على سلطان فقيد.. محدش عارف الناس كانت بتعيط على السلطان اللي ضاع ولا الوطن اللي إتباع.. قلوب الناس كانت حاسة إن اللي فات ظلام واللي جاي ظلمات.. غضبوا على المماليك اللي اتربوا وسطهم علشان ربنا يجازيهم بالأتراك اللي افترسوهم لحد آخر نفس.. فضلت الجثة متعلقة ٣ أيام لحد ما عفنت.. محدش عارف إن كانوا سابوها علشان يذلوا الناس ولا يهينوا السلطان الشهيد ولا من الأساس كانوا خايفين يقربوا من هناك لاحسن الناس تفتك بيهم؟؟

كل شيء وارد.

في اليوم الثالث نزلوا الجثمان من على المشنقة وطلعوا على مسجد ومدرسة السلطان قنصوه.. في ساحته الخلفية غسلوه ودفنوه.. محدش يعرف مكان الدفن بالظبط.. تعمدوا يخلوا المكان مجهول رغم وجود مقبرة فخمه فاضية بناها السلطان الغوري لنفسه ومندفنش فيها.. سابوه بلا علامة علشان ميتحولش لمقام الناس تزوره وتتبارك بيه.. قتلوا أمل الحرية تماما في نفوس المصريين.. علشان يتمكنوا من حكم البلد لما يقرب من ٣ قرون.

لو فيوم قررت تحضر أي فعالية أو أمسية في ليلة من ليالي الغورية الساحرة.. ترفق شوية وانت ماشى بتتفرج على مجموعة الغوري.. افتكر إن المكان ده فيوم من الأيام كان سيتي ستارز القرن ال ١٥ وال ١٦.. افتكر كمان إن بقايا السلطان طومان باي تحت رجلك بالظبط.

تبارى الشعراء والمؤرخون في وصف اليوم الكئيب ده.. ابن إياس الحنفي مثلا قال في رثاء السلطان:

لهفي على سلطان مصر كيف قد ولى وزال كأنه لن يذكرا

شنقوه ظلما فوق باب زويلة ولقد أذاقوه الوبال الأكبرا

يا رب فاصفح عن عظائم جرمه واجعل جنات النعيم له قرا

سبحان الله.. المحبة لا تشترى ولا تباع.

راح السلطان الجدع.. كان الرجل المناسب في الوقت غير المناسب.. راح بالغدر والخيانة تشيعه دعوات ألوف تترجاله الرحمة من الرحمن.. راح وساب وراه تاريخ وعبرات ملهاش آخر.

تعرفوا بقى إن قتل طومان باي كان نذير شؤم على سليم الأول؟؟

رجع سليم على إسطنبول بكل اللي سرقه من مصر.. قعد يرتب في جيوش ويعد لحملات.. جيش للصفويين وجيش للمجر وجيش لرودس.. كان عاوز يطيح في المنطقة كلها.. بس القدر كان له رأي تاني.

سنة ١٥٢٠م يهاجمه مرض مجهول.. بعض الناس قالت الجمرة الخبيثة وبعضهم قال سرطان الجلد.. رغم آلام المرض إلا انه أصر يحضر فتح رودس بنفسه.. مات في الطريق وهو يادوب ٥٠ سنة.. بعد ٣ سنين بالظبط من إعدام السلطان طومان باي.

يا ترى الاتنين بيقولوا لبعض إيه في الآخرة دلوقتي؟

قلبي مع طومان باي وعقلي مع سليم.. الاتنين جدعان ومحاربين رجالة.. الاتنين أحب سيرتهم بس مش حابب حكمهم لأرضي.

طيب.. طومان باي مات.. سليم رجع بلدهم..

ال ٣ كلاب بقى حصلهم إيه؟

خاير بك بقى الوالي على مصر.. مات مشلول وفضل اسمه في التاريخ خاين بك.

جان بردي الغزالي بقى الوالي على دمشق.. بعد موت سليم الأول أعلن تمرده على سليمان القانوني.. رقبته طارت وهو بيحارب قوات سليمان في الشام.. ده طبعا بعد ما خاين بك رزعه الزغروف التمام.. الناس شمتت جدا في موته علشان موقفه الندل مع طومان باي.

الأمير اينال السيفي طير رقبة الزيني بركات وهو بيحاول يلبسه العمة ويوأد أول تمرد مملوكي ضد العثمانيين.

استنوا.. لسه مخلصناش..

في كلب رابع.. حسن ابن مرعي.. نسيتوه ولا إيه؟؟

يا ترى حصله إيه؟؟



ربنا خلق الإنسان حر.. لكن مع طول سنين القهر والذل بينكسر الأمل في الإنسان وتتخرب فطرته.. الأجيال اللي بتتولد في عصور الظلم بترضع من أمهاتها الخوف من كل شيء.. يكبر العيل وهو بيسمع كلام زي "إحنا أحسن من

غيرنا" و "كده أحسن من مفيش" و "هي يعني جت علينا" علشان يصقف للظالم ويدافع عن أدواته بمنتهى القوة في إطار عام من الدروشة والتخريف وهو فاكر انه وطني صميم.. بينما هو في واقع الأمر إنسان صميم على رأي محمود عبد العزيز.

الوطن هو مكان يأمن فيه الإنسان على نفسه وأهله ويحس فيه بالاستقرار..

الوطن هو كيان تنتمي ليه فيزودك ويديلك..

الوطن هو سلاح يترفع علشان يحميك ويحافظ عليك..

غير كده.. شكليات.

طيب.. مصر وقتها كانت إيه؟؟

مصر كانت بقرة سمينة بيحلبها المماليك.. بعدين بقى يحلبها العثمانيين.. وقبلهم حلبها الأيوبيين.. المصريين نفسهم كانوا واقفين آخر الصف ماسكين طبق وسخ يلموا فيه فتات اللي بيسقط على الأرض من الطبقة المخملية اللي بتاخد اللبن الصابح ومشتقاته من قشطة وزبدة وجبنة وحاجات كلها بتتخن بينما هما.. أصحاب الأرض.. لهم الذل والفقر.

في الأجواء دي ظهر طومان باي.. قدر في فترة بسيطة إنه يغير حياة المصريين.. أو بالأدق.. وقف البلد على أول طريق التغيير.. انتسب لمصر وأتعامل وأتصرف على انه مصري ابن مصري رغم انه لم يكن كذلك.. علشان كده المصريين حبوه.. وعلشان كده قلت في الأول إن الوطن هو مكان تأمن فيه على نفسك.. مصر أصبحت وطن طومان باي.

٤٠ يوم بلياليهم المصريين بيعيطوا على السلطان الشهيد.. ٤٠ يوم ظهرت بينهم شائعات وخرافات كلها بتدور حوالين الأيام الخوالي.. أيام الغوري وطومان.

سبحان الله.. ليه البني ادم دايما شايف إن أفضل أيام حياته هي اللي فاتت فعلا؟ مش جايز الحكم العثماني جاي بالخير؟

بدأ المصريين يترحموا على الغوري وأيامه ويقولوا إن روح السلطان الغوري وراس طومان باي بيظهروا عند باب زويلة وبيوعدوا المصريين بالنصر.. خرافات مجهولة المصدر استفاد منها النصابين والأفاقين.. تحول باب زويلة إلى سبوبة رزق للأونطجية.. تطور الأمر حتى إن بعض الشائعات قالت إن الست العاقر لما تعدي من باب زويلة في جنح الليل.. تحمل علطول.

يا عيني.. هي ممكن تحمل طبعا.. بس لو ركزنا كويس هنلاقي دكر أد ضلفة الباب مستنيها ورا الباب علشان متخافش من الضلمة.. بينما المغفل قاعد في البيت مستني بركات الباب.. وتحمل الحرمة من دول وبركة الباب وروح الغوري وراس طومان باي تحل على الجهلة.

الطب أنقذنا من بلاوي وربنا.

طيب.. قلنا إن طومان باي اتجمع ضده ٣ خونة كانوا السبب في شنقه.. وعرفنا كمان نهاياتهم السوداء ومبقاش فاضل غير إننا نعرف حصل إيه مع الكلب الرابع حسن بن مرعي.

في ١٩ ذو القعدة سنة ٩٢٣هـ حصل قلق كبير في القاهرة بين عسكر العثمانلية وبين بواقي الشركس.. بسبب القلق ده أمر سليم بحظر تجول واتقفلت أبواب القاهرة من العصر.. عرف سليم إن حسن بن مرعي كان في القاهرة وقتها وان هو السبب في القلق ده.. عمله فخ سريع وقبض عليه وحبسه متكتف في برج باب القلعة.. حس ابن مرعي إن الأمور مش تمام فلجأ للحيلة.

بعت بن مرعى مرسال لسليم الأول.. يا مولانا عاوزين نيجي نتبارك برؤيتك ونبوس الأيادي.. وكل سنة وانت طيب بقى يا باشا.. سليم بعتله منديل الأمان.. بما معناه يعني تعالى وعلى راسك المنديل ده وهتبقى في حمايتي.. طبعا الناس لو كانت شافته في الشارع كده كانوا قطعوه حتت.. مفيش حاجة تحميه إلا منديل حرير اخضر عليه شعار سليم الأول يشيله فوق راسه.. كده اللي يقربله معناها إن السلطان سليم هيحط عليه.

حسن بن مرعي عمل فيها عبيط وبدأ الكلام مع سيده الجديد علشان ياخد مكافأته على تسليم طومان باي.. بس بدل ما ياخد مكافأة.. لبس خازوق إسطنبولي معتبر.

وصل بن مرعى للقلعة بليل وعلى راسه المنديل.. الحرس حجزوه لحد ما النهار يشقشق.. طلع النهار من هنا وسليم عرف إن في ضيف رزيل منتظره في أوضة المسافرين..

- مين ضيف دي فالاد شماشرجي؟
- حسن بن مرعى جناب سلطان معظم
- ايفيت ايفيت.. ارموه في الحبس تاني.
- يا دين النبي.. بسهولة كده!!

ده حتى مقابلوش علشان يتف فوشه.. شكله أساسا مكانش مركز لما قالهم ابعتوله منديل الأمان.

طيب عندي سؤال هنا..

ليه سليم الأول عين خاير بك والى على مصر بينما أساء معاملة حسن بن مرعي رغم إن الاتنين خونة ومكنوه من طومان باي؟

ده سؤال عميق.

الميزة في سليم الأول انه كان رجل سياسة بعيد النظر بالإضافة إلى كونه محارب قوى شرس.. مفيش حد عاقل أبدا يثق في خائن زي حسن بن مرعي.. سليم صدق وعده لخاير بك رغم انه خاين آه.. بس هنا الأمر مختلف.

خاير بك أمير من امراء المماليك.. عنده جيش وقوات وله وزن لأنه كان حاكم حلب وفاهم دهاليز السياسة.. بالإضافة إلى إنها كانت صفقة اتفقوا عليها من البداية.. لو كان سليم اخل بالاتفاق مع خاير بك.. كان خسر سمعته وكلمته عند باقي الأمراء اللي هو محتاجلهم فعلا.. لو افترضنا إن كل بلد يدخلها الأتراك هيسيبوا فيها جيش.. يبقى كده محتاجين جيوش ملهاش أول من آخر علشان يأمنوا حدود السلطنة الجديدة.. اذن كان أفضل حل هو الاستعانة بالقوى

الموجودة على الأرض فعلا بعد كسر عينيهم سواء بالفلوس أو بتوزيع السلطة بين اكتر من أمير طماع علشان ينقروا في بعض زي الديوك ويجروا ياخدوا البركة من السلطان الكبير وهما بينقلوله أخبار بعض.. سليم قدر فعلا يصرف نظرهم تماما عن الاتحاد ضده هو وخلاهم يركزوا مع بعض.

اسمها إيه السياسة دي؟؟

آه.. فرق تسد.. مبدأ استعماري للسيطرة معروف من قبل فجر التاريخ ب ٣ ساعات.. سليم الأول كان ذكي جدا على فكرة.

طيب اشمعنى بقى حسن بن مرعي لبس الخازوق؟

حسن بن مرعى كان من العربان.. العربان كانت قبائل رحالة في الصحراء عايشة على السرقة والنهب وقطع الطرق.. عددهم كبير ومعاهم سلاح آه.. إنما مكروهين جدا من الناس ومن الأمراء.. أي سلطان أو حاكم يمسك البلد لو حب يعمل حاجة سريعة تقربه من الناس.. يروح قايم عليهم دبح وتقطيع بحجة تأمين طرق التجارة من شيوخ المنصر.. علي بك الكبير عمل كده وكذلك قنصوه الغوري.. أي حد يدبح في الأعراب.. يبقى جدع علطول.

بقول آخر.. حسن بن مرعي كان رخيص ملوش تمن.. وبقى أرخص لما سلم صديقه صاحب الأفضال عليه للشنق.. سليم الأول مكانش يعرفه ولا طلب منه حاجة.. هو اللي تطوع للخيانة من نفسه.. طبيعي جدا انه يرخص في نظر سليم ويبقى جزاؤه الإهانة دي.

طيب.. هيعمل إيه كبير العربان في المطب ده؟

سهر طول الليل يقطع في هدومه وفى فرش الزنزانة لحد ما قدر يعمل منهم حبل يستحمل وزنه.. كسر شباك برج القلعة ودلدل الحبل وهوب نط هربان على تحت.. ومن القلعة خد ديله في سنانه وقال يا فكيك في نص الليل.. هرب على البحيرة رغم ان مفيش قطورات من رمسيس بليل كده.. قالك أنا راجل وسخ إني جيت القاهرة دي من أساسه.

طلع النهار وخاير بك قايم متعفرت.. هروب بن مرعى كان خبر زي الطين.. كان نفسه يبدأ حكمه والدنيا رايقة.. الحقيقة ان كان بيفكر في قربان يحبب المصريين فيه ومفيش طبعا أفضل من خائن زي بن مرعي.

لما عرف ان بن مرعي هرب ركبه الغم وأعلن عن مكافأة كبيرة للي يقدر يقبض على حسن بن مرعي.. وبكده تبقى الدنيا قفلت تماما في وش بن مرعي.. مبقاش فاضل قصاده إلا الصحراء يروح يقعد فيها بقى علشان يعمل تان.

سليم الأول رجع بلدهم والأمور استتبت لخاير بك.. كل حاجة رجعت زي الأول بالظبط.. امراء المماليك واكلينها والعة.. الشباب مات في الريدانية ومصر بتلملم جراحها.. ابن مرعي مأنتخ في البحيرة بيغتت على خلق الله وواقفلهم في السكة بنظام شخلل يا بلدينا علشان تعدي.

ما صدق حسن بن مرعي ان سليم خرج من مصر.. والدودة اشتغلت تاني.. رجع للسرقة والنهب وقطع الطريق في ظل حالة غير مسبوقة من الانفلات الأمني المصاحبة لأي سلطة جديدة.. خاير بك بعتله تجريدة حلوة علشان تأدبه.. حسن بن مرعي اترقع العلقة التمام فلجأ للأسلوب التاني.. المحلسة.

الايد اللي متقدرش عليها.. بوسها "ضياء الناجي – التوت والنبوت"

حسن بن مرعي بعت مرساله المعتاد "أخوه شكر" إلى قصر خاير بك يفكره بأخوة الخيانة وان اللي بيحصل ده ميصحش.. إحنا كبار ولازم نحترم بعض اكتر من كده.. خاير بك فرح بالكلام.. كده هيريح دماغه من استهلاك العساكر في حرب العربان والتجارة هتزهزه والأحوال هتحلو.. قوم المصريين يحبوه بقى وكده.. راح جاي باعت منديل الأمان "الثاني" لحسن بن مرعي اللي دخل القاهرة تاني وعلى راسه منديل الأمان.. على قصر الوالي عدل.. وقف على الباب ونادت الخاصكية على الوالي..

- حسن بن مرعي على الباب يا جناب الوالي
- هو عيل ابن كلب رمة.. بس هاتوه علشان نكسر عينه

الله.. هو في إيه يا جدعان.. هو كل ما حسن بن مرعي يروح يقابل حد.. يقوم يهينه كده.. مش أصول معلمين دي.

نزل بن مرعي من عند خاير بك وهو لابس عباية مخمل خضراء كدليل انهم اتفقوا.. وبكده بطلت الشائعات ضده وهيآمن على نفسه لحد ما يوصل للبحيرة.. وبالفعل رجع على البحيرة تاني.

الكلام ده بقى وصل لمين؟؟

كاشف الغربية.. الأمير اينال السيفي طراباي.

هنقف هنا لانية "اللي هي اقل من الثانية".. وبعدين نرجع تاني لحسن بن مرعي.

- لما طومان باي هرب من مصر بعد آخر هزيمة.. راح فين؟؟
- راح البوطة.. قرب حوش عيسي كده في البحيرة.. عند حسن بن مرعي
- صح.. بس هو مراحش علطول كده لان الزراعي كان واقف يومها بسبب عربية نقل مقلوبة عند بنها
- آه.. ماهو علطول بيبقى كده يوم الخميس
- علشان كده بقى طومان باي عدي على الغربية الأول.. استخبى عند صديقة الأمير اينال السيفي في بيته في قرية اسمها سنهور "قرب دسوق".. المنطقة دي كلها كان اسمها مديرية الغربية وكانت تحت إشرافه.
- وبعدين؟
- من سنهور.. طلع طومان باي متنكر في زي الأعراب لحد ما وصل لحسن بن مرعي.
- وده إيه علاقته بالموضوع يا عم!!

علاقة وثيقة جدا.. الأمير اينال لما عرف ان حسن بن مرعي رجع تاني للبوطة "البحيرة".. بعتله مرسال يعزمه على باربيكيو كبير أوي في الويك اند علشان مولد النبي.. تعالى يا عم حسن وهات معاك صحابك وحبايبك.. بلا حرب بلا

هم.. خلينا بقى نعيشلنا كام يوم.. هو كل شوية هنعمل ثورة ونيلة.. يا عم بقى فكك.

مكدبش حسن بن مرعي الخبر.. على يوم الثلاثاء ٢٠ ربيع الأول سنة ٩٢٥هـ.. شد الرحال على سنهور ومعاه أخوه.. وصلوا بيت الأمير اينال اللي رحب بيهم بقوة وقعدهم في اوضة المسافرين البحرية وقفل الأبواب كلها علشان محدش يشوف الرقاصات والمزز والحركات.. حسن بن مرعي وأخوه جوا وباقي رجالتهم بره.. رقصت الجواري وامتدت صواني المشويات والمكرونات والرقاق بلا نهاية.. كل طبق بسبوسة يتنافس في الحجم مع جاره طبق البقلاوة.. وفى الركن برميل هوب هوب معتبر من منقوع البراطيش الأصلي.. يمسك حسن بن مرعي فخدة الضاني بايده اليمين.. وجاريه زي الورد في ايده الشمال.. ياخد قطمة من اليمين وقطة من الشمال.. وبعدهم يروح مبلع بكوباية ريميه مارتان في اس أو بي ١٩٥٠.. ثم تكريعة قوية في الهواء الطلق ولا كأنه تنين أسطوري.. شوية وهيطلع نار من بقه ابن الوارمة..

كل يا معلم.. كل وكتر في الشرب لحد ما تتسطل وتتعمي عن مماليك الأمير أينال وهى داخله عليكو اوضة السفرة زي الثيران الهايجة.. ألف من له تار عندك يا ابن مرعي.. اللي زيك مياكلش أبدا ولا يشرب إلا من طبخ ايده هو.. لو أمه نفسها جابتله كوباية مية.. لا برضه.

وطبعا حصل المتوقع.. هجم مماليك الأمير اينال على ابن مرعي وأخوه.. التعبير الصحيح لوصف الموقف ده هو "فرتكوا جثة أمه".. الجماعة المماليك دول كانوا مخلصين أوي في موضوع الدم والقتل.. فضلوا يضربوه بالسيوف وهو مش لاحق حتى يقول أي.. نزلت عليه الطعنات زي المطر.. مع كل طعنة كان بيشوف طيف طومان باي ساخر متشفى على وش اللي بيغزه.

سبحان الله.. بيموت دلوقتي بايدين مماليك معملش حسابهم.. وفين.. في نفس المكان اللي إدى فيه الأمان لطومان باي.

شفت يا معلم الخيانة وحشة إزاي؟

المماليك يومها شربوا من دمه في نفس الكئوس اللي كان بيشرب فيها هو وأخوه.. بعد كده قطعوا من لحمهم جزل.. شووها وأكلوها.

انتهت حفلة الدم براس حسن بن مرعي وأخوه في حتة.. وأكياس صغيرة كده فيها بقايا لحمهم وعضمهم في حتة تانية.. يبدو ان اينال السيفي كان ناوي يوزع لحمهم على الفقراء.. زي لحم الأضحية كده.

نسيب بقى سنهور والغربية.. ونطلع بسرعة على القاهرة الصبح بدري قبل الزراعي ما يقف علشان نلحق نفطر عند المملوك زيزو الجوكندار في باب الشعرية.

- إيه الزحمة اللي قصاد باب النصر دي؟؟
- نروح ونشوف.. وبعدين نبقى نرجع ناكل
- إيه ده.. مش ده خاير بك؟؟
- اه هو.. شكل الحراس بتوعه بيعلقوا حاجة على باب النصر
- إيه.. شنقوا مين المرة دي.. يكونش استرجلوا وشنقوا المملوك عبد الرحيم بن على البصاص؟؟
- لا لا.. دول راسين يا معلم.. راسين بس يا ترى رؤوس مين دي؟؟

فرحة الناس والزغاريط اللي مالية المكان تقول أنها رؤوس أبو جهل وأبو لهب مثلا..

يا سبحان الله..

دي رؤوس حسن بن مرعي وأخوه.. شكر بن مرعي.

يااااااااااه على الدنيا.. اينال السيفي حب يعلم على خاير بك.. فبعتله شوال خيش مقفول.. فتحه خاير بك ولقى جواه رؤوس الخونة اللي هربوا منه.. خاير بك عمل عبيط ومش فاهم الرسالة وحب يعمل بنط يكسب بيه الموقف والمصريين.. راح جاي معلق رؤوسهم على باب النصر..

شاف كتير شارع المعز ده..

ابريل ١٥١٧م يتشنق طومان باي شهيد تودعه دموع الناس على باب زويلة في أول الشارع

مارس ١٥١٩م تتعلق راس حسن بن مرعي مصحوبة باللعنات على باب النصر في آخر الشارع.

- خلاص كده وللا في تاني؟
- لا لسه.. في باقي للحدوتة.

الحصان اللي اينال السيفي حط عليه الرؤوس المقطوعة وهو بيبعتها لخاير بك يبقى حصان السلطان طومان باي.. كان حسن بن مرعي أخده لنفسه بعد ما سلم طومان باي.. يشاء ربنا ان نفس الحصان يشهد نهاية بن مرعي.

فضلت راس حسن بن مرعي متعلقة ٣ أيام شمتان فيها الرايح والجاي.. أولاد طومان باي نحروا الذبائح ووزعوها على الفقراء عند باب النصر احتفالا وبهجة وشماتة.. حسن ابن مرعي كان له أخ كمان عايش في القاهرة مستحبي.. اتعرف مكانه وجابوه في السلاسل هو كمان علشان يدفع تمن جريمة خيانة أخوه اللي هو معملهاش.

صحيح.. ولد الأخرى يجيب لأهله اللعنة.

الأيام دي لما بعدي من عند باب النصر ببص لفوق وأقول سبحان الله.. داين تدان.. بيرن فوداني صوت المملوك محمود بن بكر الداوادار وهو بيقول بفرح جنوني.. عدالة السماء تنزل على ستاد باب النصر..

دي نهاية كل خاين.

سبحان الله.



مشنقة طومان باي – باب زويلة



باب النصر

مدد يا سيدي الكلب

عندي حدوتة تفطس من الضحك.. تسمعوا؟

حدوتة عن واحد عبيط استعبط على مجموعة من العبط وعمل شوية عبط فالعبط سمَع ووصل للعبيط الكبير اللي قرر ان العبط يبقى الشعار الرسمي للسلطنة العبيطة ويتخلد العبط في مجلدات التاريخ العبيط علشان يعيش سنين طويلة أوي لحد ما العبيط الأصلي يبقاله معابيط ودراويش تروح تزوره وتمارس العبط في مقام العبيط.

وأنا وانت..

طب والنعمة بتكلم جد.. اتكوا على الصبر شوية وآخر الكلام هنتعبط كلنا سوا.

◈◈◈◈◈◈◈

عندنا في مصر شارع ملوش مثيل في العالم.. شارع تكلمه ويكلمك وتحكيله ويحكيلك.. شارع تتمشى فيه على مهلك علشان تاخد وتدي معاه في الحواديت وهو يرد عليك ويبهرك.. مرة يصححلك مفهوم خاطئ ومرة يفاجئك بحكاية من بين طبقات تراب الزمن تخلى شعر راسك يقف من الذهول.. مرة يخليك تنقلب على قفاك من الضحك ومرة يبكيك من الحزن.. ساعات كتير هيملاك فخر وغرور وساعات هيخليك عاوز تشد السيف وإلى الجهاد.. شارع دبت فيه الروح من ألف سنة وشوية ولسه ربك مأمرش إنها تخرج رغم كل المحاولات المستمرة من حكومات المعوقين بتوعنا علشان تدفنه بالحياة.

لسه شارع المعز بيتنفس ويحكي عن كل اللي دار في قلبه من قبل ما أنا وانت نتولد.

متترددش إنك تسأله.. هيرد عليك متقلقش.. محدش هيفتكرك اتجننت لأنك بتكلم شارع.. اغلب الناس هناك زيك كده.. رامية للشارع ٢ كيلو ودان وبيسمعوا منه عجب العجاب.. خدلك جمب كده واقف اسمع حدوتة منهم..

زي حدوتة الشيخ الكليباتي مثلا..

الأول كده تلاقيك جعان.. معرفش ليه يا أخي مشوار المعز ده بيحرك في قلب الواحد مشاعر الحب تجاه سندوتشات الكبدة والسجق الإسكندراني اللي بيشعوط البق.. كما قال الشاعر المجهول في ديوانه "الدرر الخنيئة في أصول الأكل البيئة":

يا من تزور المعز وقت الضحى أو الغسق هلا أتيتني من الكبدة بنصفين كما اتفق؟

وثلِثهم بمخ مقلي خرزيته من قلب الورق ولا تنسى طبقاً للبطاطس بالشطة يحترق

ليت شعري أرى الحلاوة في القشطة تندلق لعمرى من السعادة تبكي عينى وقلبي ينفلق

فناولني حييت صحناً لامعاً نظيفاً مزدلق بلقمة هنا وأخرى هناك لندع الجوع يتشنق

مع هاشتاج أمير الشوعار.



بعد سندوتشات زيزو عدي الطريق وأدخل من باب الفتوح.. امشيلك بتاع ٢٠٠ متر كده عدي فيهم مسجد الحاكم بأمر الله على شمالك وشارع بين السيارج على يمينك "قلنا قبل كده ان بهاء الدين الأسدي – قراقوش وزير صلاح الدين القوى" كان عايش في الشارع ده.. اقراله الفاتحة لأنه كان راجل جدع ومحترم.. بعدين أقف شوية كده وبص على شمالك كده.. مش شايف حاجة غريبة؟

الشارع ده كان وسط البلد في أيام الفاطميين والأيوبيين والمماليك من بعدهم.. كان أهم شارع في البلد والقارة والكوكب كله.. أبوه مين اللي كان يسكن في شارع المعز يا جدعان.. ده كان حاجة كده ولا القطامية هايتس.. باين اهو من العمارة بتاعته.. لما الشارع يكون ساكن فيه الوزير الأقوى لصلاح الدين ومبنى فيه جامع الخليفة الحاكم بأمر الله ومجموعة السلطان قلاوون ومسجد الأقمر وبيت الشيخ أمين السحيمي وقبة الصالح أيوب وغيرهم كتير أوي.. لما يبقى الشارع اسمه شارع أمير الجيوش يبقى طبيعي إننا نفهم ان ده شارع الأكابر.

طيب.. لما هو شارع الأكابر.. يبقى الزاوية الحُق الصغيرة أوي اللي على الشمال دي جت منين؟؟

عمرك مشيت في كومباوند فخم من بتوع أسيادنا الحاليين ولقيت إعلان عن شقة اوضة وصالة إيجار جديد وللا لقيت كشك سجاير!!

مش منطقي.. صح؟؟

يبقى زاوية الكليباتي دي بتعمل إيه هنا؟؟

هتقولي تلاقيها اتبنت جديد في عصر الانحطاط اللي إحنا عايشين فيه دلوقتي.. أبني حاجة أي كلام في أي كلام وافرشها سجاد اخضر رخيص معفن واكتب على الحيطان أسماء الله الحسنى بخط وحش.. وهوب بقت مسجد وللا زاوية والله يرحم أيام الفن والهندسة والمساجد الفخيمة اللي كان الواحد منهم مدرسة تساع آلاف الطلبة وبيمارستان يعالج المرضى ومسجد يساع من الألوف أعداد مهولة تركع وتسجد وترفع ايديها بالدعاء والشكر لرب الكون اللي أكيد كان سعيد وهو شايف أثر نعمته على عباده المصلين في مكان فخم يعكس حالهم المرتاح وفخرهم وسعادتهم بدينهم.

أقولك تعالى نشوف مع بعض المؤرخين قالوا عنها إيه..

- لجنة حفظ الآثار العربية مثلاً قالت إنها اتبنت في القرن الخامس الهجري بين سنة ٤١٠ وسنة ٤٥٠ هـ.
- مستشرق انجليزي اسمه كريزويل عمل حفريات حواليها وقال انها ترجع للعصر الفاطمي.. أيام الظاهر لإعزاز دين الله تحديدا
- على باشا مبارك في خططه التوفيقية قالك لأ.. دي اتبنت في القرن العاشر الهجري.. بين سنة ٩٠٠ و٩٣٠ هـ
- بتوع الآثار في القاهرة التاريخية قالوا انها اتجددت في أيام السلطان الغوري وانهم لقوا منصة خشبية جمب المقام عليها تاريخ التجديد ٩٢٧ هـ. بس السلطان الغوري أساسا مات سنة ٩٢٢ هـ. يبقى المعلومة دي كفتة.
- الشيخ نجم الدين الغزي في كتابه الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة قالك يا برنس انت وهو غلطانين.. صاحب الزاوية دي أساسا مات سنة ٩٠٩ هـ. حتى اسألوا الإمام القطب عبد الوهاب الشعراني اللي كان عايش

أيامها.. هيقولكوا ان فعلا صاحب الزاوية دي مات سنة ٩٠٩ هـ واندفن قرب مسجد الحاكم بأمر الله كمان.

- واحد مؤرخ كمان اسمه عبد الحي بن العماد الحنبلي جاب من الآخر.. عمل كتاب اسمه شذرات الذهب في أخبار من ذهب وقالها كده صراحة.. يا رجالة الراجل ده مات سنة ٩٠٩ هـ

خلاص يا رجالة.. آمين.. يبقى مات سنة ٩٠٩ هـ. ولا تزعلوا نفسكوا..

معلش بقى.. مين الجدع اللي انت عمال تصدعنا بسيرته بقالك ساعة ده؟؟

أبو الخير الكليباتي ده كان راجل عبيط مشرد في الشوارع ملوش سكن ولا بيت.. قصير وأعرج ولابس هدوم مقطعة ومش نظيفة.. ماسك عصاية خشب مليانة شخاليل وأجراس.. لا متجوز ولا عنده عيال ولا معروفله أصل ولا فصل.. شعره منكوش ودقنه طويلة ومنعكشة.. ريحته تقرف لأنه ماشي دايما محوط نفسه بكلاب كتير.. وفى الغالب كمان كان عنده صرع لأن معاصرينه قالوا انه كان يصحو فترات ويغيب عن الوعي فترات.. وده من أدلة ولايته.. انه ولي يعني من أولياء الله الصالحين.

ولا تخرج قبل ان تقول سبحان الله.

وعلشان كلابه دي.. سموه الكليباتي.. صاحب الكلاب يعني.

في بلد زي القاهرة في أيامها الذهبية.. إزاي واحد أهبل ومشرد زي ده يلاقي لنفسه مكان وسط كل الهلمة دي؟؟

الكليباتي عمل نمرة مزيكا على الناس.. فيوم كده كان قاعد عند بابا عبده بيضرب فطير بالسجق ويبدو يومها ان السجق كان عالي شوية فشعشعت في مخه حكاية غريبة حوالين كلابه.. قالك دول مش كلاب.. دول جن متنكر في صورة كلاب.. جن له إمكانيات ويقضي مصالح ويقدر يعمل اللي ميتعملش.. أسياد يعني.. اللي عاوز الجن بتوعي يقضوله مصلحة يبقى لازم يعلفهم الأول.. رطل لحمة لسيدك الكلب منك ليه ومصلحتك هتتقضي علطول.

والغريب يا أخي ان الناس صدقته..

والأغرب ان واحد زي العالم الزاهد عبد الوهاب الشعراني.. راجل كان فقيه ومحدث ومن أئمة المذهب الشافعي ومدرسينه قال عنه

"دعا لي مرة بأن الله يصبرني على البلوى.. وحصل لي ببركته بعض ذلك"

بركته يا شيخ عبد الوهاب!!!

وقال عنه المتصوف على الخواص صاحب المقام المشهور في باب الشعرية ان كلابه دول كانوا جن سخرهم الله عز وجل لقضاء حوائج الناس.

يا نور النبي..

بركة وجن مسخرين مين يا جدعان.. ده راجل عبيط!!!

طب والنعمة عبيط.. وعلشان محدش يفتكر إني بفتري عليه.. الراجل ده مكانش بيروح مكان إلا وكلابه معاه.. حتى انه دخل مسجد الحاكم بأمر الله في حضور قاضي القضاة والأعيان ومعاه كلابه.

حد في الدنيا يخش الجامع.. بالكلاب!!!

ولما اعترض واحد من القضاة الموجودين على المسخرة دي.. راح جاي الكليباتي مديله كلام في عضمه وضحك عليه طوب الأرض.. قاله الكلاب دي أنضف منك وأحق بالجلوس منك في المسجد.. فأنهم لا يأكلون حراماً ولا يشهدون زوراً ولا يستغيبون أحداً ولا يدخرون عندهم شيئا من الدنيا ويأكلون الرمم التي تضر رائحتها الناس.

اتنين محدش يتخانق معاهم في الشارع أبدا.. العاهرة والعبيط.. هيمسحوا بيك الأرض ولا ليك تمن ولا هما عندهم حاجة يخافوا عليها ولا منها.

وشوف الصدف يا مؤمن.. الراجل القاضي ده يتقبض عليه بعدها بكام يوم بتهمة الشهادة الزور ويتجرس ويتفضح فضيحة الطماطم في السوق قصاد الخلق كلها.. قعدوه على ثور وحطوا على راسه طرطور ولفوا بيه المحروسة كلها علشان الناس تعرف انه شاهد زور..

وفضلت الناس تكرهه بعد الحادثة دي لحد ما مات..

بركاتك يا سيدي الكليباتي يا مكشوف عنك الحجاب.. سبحانك يارب.. تيجي مع الهبل دوبل.

بقى الكليباتي له مقام ويتقال رضي الله عنه.. وبهاء الدين الأسدي يتقال عليه ظالم بسبب كتاب ألفه واحد عبيط تاني!!!

وبعدهالك يا مصر!!!

خد عندك كمان حدوتة تقولك ان الراجل ده عبيط عبط التنين..

الشيخ عبد الوهاب الشعراني في نفس الكتاب "الطبقات الكبرى" قالك ان الراجل ده كانت قعدته دايما في الميضاه بتاعة مسجد الحاكم بأمر الله..

جميل.. يعني راجل نضيف اهو قاعد مطرح ما الناس بتتوضى.. أكيد يعني بيتوضى ويستحمى وكده..

لا حضرتك.. الراجل ده كان بيقضي أغلب وقته جوا الميضاه اه.. بس حاطط وشه في حلق الخلاء.. تعرف حضرتك حلق الخلاء ده اللي هو إيه؟؟

بالبلدي كده.. قعر الكنيف.

زمان مكانش في حمامات بقاعدة قيشاني ومعاها سيفون.. كانت الحمامات عبارة عن حفرة في الأرض.. زي الحمامات البلدي كده.. الفتحة اللي بينزل فيها الولامؤاخذه البى بي دي.. اسمها أيامها حلق الخلاء.

الكليباتي بقى كان بيبقى حاطط وشه فيها.

يوجع بطنك يا بعيد.. إيه القرف ده!!!

تخيل كده المنظر.. مشرد قصير أعرج زري الهيئة منكوش الشعر متسخ الملابس.. سارح في الشوارع بكلاب وعمال يقول منه له.. منه له.. جاي رايح.. منه له.. فجأة كده يموت ويمشي في جنازته الأكابر والأعيان ويتبني فوق قبره قبة وزاوية ويبقاله مقام الناس تزوره وتتبارك بيه.. لا وفين.. في قلب شارع المعز.

زمان في الأرياف كان بيتولد بعض الأطفال المصابين بمتلازمة داون.. العيل بيبقى وشه مثلث وعينيه ضيقه ولسانه مش مظبوط.. بيبقى شبه المغول.. اللي هي الحالة المشهورة باسم العته أو البله المغولي.. العيال دي في الفلاحين كانوا بيقولوا عنهم بتوع ربنا وياما عيال ماتت منهم والناس عملتلهم مقامات يتباركوا بيها.. تمام زي ما كانوا بيقولوا على مرضي الصرع انهم ملبوسين بالجن أو عليهم

عفاريت.. مش عارف ليه العفاريت بطلت تلبس البني ادمين والكرامات انقطعت أول ما بدأ يبقى في كاميرات وتكنولوجيا وكهرباء.. يكونش العفاريت بتخاف من السيلفي؟؟

الدنيا اتقل خيرها.. مبقاش في كرامة واحدة توحد ربنا.. راح فين زمن الكرامات الجميل لما كان العبيط من دول يمسك التراب يبقى دهب وللا يجلب الحبيب أو يقرالك الطالع ويرزق العوانس بعرسان طول بعرض يا سيدي الجارحي.. أو يخلى واحدة ست عاقر تحمل رغم ان جوزها قطع المصلحة علشان يأكدلها انه مش هيتجوز عليها..

ويقولك بس نسبة العنوسة زادت علشان البنات طلباتها كتير ومعرفش إيه.. لا طبعا.. ده علشان الكرامات انقطعت.. هو الحريم كده دايما مظلومين في البلد دي.

أمانه عليكوا لما أموت ابقوا ادفنوني في مكان حلو كده وبحري.. ان شالله يكون في جاردن سيتي وللا في الزمالك حتى.. المهم يكون على ناصية ومواصلاته سهلة.. سموه مقام الشيخ المفروس لصاحبة مولانا الإمام أحمد بن حسني أبو الصوف.. من الصوفية يعني.. اشمعنى سيد نفيسة يعني بقاله مقام رغم انه كان طول حياته يعني مش تمام.

ال كرامات ال..

كرامات دي تبقى أم احمد زكى في سعد اليتيم على فكرة.. اللي هي كريمة مختار لو ذاكرتي كويسة.



زاوية الكليباتي – شارع المعز

الحب في عصر الجفاف

فاكرين المسلسل ده؟؟

عبد الله غيث وتيسير فهمي واحمد ماهر وشوية ممثلين تاني رخمين.. حكاية قديمة ولطيفة من حكاوي المحروسة.. حكاية على بك الكبير.

◈◈◈◈◈◈◈

كنت في أولى إعدادي لما المسلسل ده اتعرض.. مكنتش اعرف وقتها انه قصه حقيقية من التاريخ.. في بلدنا "طنطا" كنت بعدي علطول على سبيل علي بيه في شارع الجلاء من غير ما اعرف مين بناه ولا إيه وظيفته في الحياة بخلاف ان العيال بتوع الكلة بيتجمعوا فيه كل يوم بليل.. وأكيد مكانوش بيصلوا هناك يعني.. حالة السبيل زي حال كل الآثار في بلادنا.. لوز الجوز.. اشمعنى هو يعني اللي هيبقى كويس.

المسلسل كان تحفة.. عبد الله غيث كان نجم كعادته وأحمد ماهر كان رخم وسمج كعادته برضه.. بس هي الشخصية فعلا كانت سئيلة مينفعش معاها غير ممثل سئيل زيه.. محمد بك أبو الدهب في التاريخ زيه زي خاير بك زي خنفس باشا.. كلهم رمم باعوا أسيادهم علشان شوية فلوس أو منصب.. أو كما قال الراوي.. يا عزيزي كلهم رمم.

طيب هو إيه الحكاية بقى؟؟

الحكاية حكاية بلد مليانة خير ومنهوبة.. بلد حلال لكل أجنبي.. موعودة بالغزاة من ساعة ما ولادها وقعوا قصاد البطالمة وبقت سداح مداح لكل واحد يعدي يحكم شوية ويعمل ما بداله.. ويخرج أو يموت.

وإحنا قاعدين..

علي بك الكبير بقى كان واحد من الناس دي..

الناس اللي عدت وسابت شوية طراوة وسط صحراء قاحلة فقيرة.

محدش عارفله أصل ولا فصل زيه زي اغلب مماليك الفترة دي.. الغالب من أقوال المؤرخين انه اتولد في بلد اسمها أماسيا "في تركيا حاليا".. بعض المؤرخين قال من جورجيا على أساس ان المنطقة دي كانت المكان المفضل لخطف العيال الصغيرة وتربيتهم تربية محاربين أشداء.. الرواية الغالبة والمنطقية والمتفق عليها تقريبا انه اتولد سنة ١٧٢٨م باسم يوسف داود لاب قسيس ارثوذكسي.. اتخطف يوسف وهو عنده ١٠ سنين واتباع في إسطنبول لتاجر مماليك كبير اسمه كرد احمد.. كرد احمد أكله كويس ورباه ٥ سنين وبعدين نزل بيه على إسكندرية علشان يعوض مصاريفه عليه.. باعه لأخوين يهود من بتوع الرقيق اسمهم اسحق ويوسف.. في إسكندرية ظهرت مواهبه في ركوب الخيل واللعب بالسلاح.. اليهود مكدبوش خبر.. خدوه ونزلوا على المحروسة وهادوا بيه شيخ البلد إبراهيم كتخدا القازدغلي.

وعند القازدغلي.. بدأت الحدوتة يا أسيادي.

ناخد كوباية شاي من غير سكر.. ونفهم الدنيا كانت عاملة إزاي وقتها.. أحسن الأمور كانت مولعة أوي.

سنة ١٥١٧م. سليم الأول استولى على مصر وأعلنها ايالة عثمانلية.. كان وقتها المماليك في أسوأ أحوالهم السياسية والعسكرية والاقتصادية.. سليم كان رجل ذكي.. هو صحيح هزمهم.. بس سابلهم حتة من التورتاية يعضوا فيها علشان يضمن انهم يفضلوا تحت رجله.. هو طبعا فضل محتفظ بالحتة الكبيرة اللي عليها الاناناسة.. العثمانيين سابوا المماليك ف مصر ياكلوا عيش ويملكوا أراضي ويبقى عندهم قصور وكمان يمسكوا مناصب عليا.. بس لحد منصب الوالي وستوب.. ده لازم يكون من رجالة الباب العالي وعسكره وقوته لازم يكونوا أعلى من المماليك بحتة صغيرة.. بحيث انه ميفكرش يقل عقله ويستفرد بمصر بعيد عن أسياده في إسطنبول.. وكمان المماليك يقدروا يحلموا انهم لو شدوا حيلهم شوية.. ممكن ياخدوا البلد تاني ويرجعوا اللي كان أيام قلاوون وبرقوق.

وبكده يبقى سليم ريح دماغه.. أطراف الصراع في مصر بيجروا عليه أول بأول ينقلوا أخبار بعض ويبوسوا الأيادي علشان ينالوا الرضا السامي على أمل ان كرسي مصر يتقلب بصاحبه ويقعد مكانه ناقل الأخبار.. خصوصا ان سليم وخلفته كانوا بيحبوا السمع أوي وبيرموا ودانهم لأي وشاية من النوع ده.

في الجو المكعبل ده.. إبراهيم كتخدا بقى شيخ البلد.. شيخ البلد كان تاني منصب في البلد بعد الوالي علطول.. على ارض الواقع هو المنصب الأقوى.. هو المسئول عن الأمن والضرائب وتنفيذ القوانين.. هو اللي مماليكه بتلف في الشوارع تتمم على الأسواق.. هو صاحب القصور والأراضي الواسعة.. الوالي عبارة عن واجهة بتتغير كل سنة أو سنتين بينما شيخ البلد بيعمر في المنصب زي الوزراء أيام مبارك كده.

إبراهيم كتخدا فضل يشترى في مماليك ويعلمهم الحرب وضرب النار والإسلام في نفس الوقت.. اللي يكبر فيهم يرقيه ويديله منصب يفرح بيه.. ده يعمله أمير خمسة.. ده أمير عشرة.. ده أمير مية وهكذا.. وكده كده كلهم في حضن سيدهم ومحدش ناكر فضله وكله بيصب في مصلحة شيخ البلد وهيبته وقوته.. وطبعا كان على رأس المماليك دي المملوك هدية اليهود اللي إبراهيم بك فرح بيه أوي وسماه علي.

فيوم من ذات الأيام كان إبراهيم بك رايح على الحجاز في قافلة عادية من غير سلاح.. إلا وفي الطريق يطلع عليهم شوية هليبة عربان تبع المارشال برعي.. أقف ياض انت وهو لأشقك.. قلب إبراهيم كتخدا وقع في رجله.. نظرة سريعة إلى مملوكه الأثير علي.. علي راح مطلع السيف وطاح فيهم ضرب.. العصابة قالت يا فكيك وهما مستغربين من المملوك ده.. هو ليه عصبي كده.. ده شغل يا جدعان مش نفسنة شخصية.

هرب العربان قصاد شجاعة المملوك علي.. سيده اتبسط بيه أوي وقرر انه يعتقه ويعمله أمير ١٠٠.. بايضالك في القفص يابو علي.. بقيت حر وتحت أمرك ١٠٠ مملوك مرة واحدة ويا بخت من كان النقيب خاله.. وكل ده وكان عمره ٢١ سنة بس.

واشتهر المملوك الشجاع باسم علي بك بلاط.. أو جن علي.

تمر السنين ونجم علي بك في الطالع.. سنة ١٧٥٤م يموت إبراهيم كتخدا.. واتجمعت المماليك وأصحاب الرأي في مصر علشان يشوفوا مين هيمسك المشيخة مكانه.. كفة الرأي مالت لعلي بك الكبير.. بس يبدو كده ان الراجل ده كانت نفسه عزيزة وشايف نفسه حبتين.. قام وقف وكلمهم من طرف مناخيره وهو بيقول "أنا لا أتقلد الأمارة إلا بسيفي لا بمعونة أحد."

طيب يا بك.. الله يعينك.. ورينا بقى هتعمل إيه.

نط على بك على منصب المشيخة.. بس القلق كان عالي أوي والأسافين الله ينور.. اضطر انه يهرب للصعيد ومنها طلع على الحجاز وبعدين الشام اللي قعد فيها ٣ سنين كاملة في ضيافة الأمير الفلسطيني ظاهر العمر.. هناك رتب حاله ومحتاله.. قرا كويس في التاريخ واشترى مماليك مدربين بالهبل.. أتاري علي بك كان بلوة مسيحة ومرتب لموضوع المشيخة ده من قبل حتى ما يموت سيده إبراهيم.. وفي سنة ١٧٦٧م يدخل علي بك المشيخة للمرة التانية.. بس المرة دي غير ما خرج خالص.. قوي ومفتري ومسيطر.. لم كل العيال اللي ضايقوه وطفشوه وصادر أملاكهم كلها.. بعدها اللي قدر ينفد بحياته طلع يجري.. الباقي بقى سمعوا الكوكب كله سلام بودعك.

قعد علي بك على الكرسي.. بدأ يحكم قبضة ايده على المحروسة كويس.. حارب الأعراب والخارجين على القانون.. اهتم أوي بالتجارة وازدهرت في أيامه وكالة الغوري وسوق الحبوب.. حط تحت جناحه إسكندرية والدلتا كلها.. جدد قلعة دمياط ونزل طنطا جدد المسجد الأحمدي وبنا قباب ومآذن فوق الضريح وبنى قصاد المسجد سبيل كبير أوي تشرب منه الناس.. من حلاوة وعظمة السبيل ده نقلوه بعد كده في مدخل طنطا "مكانه الحالي".. الناس حبوه علشان قرب منهم أوي وبدأ يتصرف ويتعامل انه مصري ابن مصري مش مملوك.

بس علي بك عمل حركة كده.. شكلها كانت حركة نص كم من وجهة نظر أبانا الذي يراقبنا في اسطنبول.

علي بك مكتفاش بمصر وحب يوسع الدنيا على نفسه.. بعت للروس يتكلم معاهم ويطلب دعم خصوصا انه حط عينه على اليمن والحجاز.. الأمر اللي أثار قلق سلطان العثمانيين المبتكر الأول.. مصطفى الثالث.

يا ترى ناوي على إيه يابو علي؟؟

نقف هنا شوية ونبص على الدنيا كلها من فوق..

الفترة دي كانت حروب العثمانيين مع الروس على أشدها.. مرة الروس يغلبوا ومرة العثمانيين يغلبوا.. المنطقة كلها كانت والعة حوالين العثمانيين ومش ناقصة طبعا ان أهم ولاية عندهم يبقى فيها خرم ينفد منه الروس علشان طعنة النهاية في الجسد العثماني المترهل.

طيب الأتراك والمماليك بيتخانقوا على مصر.. المصريين بقى موقفهم إيه؟

ولا الهوا.. اللي يكسب يدعوله في المساجد ويبوسوا ايديه ويبقوا محاسيبه.. ده حتى يا أخي بيقولك لما علي بك الكبير بقى شيخ البلد.. النسوان خرجت للشوارع ترقص حوالين الأسواق رغم انهم لا عمرهم ملكوا أراضي ولا بقوا أصحاب أطيان.. يروح مملوك ومملوك تاني يورث أراضيه.. يمشى والي وييجي واحد تاني بعده يلم فلوس البلد.. كل ده والمصريين بيتفرجوا ويعضوا في تراب الفقروالجوع والمرض.. ومفيش ايوتها اعتراض.

يمكن علشان كده الحكام عمرهم ما عملوا حساب لغضب المصريين؟

ويمكن علشان كده علي بك الكبير قرر مع نفسه كده انه يطرد الوالي محمد باشا أورفلي اللي مصطفى الثالث كان بعته علشان يخلص من علي بك وقرفه.. في الوقت نفسه الكلام ده كله معجبش راجل جدع في الصعيد اسمه همام بن يوسف.. راجل حر ودمه حامى.. قالك دي أرضي وارض جدودي يا بوي.. اني عارف جدودي لحد ١٠٠ جد مش زي العبيد اللي نطوا علينا فمصر دول لا نعرفلهم أصل ولا فصل.. حكايته حكاية الشيخ همام ده.. نبقى نحكيها بعدين لما ننزل عند حبايبنا في الصعيد.. الويكا وحشتني يا ناس.

البلد بقت بلدين يا ولداه..

علي بك الكبير ومماليكه في الشمال والخناقة شغالة من تحت لتحت مع التراكوة..

الشيخ همام بن يوسف "شيخ العرب همام" ورجالته في الصعيد..

ومد علي بك نظره للصعيد بطفاسة علشان تقوم الولعة بينه وبين الشيخ همام.

الحق يتقال.. رغم ان كعب علي بك الكبير كان عالي عن الشيخ همام.. إلا ان الشيخ همام كان راجل شديد في الحرب.. عيبه بس انه كان طيب وعلى نياته ملوش في الشغل التحتاني.. يفرق علي بك عن الشيخ همام طموح علي بك الكبير في كل حاجة.. كمان فرق معاه وجود محمد بك أبو الدهب وإبراهيم بك ومراد بك.

إيه.. قلت مين.. مراد بك؟؟

آه يا أخي.. مراد بك.. أوسخ مملوك دخل مصر من أيام صلاح الدين.. مراد بك اللي جرى قصاد الفرنسيس زي الفار.. مين يصدق انه في أيام شبابه كان محارب قوي وقدر يعمل بلاوي في الشيخ همام ورجالته.. سبحان الله.. بدأ شديد وانتهى رمة.

الشيخ همام مكانش شاب سيكي ميكي من اللي بيفطروا كرواسون.. ده كان صعيدي فحت.. يعني راضع مية نار ومتربي وسط العقارب ويوم ما يحب يتسلى كان بيقرقش طريشة.

العركة الكبيرة حصلت في فرشوط.. في المواجهات المباشرة علي بك مقدرش يحسم الموقف.. ولكن دايما الخيانة والمؤامرات أقوى ألف مرة من السيف.. علي بك بمؤامرات أبو الدهب ومراد وخيانة إسماعيل الهواري ابن أخ الشيخ همام، قدر انه يحط كلمة النهاية قصاد الشيخ همام اللي ميعرفش حاجة عن الجو ده علشان تدين مصر كلها بعد كده لعلي بك الكبير.. الراجل العملية شعشعت في دماغه.. راح ضارب كوبايتين قمز "لبن الخيل المتخمر" ووقف قال أنا الكبير هنا يا عيال يا هفأ.. لا عثمانيين ولا صعايدة.. مصر بقت سلطنة

مستقلة تحت رايتي أنا لوحدي.. من النهاردة مفيش فلوس هتروح إسطنبول.. من النهاردة مفيش أيالة.. أنا الأيالة.. اااانا الايالة.

ها.. وبعدين؟؟

وصلت أخبار حلوة لعلي بك الكبير ان في خناقة في الحجاز على الإمارة.. أيوه كده.. هو ده الشغل والمنطقة دي تلزمنا.. منها نأمن طرق الحجاج المصريين والمغاربة.. ومنها ناخد الميناء النشيط بتاع جده ونقفش طرق التجارة مع الهند.. نوسع مصر حبتين بحكم الحرمين.. واهو كلنا مسلمين وبنشهد لله بالوحدانية ومحدش هيدقق طالما الحج شغال.

تبعت مين يا علي..

تبعت مين يا لول..

مفيش غيره.. الرخم السئيل أبو الدهب.. واهو برضه نبعده عن المحروسة شوية.. ونجح أبو الدهب انه يسيطر على الحجاز كلها ومعاها اليمن كمان.. الناس هناك برضه طيبين زي المصريين كده.. فيوم جمعة جميل الناس صحيت لقت شيوخ المساجد بيدعوا للسلطان علي بك الكبير سلطان مصر والحجاز وخاقان البحرين.. طويل العمر يطول عمره.

أوبا.. إيه القفش ده.. طيب وولاد عثمان فين من الليلة دي كلها؟؟

الله معاهم بقى.. الروس هدوا حيلهم تماما ومبقوش فاضيين لعلي بك الكبير وحكاويه.. نحارب الكفار الأول وبعدين نشوف المارقين من المسلمين.

بس الأمور متسلمش برضه.. مصطفى الثالث كان عضمة ناشفة رغم انه يبان عبيط.

رسالة خبيثة لمحمد بك أبو الدهب وهو في حروب الشام.. يوه.. يقطعني.. نسيت اقولكوا ان بعد الحجاز قرر علي بك الكبير انه يضم الشام كمان.. هو مش اقل من الظاهر بيبرس يعني.. إحنا نملك الحتة دي كلها.. من أول بحر الرمال في الغرب إلى البحر المتوسط في الشمال.. مينفعش في الأيام دي يقف على حدود الحجاز وشه فوش العثمانيين في الشام وبينهم سور.. أكيد هيخلوه

نايم ويطبقوا على صدره.. الحل الأمثل انه يسيب بينهم وبينه مانع طبيعي.. جبل مثلا وللا بحر.. أي حاجة تخليه في أمان منهم وخلاص.

علي بك مستكنيص في مصر والأخبار الحلوة عمالة تهل.. محمد بك أبو الدهب عامل شغل عالي أوي في الشام.. مصر عاملة زي البقرة الحلوب كل ما تديها مية تديك طراوة.. وفي البيت الحب ولع في الدرة يا سوسو.. جاريته الأثيرة نفيسة البيضاء مصهللة لياليه آخر صهللة.. كلت عقله وقلبه لحد ما اعتقها واتجوزها.. وهي فرحت أوي بالجوازة دي.. اقله تخلص من زن زفت الطين مراد بك ده اللي كان خسيس لدرجة انه يبص لجارية سيد سيده.

آه لو تعرفوا المستخبي.. لا كنتوا حاربتوا ولا كنتوا جيتوا مصر من الأساس.

وقال الراوي في باطن الحكاوي انه بينما علي بك الكبير بيتقلب في النعيم والعز والأخبار الحلوة.. إذ توصل الرسالة الخبيثة إلى محمد بك أبو الدهب في الشام.. اس ام اس كده مكتوب فيها الآتي:

شوف يا دهب.. احنا بنثق فيك وبنحبك.. أخلص من المارق علي بك حسب فتوى الإمام مفتي دولة الخلافة العثمانية وهتبقى انت الكل في الكل في مصر.. ياللا سي يو.

ونقدر نستنتج اللي حصل..

انقلب أبو الدهب على سيده.. شيء صعب أوي لما الطعنة تيجي من قائد الجيوش.. الكبير دايما بيبقى متفرغ للسياسة وناسي خالص ان روحه بقت في ايد جنراله.. رجع أبو الدهب على مصر، وفي طريق رجوعه سحب كل الحاميات اللي كان عملها في الشام.. واضطر علي بك انه يهرب للمرة الثانية على الشام علشان يرتب قواته ومماليكه من هناك للحرب من تاني.. بس المرة دي قصاد دراعه اليمين.

مش كل مرة تنفع الحركة دي يا كبير.. المرة اللي فاتت كان معاك أبو الدهب.. المرة دي مش معاك إلا ٧٠٠٠ مملوك هفأ مقدروش يسدوا قصاد ال ٤٠ ألف بتوع أبو الدهب.. ده غير أن وعود الروس طلعت اونطا وطلع المتغطي بالروس

عريان.. وربنا السادات مغلطش انه طردهم من مصر.. علي بك حارب أبو الدهب حرب شديدة في الصالحية.. لكن اللي ايده ماسكة نفيسة البيضاء مش زي اللي ايده في الحرب.. اتصاب علي بك الكبير في الحرب فوشه واتشال مربعن على خيمة أبو الدهب اللي أول ما شاف سيده مصاب راح جاي موطي على ايده وباسها وقعد يعيط ويطلب منه السماح وهو بيقدمله أحسن رعاية طبية ممكنة.

يا سلاااام.. تراني تأثرت.. لحظه أبكي..

7أيام يمروا على علي بك وهو بيئن من جراح الخيانة في خيمة أبو الدهب. ٧ أيام انهار فيها حلم السلطنة المصرية المستقلة.. ٧ أيام فاضت روحه بعدها إلى بارئها يوم ٨ مايو سنة ١٧٧٣م وهو بيعلن إسلامه ومصريته.. خسارة والله.. كان نفسه.. بس ملحقش.

طيب يا جماعة.. فين ندفن على بك الكبير؟؟

لو نزلت تمشي رجلك في مقابر الإمام الشافعي.. أوعدك بجولة جميلة جدا.. انت الأول تروح عند مسجد ومقام الإمام الشافعي رحمة الله عليه تصلي الظهر.. بعدين اخرج منه وامشى ٢٠ متر بالظبط بعدهم تكسر شمال.. هتلاقي على شمالك قبر احمد باشا تيمور.. اقراله الفاتحة ده كان راجل كبارة.. بعد كده فوت بابين.. الحوش الثالث هتلاقيه ابيض وبابه اسود.. مجهول بلا أي إشارة ولا علامة.

الحوش ده بناه إبراهيم بك كتخدا القازدغلي.. اسأل على مين المسئول عن الحوش ده.. هتعرف انها أسرة كاملة من الصم والبكم([٩]).. طيبين وغلابة أوي.. في بنت هتيجي تفتحلك الباب وتمشي.. ماهياش غلسة ولا تنحة زي موظفين وزارة الأوقاف.. راضيها بحاجة لأنهم أفقر من الفقر نفسه.. ادخل القبر.. هتلاقى فوشك ٣ قبور شبه بعض.. واحد بعيد و٢ لازقين في بعض.

([٩]) الأسرة المسئولة عن مقبرة علي بك الكبير مقيمة في مدفن آخر في نفس الشارع على بعد ١٠٠ متر من مقبرة على بك

القبر البعيد ده يبقى قبر إسماعيل بك جوز بنت إبراهيم بك كتخدا.. كان من المماليك اللي خانوا علي بك وانضموا لابو الدهب في حركته القارعة.. القبر اللي في النص ده يبقى قبر علي بك الكبير.. وعلى مقربة منه في مكان مستقل.. قبر زوجته الأثيرة.. نفيسة البيضاء.([١٠])

يااه.. نفيسة البيضاء مدفونة هنا!!

يا سلام على الدنيا.. بقى انتو دافنين مع الراجل واحد خانه وأرملته اللي اتجوزت من بعده واحد تاني خانه برضه!!

انتو قاصدين تفرسوا الراجل وللا إيه؟؟

حاجة كده على الهامش..

نفيسة البيضاء اتجوزت بعد على بك الكبير٣ مرات.. كان منهم مراد بك.. ومع ذلك قبل ما تموت طلبت انها تندفن جمب الراجل اللي رفعها من حريم الجواري إلى مصاف الأميرات.. رغم السواد اللي شافته في آخر أيامها في حكم محمد علي.. إلا انها كانت أصيلة وجدعة اكتر من اللي علي بك نشلهم من ذل الخدمة وغسيل الخيل وعملهم فرسان.

يا أخي النسوان لما بتظبط.. بتبقى حاجة فعلا تستاهل كل خير.

سنتين كاملتين بدور على القبر ده.. كل مرة انزل الإمام الشافعي أروح لحد حوش الباشا ومعرفش أوصل.. بس المرة دي الحمد لله أخيرا عترت فيه.. كان نفسي من زمان أوي اقرا الفاتحة للراجل اللي الجبرتي قال عنه انه "كان شديد المراس عظيم الهمة قوي الشكيمة لا يميل إلى الهزل ولا إلى المزاح معتدا بنفسه يطالع كتب التاريخ".

ياللا.. الله يرحم الجميع.

([١٠]) قبر نفيسة البيضاء يقع إلى اليمين من قبر على بك الكبير.. دفنت بناء على طلبها بجوار على بك الكبير




مدفن علي
بك الكبير
قبر تيمور باشا

الكيتي كات

مبقيتش عارفة طعم النوم..
مصاريني بتنهش قلبي يا سيدي المغربي..
روحي رايحة مني.. رجعهالي..
قلبي بيتخطف لما حد يجيب سيرته قدامي..
ابن الكلب مش شايفني!!
لو شافني مرة واحدة.. لو بص لعينيا.. هخليه يسف تراب رجليا..
هخرب بيته..
هخليه يحس الشطة السوداني في عروقه..
والنار في جوفه والكلب السعران وهو بينهش قلبه..
هخليه مجذوب.. درويش.. بس يبصلي..
لو راجل.. يبصلي..
لو راجل من ظهر راجل يبص لعينيا..
لو راجل هخليه خرقه قديمة مهلهلة..
هعلمه إزاي يبقى راجل..
وإزاي يموت ويتعذب علشان واحدة..
بس اديهولى يا سيدي المغربي..
اديهولى يا إما هموت نفسي..
أنا بحبه..
اهىء.. اهىء.. اهىء

◈◈◈◈◈◈◈

مصعبتش عليا خالص الولية دي في الفيلم التحفة بتاع محمود عبد العزيز.. هو طبعا من حظها ومن حظ "يوسف" ابن الشيخ حسني انه مبصلهاش.. لأنه أساسا لو بصلها كان تف عليها فوسط الشارع وجرح كرامتها وقلبها زيادة.. مش ناقصة وجع بطن يعني.. مش عارف أنا هي جابت منين الثقة الهائلة دي في نفسها انه لو بصلها هتعمل وتسوى فيه.. هي أساسا جربانة جرب التنين "في

الفيلم والواقع".. الواحد بيحط نفسه مكان يوسف واتخيل ان واحدة زي دي بتقول كده عليه.. يامه.. ده الواحد كان يروح يهد قبة المغربي ده ويساويها بالأرض.. والنبي أجيب عاليها واطيها لاحسن الدعوة تتقبل وللا حاجة والواحد يلبس في واحدة زي دي.. يا حفيظ يارب.

بس ثانية كده!!!

هي بتدعي مين؟

دي بتقول اديهولى يا سيدي المغربي!!

يخرب بيتك ولية!!

يعني وحشة وشمال.. وكمان حمارة!!!

محدش قالك ان الدعاء لا يجوز إلا لله عز وجل.

هو ده محور الخناق دايما في موضوع المقامات ده..

الدعاء لمين وباسم مين؟

بعض المتصوفين قالوا كده صراحة.. شفتها في حلقة عملها سيء الذكر وائل الإبراشي..

"نحن ندعو صاحب المقام ليدعو لنا الله لأننا نعتقد ان لسان الراقد في هذا المقام اطهر من ألسنتنا".

طبعا واضح جدا فساد المنطق.. لأن هذا الراقد لم يعد إلا عظام نخرة لا تملك لنفسها أولا أي ضر أو نفع علشان تملك لغيرها حاجة.. الراقد تحت التراب نفسه يوما ما ان صحت سيرته كان يعتقد ان هناك راقد آخر تحت التراب لسانه أطهر من لسانه هو.. يبقى كده وجب علينا بقى تتبع سلسلة اللسان الطاهر ده لحد ما نوصل إلى قبر من لم يختلف عليه المسلمين.. الرسول عليه الصلاة والسلام ونقول يا سيدنا النبي عاوزين كذا وكذا وكذا.

بس خد بالك برضه..

اجمع أهل العلم على ان دعاء الرسول عليه الصلاة والسلام لا يجوز.. يعني مينفعش تقول يا سيدنا النبي.. نجحلي ابني أو خد مراتي وأنا هعمل كذا وكذا

وكذا.. الدعاء لا يكون إلا لله عز وجل مباشرة.. من أي مكان وفي أي وقت.. والدليل أهو..

"وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ " (البقرة - ١٨٦)

مفيش أي إشارة إلى إنك يا محمد إذا سألك عبادي عني.. اتوسط بيني وبينهم.

مش كده؟؟

النبي يشفع آه.. ربنا يجعلنا في شفاعته الكريمة نصيب.. إنما السؤال يكون لصاحب الأمر والقرار في الأول والآخر لصاحب الأمر.

وصاحب الأمر رفض تماما من الأول موضوع الوسايط ده..

ده بالإضافة إلى حاجة كمان مهمة أوي..

هو مين سيدي المغربي ده اللي ممكن حد يعتقد انه لسانه اطهر من لسانه هو شخصيا؟

كان ولي فعلا؟

الموضوع محتاج حدوتة..

حدوته ترجع إلى سنة ١٧٩٨م.

سنة ما وصل نابليون وعساكره لأرض المحروسة..

نابليون صحيح وصل ومعاه علماء وأطباء وعلموا المصريين كتير من العادات الطبية الصحية اللي هما أساسا نقلوها بالمسطرة من كتب الأطباء الأندلسيين.. كمان نذكرلهم انهم السبب في إزالة التراب عن الحضارة المصرية القديمة كلها وانتشال مصر من الظلام العثماني.. دي حقيقة محدش ينكرها.. إنما كانوا ولاد كلب سفاحين وشفاطين وسفلة برضه.. من ضمن عادات الفرنسيس القذرة.. كانت المواخير.

لازم يبقى في ماخور لزوم الشرب والهيء والميء والحركات.. لازم يبقى في مكان يتلم القذرين فيه كل يوم بليل علشان يأربعوا هوب هوب وبعدين يكبوا قذارتهم هناك ويروحوا مساطيل مبسوطين.

قوم إيه بقى يا سيدي.. جت رقاصة فرنساوي ملعب وفتحت نايت كلوب في منطقة فخمة على شط النيل من مناطق المحروسة.. قالت البلد دي بلد خير.. هي كمان لازم تسترزق.. الرقاصة دي كان اسمها كيتي الفونس فرانسوا..

مصر في الوقت ده كان فيها أجانب كتير.. انجليز وروس وفرنساويين.. اغلبهم تجار "في الظاهر" ولكن في حقيقة الأمر كانوا جواسيس لبلادهم.. كل جاسوس منهم بيبعت لأسياده أخبار البلد أول بأول.. علشان الكبار يقرروا امتى بالظبط هينطوا النطة الكبيرة علشان ياخدوا البلد اللي قيل عنها ان من حكمها حكم العالم.

الأجانب دول كانوا بيتجمعوا كل ليلة عند الرقاصة كيتي في الماخور بتاعها.. ويبدو انها كانت حلوة ومقطقطة بزيادة وشبه القطط كده.. فكانوا بينادولها باسم الدلع.. كيتي القطة.. وهيا تقولهم تعالى.. تعالى مقولكشي.

- طيب.. الجماعة دول أجانب.. صح؟
- آه
- يبقى هيقولولها إيه؟؟
- كيتي القطة.. بالإنجليزي طبعا.. كيتي كات
- شفت بقى

طبعا المصريين لسانهم تقيل في حروف الدلع.. مينفعش راجل بشنبات يقول كيتي كات دي.. فاتحرف الاسم وبقى كيت كات.. اللي هي حاليا بقت مصنع الرجالة ويشهدلهم يوم ٢٨ يناير لما وقفوا بأجسامهم قصاد زبانية جهنم.

إيه ده.. يعني كيت كات ده من اسم الدلع كيتي كات بتاع الولية الملعب دي!!!

اخص..

طيب إيه علاقة المقام بالفرنسيس بكيتي كات دي.. أنا تهت يا عم الحاج.

طيب.. تعالى نكمل الحدوتة علشان ترجع تاني بعد التوهان.

في يوليو سنة ١٧٩٨م. حصلت عاركة كبيرة أوي بين المماليك تحت قيادة إبراهيم بك ومراد بك وبين جيش نابليون.. معركة جبارة قال عنها عمنا الجبرتي:

"صمت الأسماع من توالي الضرب بحيث خيل للناس أن الأرض تزلزلت والسماء عليها سقطت".

المؤرخين سموها موقعة إمبابة بينما الفرنسيس سموها معركة الأهرام.. فروسية المماليك مكانتش كفاية علشان تصمد قصاد جيش نابليون المدجج بالبارود والمدافع والقنبر.. المماليك فرسان شداد آه.. بس خلاص.. أيام الفروسية راحت من زمن طومان باي.. السلاح الجديد بيضرب من بعيد وتأثيره اشد كمان.. القوة الجسدية مبقتش هي الفيصل في الحروب زي ما قال صمويل كولت مخترع المسدس "اليوم يتساوى الشجاع والجبان".

وخسر المماليك قصاد الخواجات..

وهرب إبراهيم بك ومراد بك على الصعيد وسابوا أهل المحروسة لوحدهم فريسة للأجانب..

بس أهل المحروسة مكانوش لقمة سهلة برضه.. زي ما كانوا ملمومين حوالين مراد بك.. لقوا حد جديد يتلموا حواليه ويحاربوا وراه ويستمدوا منه القوة والمدد.. زي رجالة الأزهر.. والفتوات..

وإبراهيم المغربي..

إبراهيم المغربي ده كان حدوتة لوحده.. كان راجل كبير طاعن في السن.. أسرته هاجرت لمصر من المغرب ومن هنا خد اسم المغربي.. اشتغل في القاهرة تاجر قماش ومستلزمات تجهيز عرايس.. فضل طول عمره في حاله وملوش إلا تجارته.. بس كان راجل مصلي وبتاع ربنا.. لما اتفتح الماخور بتاع كيتي الفونس.. كان كل يوم يدفع فلوس للبلطجية علشان يهجموا عليه ويكسروه أو يعملوا مشاكل جواه.. كان مضايق أوي من وجود ماخور زي ده في وسط ارض الجدعان وبلد الأزهر.

لما خلصت معركة إمبابة.. شاف إبراهيم المغربي ان الفرنسيس ناس عاديين بيتجرحوا ويتعوروا وينضربوا عادي.. فلم فتوات المنطقة ورجالتها وقاموا قومة

واحدة على الماخور.. هدموه وساووه بالأرض وعملوا مكانه مسجد كبير أوي موجود لحد النهارده.. هو أكبر مساجد إمبابة.. اسمه مسجد خالد بن الوليد.

نابليون ساعتها كان بيعد العدة علشان يرجع بلدهم تاني بعد ما أيقن من فشل حملته على مصر.. الناس دي رغم فقرها إلا انها مش موافقة بيه وبحكمه وبمواخيره وقرفه.. نابليون طنش اللي حصل وساب الرقاصة كيتي تهرب من بطش الناس على فرنسا.. وقدر الرجالة الجدعان من ورا إبراهيم المغربي انهم يطهروا منطقتهم من النجاسة ويأسسوا فيها مسجد كبير فخم يذكر فيه اسم الله لحد النهارده.

ومات إبراهيم المغربي.. وزعلت الناس على راجل جدع محترم جاد بالمال والعيال في حربه ضد القذارة.. وبنوا مكان موته قبة.. ومع الوقت بدأت الناس تحكي عن كرامات سيدي المغربي.. وانه مرة دعا لمين ومعرفش حصله إيه ومرة مسك بأيده التراب والتراب محصلوش أي حاجة ويا سلاااااام.. سبحانك يارب.. يا بركة يا بركة.

متهيألي ان سيدي المغربي لو عايش الأيام دي وعرف ان مدفنه بقى مزار لأمثال عايدة رياض علشان تحكي عنده مواجعها من اللي مجننها.. كان هدم القبة فوق دماغها ودماغ سكان المنطقة كلهم.

سيرة الصالحين حلوة وعطرة.. للأسف الناس حولوها إلى شرك بالله عز وجل.. عمرك شفت كده؟؟ ناس من كتر حبها في الدين.. تشرك بصاحب هذا الدين؟؟

بشكل شخصي أرى ان هؤلاء الناس مش محبين للدين ولا حاجة.. وده باين في سلوكهم اليومي المتمحور حوالين السب والتحرش والسرقة والرشوة والنصب.. إنما هما بيحبوا الأجواء الروحانية والدروشة والخرافات المخترعة حوالين كل دين.

يا سيدي المغربي.. أمانة عليك.. اوعى تدي البت دي الجدع ده.. ولا أي جدع تاني.. خليها زي الكلب كده لوحدها.


WwW.Fbrka.CoM

أسطورة الحاجة زينب

هي مصر طول عمرها فقيرة كده وللا سنين الاحتلال والقهر هي اللي كسرت في نفوس الناس كل رغبة في الحياة؟

قبل ما تجاوب.. اسمع منى الحكاية دي والعهدة على الراوي.. والراوي يبقى ابن إياس الحنفي.. عالم وشاعر ومؤرخ مملوكي مصري شركسي الأصل.. عاصر دخول العثمانيين وكان من أكابر البلد وقريب من السلطان دايما.



بيقول إيه ابن إياس؟

بيقول ان سنة ٨٣٢م. مصر كانت تحت حكم الخليفة العباسي القوي عبد الله المأمون ابن الخليفة الأقوى هارون الرشيد.. أهل مصر "كلهم" كان اسمهم القبط وغالبيتهم ما زال على المسيحية.. دخول الإسلام لمصر حافظ على الديانة المسيحية من الاندثار بسبب الاضطهاد الروماني زي ما كتب ساويرس بن المقفع.. مضت سنين الخلافة الراشدة ومن بعدها سنين الحكم الأموي ثم حمام الدم الأموي-العباسي على المصريين بسلام.. أحلامهم بعيد عن الكرسي خالص.. جاء زيدٌ أو حضر عمروٌ.. طب وإحنا مالنا ان شالله ما حضروا على رأي ليلي مراد.. اللي يمسك الكرسي ندفعله الضرائب أو الجزية أو الخراج.. أيا كان المسمى.. أهي فلوس المصريين بتخرج بره مصر وخلاص.

للأسف مش كل الولاة اللي مسكوا مصر كانوا من الحصافة والحكمة انهم يقدروا يتفهموا طبيعة مصر الزراعية.. بعضهم كان "بهيم" خالص زي واحد اسمه عيسى بن منصور الرافقي.. الراجل ده مفهمش ان ربع الأرض لازم على الأقل ربعه بيستهلك في الأرض مع الموسم الجديد لزوم السماد والتقاوي وتنظيف الأرض ومصارف المياه وخلافه.. الدنيا مش هتمطر فالأرض تطلع من بطنها خير للكل مع نفسها كده.. الفلاحين المصريين علموا العرب يعني إيه زراعة ويعني إيه اقتصاد زراعي.

عيسى جاي من بلدهم على السمعة.. سانن سنانه على الناس ومتوحش في لم الضرائب.. الضرائب والاهانات كثرت على الناس.. هوب الناس رفضت.. هوب الوالي استغبى.. هوب البلد ولعت والفلاحين وقعوا مع العسكر وبقت ليلة كبيرة أوي سعادتك.

عيسى بن منصور كان زيه زي أي ظالم.. شديد على العزل بس.. لكن لما العزل شالوا سلاح.. جري على سيده يعيط.. الحقني.. الولاية فكست مني يا مولانا الخليفة.

الخليفة طبطب عليه وبعت معاه واحد من رجالته.. إيراني مفتري من سلالة الأكاسرة اسمه حيدر بن كاوس.. ده كان مجوسي وأسلم نفاقاً لما لقى ان سلالته الحاكمة مش أد العباسيين وغباوتهم.. صاحبنا ده كان لقبه الأفشين.. وده كان لقب ملوك المنطقة دي قبل الإسلام ما يوصل عندهم.

الأفشين مقدرش يوصل لحل نهائي مع المصريين خصوصا في الصعيد.. الأخبار اللي وصلت للمأمون مش تمام.. يبدو كده ان العيال دي محتاجة زيارة من الكبير شخصياً.. شد المأمون جيشه ومعاه أخوه المعتصم وعيالهم.. وخد في ايده كمان البطريرك ديونوسيوس بطريرك إنطاكية ومعاهم بابا الإسكندرية بتاع الأرثوذكس.. الأنبا يوسف الأول "يوساب المنوفي".. ما هو خد بالك ان الجماعة المصريين دول مش بيتكلموا عربي.. والموضوع يلزمه ترجمان.

الوفد رفيع المستوي ده قدريعمل حاجة؟

ولا الهوا.. أهل البشمور "ودي المنطقة الموجودة بين دمياط ورشيد" راسهم وألف جزمة ان مفيش تنازل.

مش كده وبس.. لا..

دي الثورة خرجت من البشمور.. ولفت مصر يا معلم لحد ما وصلت للصعيد.. وشوف انت بقى الصعايدة لما يقفشوا.

المأمون زهق من كتر اللت والعجن.. راح فارد السلاح واشتغل دبح وتقطيع.. بعت الأفشين على الصعيد واتفرغ هو للبشمور.. خلق كتير أوي ماتت في الثورة

دي.. يقال في بعض المصادر انهم ربع عدد الناس اللي اشتركت فيها.. والربع التاني طفش بره مصر.. واغلب اللي فضلوا اتحولوا للإسلام.. ومن يومها بس.. مصر أصبحت إسلامية إسلامية لا شرقية ولا غربية.

سلو الناس زمان كان العضلات.. اللي يقدر على حاجة بيعملها.. اللي يقتل حد بياخد فلوسه حلالاً طيباً.. اللي يصحى الصبح بدري يقعد على العرش ومينزلوش إلا اللي يقدر عليه.. لما تراجع سيرة العباسيين مع الأمويين وسيرة الأمويين مع اللي قبلهم وسيرة الصليبيين في أوروبا مع بعض ومع الأندلس بعد كده.. هتقدر تتقبل فكرة اللي عمله المأمون في مصر.. هو قتل ودم بالهبل مفيش كلام.. إنما ده كان سلو الكوكب أيامها.

بمنطقنا حاليا.. المأمون مجرم حرب.. بينما الحال مش كده بمنطق الأيام الخوالي.

خمدت ثورة البشمور بالقهر.. المأمون مكانش عبيط ولا بريالة.. طرد عيسى بن منصور من مصر طردة الكلاب.. وبدأ يلف بر مصر كلها لسببين مهمين أوي:

- أولا.. رأب الصدع اللي حصل.. علشان الناس تطمئن وتعرف ان المسلمين مش دمويين إلا في الدفاع بس.. غير كده دي ناس محترمة وبتراعي ربنا.
- ثانيا.. الغلة بقى.. الابيج.. السبب اللي جاب الكوكب كله علشان يحتل البلد المنكوبة دي.. الفلوس يا عزيزي.

يعدي المأمون على البلد من دول.. يقعد فيها يوم بليلة.. ياخد "واجب" الضيافة وتنه ماشي علطول.. يلف على القر.. القرى تصقف وتزرغط وتفرح وتستقبله بما يليق بخليفة المسلمين.

في هنا حاجة مش منطقية..

إزاي الراجل ده جاي يدبح بينما الناس فرحت بيه كده ومكانوش لسه مسلمين في الوقت ده؟

اهو ده اللي حصل يا معلم ولا تسألني كيف.

ابن إياس كاتب الآتي..

"فكان إذا نزل بقرية يضرب له سرادق من حرير ويجلس على دكة من الأبنوس مطعمة بفضة وينصب له عليها لواء من حرير اسود مرقوم بالذهب وتحاط به الوزراء والأمراء من كل جانب"

حد هيقول تلاقي الزيارات دي مترتبة.. ما هو التعريض للحكام اتخلق على كوكب الأرض من قبل سيدنا آدم أصلا.. أقولك شوف الحكاية دي واحكم.

المأمون وهو ماشي عد على قرية صغيرة ضاربها السلك اسمها طاه النمل.. من صغرها تجاهلها تماما وكمل في طريقه عادي.. وإذ فجأة يلاقي قصاده ست عجوزة اسمها ماريا القبطية.. وقفت الموكب وقعدت تولول قصاده.. المأمون افتكر ان عندها مظلمة.. وقف يسمع منها.. أتاري الست زعلانة منه ولها حق عرب عليه.. إزاي يعدي كده من غير احم ولا دستور.. جرى إيه يا مأمون.. انت عايز القبط يعيروني ويقولوا عليا بخيلة وللا إيه؟

الراجل ازبهل.. يا ستي انتو بلدكوا على أدها واحنا كتير.. كتر ألف خيرك واعتبري الواجب وصل.. هو يحلف والست تحلف.. وبزن المرأة المصرية الأصيلة.. نزل المأمون على رغبة الست وأصبح ضيفها في بلدها الصغيرة.. هو وعساكره.

ويفاجأ المأمون بكرم الست الزائد وكم الذبائح المهول.. الأكل والشرب والحلويات عمالة تلف عليهم بلا نهاية.. يوم بليلة مشافش زيهم في بر مصر كله.. لحد ما خلاص بقى آن الأوان وحب يستأذن.. راحت الست داخلة عليه ومعاها ١٠ صواني من بتوع العزائم.. في كل صينية طبق كبير متغطي.

المأمون غمز لأصحابه بحتة سخرية كده.. كانوا فاكرين ان الأطباق دي فيها زاد طريق يعني وكده.. قالهم الست جايبالنا "كامخ" وصحن.. يعني غموس وأطباق اهو.. افرحوا يا رجالة.

مد ايدك يا أمير المؤمنين.. سمي واستفتح الأطباق.. الراجل شمر وكشف أول طبق علشان يشوف ان كان سلطة بقى وللا مخلل.. اتاريه طلع مليان دنانير دهب..

كشف التاني.. الثالث.. كلهم..

كل الأطباق مليانة دنانير دهب.

يهدك ولية.. منين كل ده!!

دا كان رد المأمون على الست ماريا بالظبط.. الراجل قالها ان بيت مالنا في دولة الخلافة يعجز عن مثل ذلك.. انتي لقيتي كنز يا ولية!!

والست ضحكت وقالتله أبدا وحياتك.. ده كله من زرع الأرض.. فضلة خيرك وعدلك يا مولانا.. خلاص بقى متكسفش إيدي.. تعدمني لانت واخدهم.. ده النبي قبل الهدية.

طبعا النبي قبل الهدية.. بقى دي هدية تترفض!!!

المأمون رد الجميل للست.. عملها ملكة على البلد وبنالها هناك قنطرة لزوم الزرع.. البلد حالها اتشقلب وبقى اسمها قنطرة العجوز.. وبقت الست ماريا القبطية هي وعيالها ملوك قنطرة العجوز.

يا لهوي على خبث الفلاحين.. وأنا أقول إيه سر كرم الولية الزيادة أوي ده مع المأمون!!!

٤٠ يوم بلياليهم المأمون بيلف بر مصر.. طلع بكام بقى من الليلة دي؟

زي ما ابن إياس كاتب ..

"ودخل عليه من المال في هذه السرحة نحو أربعة آلاف ألف ألف دينار غير الهدايا والتحف. ففرق على عسكره لما رجع إلى بغداد لكل واحد منهم ملء كفيه ذهباً"

اخدلي بالك انت.. ملء كفيه ذهباً ..

يا خويا العسكر دول طالعين واكلين نازلين واكلين.. يهدهم.

أربعة آلاف ألف ألف دينار يا ابن إياس!!

يعني ٤ مليار دينار!!

أحييه..

فضل المأمون لحد آخر عمره فاكر الست دي ودايما يتكلم عنها بكل خير ويحمد ربنا ان في رعيته من يحمل صفات المروءة والكرم زي الست ماريا القبطية.. وضميره مرتاح طبعا ان "عدله" هو السبب.

الظريف بقى ان المأمون لما نزل مصر.. جاله اكتئاب.. بص يمين وشمال وراح قايل "ما أدرى ماذا أعجب فرعون بمصر حين قال أليس لي ملك مصر.. وهي أرض غبراء بين جبلين؟" لولا ان رجالته ردوا عليه وقالوله متنساش ان ربنا قال ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون.. كان زمانه خد بعضه ورجع لما لقاها خرابة كده.

قبل ما يمشي المأمون من مصر عدى على هرم خوفو.. شكله كده متروس كنوز هو راخر.. فتح فيه فتحه طولها ٢٠ ذراع "حوالي ٢٥ متر" لحد ما لقوا زلعة زمرد خضراء.. فتحوها لقوا فيها ١٠٠٠ دينار دهب.. نفس المبلغ اللي صرفه على عمايل الفتحة دي بالظبط.. اكتفى بيهم وهو ماشي مندهش من صنع المصريين وجودة ونقاء الذهب.. المأمون.. خليفة المسلمين العباسي.. قال عن المصريين القدماء وهو ماشى..

"كأن هؤلاء القوم بمنزلة لا ندركها نحن ولا أمثالنا". وخد معاه الزلعة الخضراء على بغداد من شدة إعجابه بيها.

على فكرة..

وارد جدا تكون الأرقام أفورت من ابن إياس.. وارد جدا يكون بيبالغ.. انت اخصم المبالغات واقرا ما بين السطور علشان تفهم.

ولما تسمع واحد بيزعقلك وبيقولك "احنا فقراء .."

تقوله إيه والنبي!!!

خليها فسرك.

سؤال خبيث بقى..

حد يقدريتوقع القرية اللي كان اسمها طاه النمل دي تطلع فين؟

بعض المصادر بتقول ان القرية كان اسمها طاق النمل ثم تحرف إلى طاه النمل ثم أصبحت طنامل الحالية "مركز أجا – دقهلية".. بلد اللحمة.

بس أنا مش مصدق.. قلبي بيقولي ان الحركة دي متخرجش أبدا عن محافظة معينة محتكرة أعلى وظيفة في مصر من سنة ١٩٧٠م. لحد النهاردة وأول حرف من اسمها المنوفية.

غريب اللحد والكفن

الموضوع ده كبير جدا على فكرة..

بدايته كانت أجازة سنوية في تركيا لفتت نظر أستاذي وصديقي أيمن عثمان صاحب الموسوعة الرائعة تراث مصري ١ و٢.. بمشيئة الله يوصلوا إلى تراث مصري ١٠٠.

أيمن لفت نظري إلى موضوع قديم كنت قريت عنه ما كتبه بلال فضل في التغريبة البلالية عن محاولته لإيجاد مقبرة عبد الله النديم.. استرجعت كتاب آخر قديم من مكتبة أبويا بتاع نجيب توفيق اسمه عبد الله النديم - خطيب الثورة العرابية.. وحسيت بالخجل الصراحة.. إزاي كل ده والواحد لم يتطرق لسيرة النديم من قبل؟

حسب ما كتب بلال فضل.. أول أطراف الخيوط الدالة على مكان دفن المجاهد البطل عبد الله النديم كانت معلومة بتقول انه دفن في منطقة بشكتاش في اسطنبول.

افادكم الله يا صاحب المعلومة.. جميل جدا لما أقولك هنتقابل فين.. تقولي في مدينة نصر بعد صلاة المغرب علطول.. وهي بشكتاش كلها أد إيه.. دي اوضة وصالة.

طبعا ده أي كلام.. بشكتاش منطقة عملاقة.. تاني أهم منطقة في اسطنبول بعد تقسيم.. زحمة ولا كأنها يوم الحشر.. طبيعي جدا لمنطقة فيها قصر ضولما بخشا ونادي بشكتاش بتاع احمد حسن وقصر جراجان ومقام يحيى أفندي وكم محترم من معالم اسطنبول.

حكى بلال فضل عن معاناته في الوصول إلى مكان محدد في بشكتاش يدور فيه.. سواقين التاكسي خرجوا كسبانين من المعركة دي تماما.. في الآخر.. قيل انه مدفون بجوار مقبرة بارباروسا.

الله!!!..

باربا روسا؟؟

خضر بن يعقوب.. البحار العثماني الأشهر والأقوى والأكثر تأثيرا؟

رعب المتوسط وملك البحار ووالي الجزائر؟

ذو اللحية الحمراء اللي كان منيم سواحل المتوسط من المغرب أيام السلطان القوي سليمان القانوني؟

أيوه.. بالظبط.. هو بعينه.

طيب.. فرصة حلوة نزور قبره هو كمان بالمرة.. ده كان رجل عظيم ويستاهل الزيارة.

خير الدين باربا روسا.. قائد الأسطول العثماني.. رجل في عصره أصبح المتوسط يطلق عليه البحيرة التركية

"Turk Gölü"

هتلاقوا الكلمة دي مكتوبة بالتركي القديم "أبو حروف عربي" على الخرائط العثمانية القديمة.

لك ان تتخيل ان سليمان القانوني كان بيهاجم وسط أوروبا.. ويبعت خير الدين يتمشى في المتوسط.. ايطاليا واسبانيا وفرنسا تبسمل وتحوقل من الرعب البحري.. تجري تلم عساكرها علشان تبقى على أهبة الاستعداد.. الله اعلم خير الدين باربا روسا هيعمل فيهم إيه بسفنه وباروده غير المنتهي.

خير الدين باربا روسا مدفون في بشكتاش.. مقام مخصوص.. للأسف كان مقفول للصيانة.. ميدان كبير على البوسفور.. في الميدان تمثال كبير ليه ولمعاونيه مع المدافع اللي كان مشيب بيها سواحل أوروبا.. البلد اللي تحترم أمواتها وتدفنهم في مقبرة زي دي.. أكيد بتحترم الاحياء.

بقول آخر.. باربا روسا مدفون وسط أدلة جهاده وكفاحه في سبيل الله.. نحسبه عند الله من الشهداء.

لفيت حوالين المقبرة بتاعته من خارج السور.. أقدر أأكد ان عبد الله النديم مش مدفون هنا.. كل شاهد قبر عليه بيانات صاحبه وكلهم "تقريبا" رجالة خير الدين أو مساعدينه أو أهله.. كده قللنا دائرة البحث.. مقبرة خير الدين بارباروسا خرجت بره الحسبة.. يبقى ندور في مكان تاني.

حاجة أخيرة بس تتخيلها كده وانت بتقرأ في سيرة الراجل ده..

ده كان قائد واحد بس من قواد جيش سليمان القانوني..

امال الباقي عملوا إيه!!!

في عصور النهضة.. هتلاقوا دايما نهضة في كل شيء.. هتلاقوا سلطان عظيم ظهر في عصره علماء عظام وقادة عظام وفنانين عظام ومعماريين عظام وتجار عظام وقوانين عظيمة وكل حاجة تبقى عظيمة.. ان صلح الحاكم صلحت الرعية."



خير الدين بارباروسا – بشكتاش

طيب.. كده فاضل طرف الخيط الثاني..

مقبرة يحيى أفندي..

الكتب اللي سجلت السيرة الذاتية للنديم أجمعت على انه دفن في مقبرة يحيى أفندي بجنازة رسمية بأمر السلطان عبد الحميد.. نفس السلطان اللي استصدر فتوى شرعية من شيخ الإسلام في إسطنبول بتكفير المجاهد أحمد عرابي ومن معه "ومن ضمنهم عبد الله النديم صوت الثورة" هو نفس السلطان اللي اضطهد عبد الله النديم بعد نفيه لإسطنبول هو نفس السلطان اللي أمر بجنازة رسمية وتكريم للنديم لما مات هو نفس السلطان اللي أمر بدفن النديم في مقبرة الأكابر.. مقبرة يحيى أفندي.

موقف غريب من السلطان عبد الحميد له ما يبرره.. هنحكي عنه في وقته.

من حسن الحظ ان المسافة بين مقبرة بارباروسا ومقبرة يحيى أفندي ١١٠٠ متر بالظبط.. مفيش في الدنيا أجمل من البقلاوة التركي إلا المشي في شوارع إسطنبول.. خصوصا لو هتتفرج على التحفة المعمارية قصر سيراجان في سكتك.

بعد ربع ساعة مشي لقيت اليافطة.. سهم يشير للأعلى مكتوب عليه..

"Yahya Efendi Türbesi"

لا تندهش من كم الكلمات التركية المألوفة في لغتنا العربية.. كنا دولة واحدة يوما ما.

المقبرة فوق تل من تلال إسطنبول.. سيقان حديدية تلزم للمشي في البلد دي.. المراد غالي وتعب البدن لا يساوي شيء إذا كلل السعي بالنجاح.. كمان فرصة كويسة لحرق كم مهول من السعرات بيدخل معدتي يوميا من ساعة ما جيت البلد دي.

دخلت مقبرة يحيى أفندي.. مقبرة فخمة كبيرة تطل على البوسفور مباشرة في منطقة من أهم مناطق اسطنبول..

يا الله يا ولي الصابرين.. مقبرة على البحر!!!

ازداد إعجابي بالأتراك.. مين يقول ان منطقة زي دي في مكان زي ده بتطل على منظر شديد الروعة زي ده.. تبقى مجرد مقبرة؟

درس جديد في احترام الأموات.

الأتراك بيهتموا جدا بالمقابر.. المقابر تبدو وكأن أصحابها دفنوا فيها امبارح بس.. كل قبر له شاهد مدون علية آيات من الذكر الحكيم أو بيت شعر أو حكمة عاش بيها صاحب القبر وبيانات فيها تاريخ ميلاده ووفاته ومنصبه.. حوالي ٢٠٠٠ شاهد قبر بينهم واحد بس هو اللي أنا عاوزه.. طالما كل شاهد يحتوي بيانات.. يبقى أكيد سهل اني ألاقي شاهد قبر النديم خصوصا انه ذو علامة مميزة جدا.. حسب ما ذكر المؤرخ عبد الرحمن الرافعي في كتابه الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي ان شاهد قبر النديم مكتوب عليه بيت شعر بيقول..

بالأمس كان غريباً في ديارهم *** واليوم صار غريب اللحد والكفن

وبدأت البحث..

في الأول حبيت أعرف مين هو يحيى أفندي المسمى على اسمه المقبرة والمكان كله.. واللي فوجئت ان له مقام كبير هو وزوجته وأولاده وتلاميذه كمان.. مقام في جناح مخصوص وله زوار بييجوا علشانه مخصوص.. دخلت المقبرة على عجل.. شكل القبر والعمامة الخضراء على مقدمته يقولوا ان هذا رجل دين متصوف.. مش بعيد لو في مصر كان بقى ليه مولد وطريقة.

الشيخ يحيى بن زكريا بن بيرام.. المولود في سنة ١٤٩٥م. في طرابزون.. يبقى أخو السلطان سليمان القانوني في الرضاعة وصديق طفولته.. أمه كانت الصديقة المقربة للسلطانة عائشة حفصة سلطان زوجة السلطان سليم الأول وأم السلطان سليمان.. وأبوه زكريا أفندي كان من أخلص أتباع السلطان سليم.

تزامل يحيى أفندي مع السلطان سليمان في المدرسة الدينية وتميز جدا في كتابة الشعر واستيعاب اللغات والثقافات الأوروبية.. فرقته الحياة عن صديقة السلطان اللي سلك سكة أبوه في الحرب والفتوحات بينما استثمر الشيخ يحيى وقته في تعليم الأطفال والإشراف على مستشفى بناها لزوجته عائشة خاتون.

سنة ١٥٢٦م انتبه السلطان سليمان إلى الشيخ يحيى ومكانته.. كرمه ومنحه لقب أفندي وعينه مدير لمجموعة المدارس الدينية "الخطوة الأولى لمنصب شيخ الإسلام" وأصبح لقبة الرسمي الشيخ يحيى زاده أفندي.

تولى يحيى أفندي قضاء الشام ثم قضاء مصر ثم قضاء إسطنبول ثم أخيرا أصبح شيخ الإسلام.. وهو منصب في أيام العثمانيين لو تعلمون.. شديد العظمة والرفعة.

يحيى أفندي كان مثال لعالم الدين لما قلبه يموت ويبقى شجاع وبايع الدنيا ولا يخاف إلا ربه.. مخافش أبدا يقول للسلطان سليمان "انت كبرت وخرفت" لما السلطان قتل ابنه المحبوب الأمير مصطفي سنة ١٥٥٣م. توترت بينهم العلاقة لما أعلن الشيخ غضبه ورفضه الاشتراك في المحاكمة الهزلية اللي اتعملت للأمير.. رفض يقبل ما قبل بيه الشيخ أبو السعود أفندي اللي تولى مكانه لما السلطان عزله من كل مناصبه عقابا ليه.

رغم ان السلطان سليمان كان أقوى رجل في العالم وقتها لا انه كان مدرك تماما ان كل دولة قوية لابد لها من عوامل ضعف وانهيار.. كان خايف من المصير نفسه للدولة العثمانية.. بدا ان الموضوع ده هو شغله الشاغل.. وسبحان الله.. يفسر المؤرخون ان أول عوامل الضعف بدأت فعلا في أيام السلطان القوي اللي كان بيحكم دولة مساحتها ٦ مليون كيلومتر تقريبا.

طرح السلطان السؤال ده علي الشيخ يحيى أفندي اللي كان منعزل تماما في تكيته في بشكتاش في نفس المنطقة اللي اندفن فيها واللي بدور على قبر النديم فيها حاليا.. بعت السلطان رسالة للشيخ يحيى بيقول فيها..

"أنتم ملمون بمعرفة العديد من الأسرار.. لذا نرجو منكم أن تتلطفوا علينا وتعلمونا متى تنهدم الدول.. وما عاقبة الدولة العثمانية ومصيرها؟"

وكان رد الشيخ يحيى.. "ما لي ولهذا أيها السلطان؟"

جواب مختصر محير يحمل في كلماته الخمسة معنى أعمق بكتير جدا من الظاهر.

السلطان عارف ان الرجل مش سطحي ولا تافه ولا بيهرب من المسئولية.. راح لحد عنده في التكية وكرر السؤال.. وهناك استفاض الشيخ يحيى زاده أفندي في الإجابة وخلص ضميره..

"أيها السلطان.. إذا انتشر الظلم في بلد وشاع فيه الفساد وقال كل من سمع وشاهد هذا الظلم والفساد ما لي ولهذا؟ وانشغل بنفسه فحسب.. وإذا كان الرعاة هم الذين يفترسون الغنم وسكت من سمع بهذا وعرفه.. وإذا ارتفع صراخ الفقراء والمحتاجين والمساكين وبكاؤهم إلى السماء، ولم يسمعه سوى الشجر والمدر.. عند ذاك ستلوح نهاية الدولة.. وفي مثل هذه الحال تفرغ خزينة الدولة وتهتز ثقة الشعب واحترامهم للدولة ويتقلّص شعور الطاعة لها.. وهكذا يكون الاضمحلال قدراً مكتوباً على الدولة لا مفر منه أبداً".

توفى الشيخ يحيى زادة أفندي سنة ١٥٧١م. بعد السلطان سليمان ب ٥ سنين.. جمعت كل فتاويه في كتاب اسمه "فتاوى يحيى".. ترك للدنيا ميراث ديني ثقافي ومقبرة كبيرة ضمت لاحقا جسد المجاهد المصري.. عبد الله النديم.

رجل كريم صاحب تاريخ عظيم.. يستحق النديم انه يكون في جواره في رقدته الأخيرة..

لكن هل هقدر استدل على مكان النديم وسط كل هذا الكم من القبور؟



مدفن يحيى أفندي - بشكتاش

ودخلت مقبرة يحيى أفندي

ما زلت منبهر باحترام الأتراك لموتاهم وتقديس ذكراهم بشده.. الإسلام التركي عموما إسلام صوفي أميل إلى الدروشة وتفخيم البشر دون قدسية.. فكرة الأضرحة والشواهد والتفخيم المبالغ فيه في أماكن الدفن فكرة تركية بامتياز.. ظهرت فكرة الأضرحة في مصر من أيام الفاطميين.. ولكنها كانت لأولياء الله الصالحين وآل البيت فقط.. لكن مع الأتراك أصبح كل متوفى يلزمه شاهد قبر يحتوي من فنون الزخرفة شيء مش قليل.. كمان الاهتمام بالقبر نفسه من حيث النظافة والمزروعات وصيانة شاهد القبر أو المقام كانت شيء ملفت للنظر.. صعب أوي تصدق ان المقابر دي عمرها يربو على ٤٠٠ أو ٥٠٠ سنة.. بعض القبور أقسمت بالله انها ما بنيت إلا امبارح فقط.. لكنى فوجئت ان عمرها تجاوز ال ٢٠٠ سنة.

مكان المقبرة نفسه مميز جدا..

شارع شديد الهدوء والسكينة في حي بشكتاش الحيوي والمهم جدا في اسطنبول.. المقبرة مبنية فوق تلة من تلال إسطنبول العديدة.. التلة كلها تطل على مضيق البوسفور في منظر جميل جدا ان جاز القول.. منظر يرد الروح.

حي بشكتاش يضم مزارات شديدة الأهمية في إسطنبول.. أكيد هتزور قصر ضولما بخشا "المقر الأخير الحكم العثماني ومكان موت أتاتورك".. أو ملعب نادي بشكتاش.. نادي احمد حسن زي ما أصبح اسمه هناك.. عموما.. لو وقفت عند قصر ضولما بخشا.. يبقى انت كده بينك وبين مقبرة يحيى أفندي ٣ كيلومتر بالظبط.. يا تركب تاكسي يا تتمشى على رجليك.. هتعدي على ميدان باربادوسا "مدفن البطل العثماني خير الدين بارباروسا" وهتعدي كمان على قصر سيراجان وبعدهم يحيى أفندي.. متنساش تخلى البحر على يمينك وتمشي على الرصيف.. وأعمل حسابك إنك هتقف كل ٢٠٠ متر تقريبا علشان تشتري سميط وجبنة من العربيات المنتشرة هناك.. تحفة والله وبليره ونص.. يعني فطار مجاني.

مقبرة يحيى أفندي هي واحدة من مقابر الأكابر في إسطنبول.. زيها زي أيوب سلطان ومركز أفندي.. إسطنبول فيها ما يقرب من ٢٠٠ مقبرة.. الحمد لله اننا قدرنا نعرف ان النديم مدفون هنا وإلا كنا فقدنا الأمل نهائيا في العثور عليه.

دخلت المقبرة وبدأت رحلة البحث.. قصادي ٢٠٠٠ شاهد قبر مطلوب ابص عليهم كلهم واقرا ما كتب عليهم بالتركية القديمة أم حروف عربي بحثا عن شاهد قبر عليه بيت شعر بالحروف العربية بيتكلم عمن أصبح غريب اللحد والكفن.

هو ده طرف الخيط الموجود معايا دلوقتي حسب ما ذكر عبد الرحمن الرافعي في كتابه الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي.

توكلت على الله وبدأت البحث.. بعد ساعتين من البحث.. مش قادر أوصل..

يلزم استخدام الذكاء شوية..

النديم رحمة الله عليه توفي يوم ١٠ أكتوبر ١٨٩٦م. في زمن السلطان عبد الحميد الثاني.. تركيا بدأت تستخدم الحروف اللاتينية سنة ١٩٢٨م. معلومة مهمة تخليني استبعد شواهد القبور المكتوب عليها بحروف لاتينية.

ساعتين كمان.. ولسه مش قادر أوصل..

قمة شاهد القبر أوقات بتبقى على شكل عمامة تدل على وظيفة صاحبها.. بعضها لرجال الجيش وبعضها لمشايخ الإسلام الأتراك وبعضها يميز رجال الدولة العثمانية.. من الصور المتاحة.. عمامة النديم كانت مصرية عادية.. اذن يمكن برضه إقصاء الشواهد ذات العمامات المميزة واختصار الوقت.

كمان ساعة.. ومش قادر أوصل..

العدد كبير فعلا والمدافن فوق بعضها.. حوض الدفن الواحد يحتوي على ٥ شواهد أو اكتر.. قراءة التركية مجهدة بالإضافة إلى عدم وجود ممرات للمشي.. كنت بنط من فوق الأسوار أو امشي على حواف القبر بحرص شديد.. ميصحش طبعا ادوس على الأموات.. أي خطأ في التوازن ممكن يؤدي إلى سقوطي على سور حديد من الموجودين.. وربما يستقر سن السور الحديد في جسمي وأبقى رفيق النديم في رقدته.

بعد ساعة كمان تعبت والعرق بلغ مني مبلغه.. الجو حر ومسحت الشواهد اللي شفتها بهدومي.. شكلي بقى زي المشردين وممكن أثير شكوك الناس.

اتعرفت على حارس وشيخ المقبرة.. اسمه أحمت.. على اسمي من حسن الحظ.. مفتاح سره كان نتانياهو يوك.. كده بقيت محل ثقة بالنسباله خصوصا لما عززت موقفي وقلتله اردوان طمام.. الأتراك لا ينطقون حرف ال غ بالمناسبة.

فهمته انى صحفي وبعمل موضوع عن السلطان عبد الحميد الثاني وبحاول أصحح المفاهيم عن تعامل الرجل الشهم مع بطل مصري.. الراجل تحمس لموضوعي وبدأ يدور معايا.. ساعتين كمان واليأس دب في قلبي.. كده احنا خلصنا المقبرة كلها.. ولا أثر لمقبرة النديم.

عزموني على شاي.. صعب عليهم حالي وبدأ التفكير العكسي.. بدل ما ندور على قبر النديم.. احنا نستبعد كل ما هو أكيد ليس مقبرة النديم.. والباقي يبقى هو ده اللي مفروض ندور فيه.

من الدردشة مع الناس عرفت ان السلطان عبد الحميد الثاني له جزء من المقبرة دي مخصص ليه.. السلطان نفسه مدفون في ضريح جده السلطان

محمود الثاني.. ضريح كبير في شارع ديوان يولي القريب جدا من متحف أيا صوفيا.. كنت صورت فيديو هناك.. الرابط اهو.

https://www.youtube.com/watch?v=x0c9LydOjss

عدد كبير من زوجات السلطان عبد الحميد الثاني مدفونين هنا في يحيى أفندي. بدر فلك باش قادين ونور أفسون إقبال وبهيجة خانم أفندي ومشفقة خانم أفندي وبيدار قادين أفندي وامثال نور أفندي ومزيدة قادين أفندي ودلبسند اقبال.. ده غير بعض من أولاد أخوه السلطان مراد الخامس وأكابر رجال دولته.

حسب ما قرأت.. السلطان عبد الحميد في البداية كان متحفز جدا ضد النديم وأستاذه الأفغاني بسبب الثورة العرابية ودعمهم للتيار القومي أولاً وأبو الهدى الصيادي ثانيا.. وصلت العداوة بينهم إلى استصدار السلطان فتوى من شيخ الإسلام عرياني زاده أسعد أفندي بكُفر عرابي ورفاقه ومن ضمنهم النديم والأفغاني طبعا.. وكان استقدامهم لإسطنبول ما هو إلا قفص ذهبي لتحجيمهم لا أكثر.

أبو الهدى الصيادي كان رجل سياسة من الطراز المنوفي.. أستاذ في دق الأسافين بين السلطان والأفغاني والنديم.. نشط جدا لما عرف انهم هيروحوا إسطنبول.. لكن لما السلطان تعرف على أفكارهم عن قرب وشاف منهم مواقف شجاعة.. وقف لأبو الهدى وقاله عن الأفغاني "انه رجل أدرك صحيح دينه".. ولما توفي النديم أمرله السلطان بجنازة رسمية يتقدمها عسكريين وكبار رجال الدولة للنديم على سبيل التقدير والاعتذار.

اذن يصح ان السلطان يكون أمر بدفن النديم في الجزء الخاص بيه في مقبرة يحيى أفندي.. مش معقول يعني راجل معمولة جنازة رسمية ومتوصي عليه من السلطان.. في الآخر يدفن في مقابر الصدقة.. ده إذا سلمنا من الأساس بوجود ما يسمى مقابر الصدقة في اسطنبول.

طرف خيط جديد في اللغز كله.. ناقشته مع الحرس وعرفت منهم معلومة ممكن تفيد..

المقابر المركزية وإدارة الأضرحة والمدافن التابعة لهيئة للأوقاف التركية.

Zıncırlikuyu Mezarlıklar Mudurlügü

طيب دي تنفعني في إيه؟

حسب كلام الحرس.. الناس دي عندها سجل تفصيلي عن المدفونين في مقابر إسطنبول.. سجلاتهم عمرها ٤٠٠ سنة وزيادة.. الموضوع ده هناك مفيهوش هزار ولا إهمال.

يا فرج الله.. النديم ميت من ١٢٢ سنة بس.. ومدفون في واحدة من أكبر وأهم مدافن إسطنبول.. يعني ممكن الاق......

بس بس.. بلاش نستبق الأحداث..

كلمتهم فعلا.. قدرت اعرف منهم انهم محتفظين بسجلات فيها كل المدفونين من أول الشيخ يحيى أفندي نفسه لحد آخر من دفن هناك في الستينات.. قبل ما المقبرة كلها تعتمد كأثر من آثار إسطنبول ويتمنع فيها دفن المزيد.. حاولت اعرف منهم ان كان النديم موجود فعلا عندهم أو لا.. أو أي معلومة أو طرف خيط يقربني من المراد.. لكنهم أصروا ان الموضوع ده يتطلب فتح سجلات حكومية قديمة.. ولن يتم إلا بأوامر من الأوقاف التركية.

كتر خيرهم.. ساعدوني بقدر المتاح لموظفين حكومة.. قفلت معاهم الخط وكلمت الأوقاف التركية.. التفاصيل هنا مش مهمة.. المهم هو إن آخر الكلام انهم مستعدين للتعاون بشرط ان الموضوع يتم بين الأوقاف المصرية والأوقاف التركية والتنظيم يكون عن طريق الخارجية التركية والخارجية المصرية.

بس كده.. طالما وصلنا للخارجية المصرية.. يبقى رشقنا في الحيط والحمد لله.

الوقت أزف منى وعندي طيارة لازم ألحقها.. خرجت من المقبرة وأنا حزين.. انتهت محاولتي للعثور على مقبرة النديم بطرف خيط جديد.. مقدرتش أوصل للمقبرة صحيح.. لكني مفقدتش الأمل.. ان شاء الله هسافر تاني أدور عليها في ظل المعلومات الجديدة.. بعد ما شفت المقبرة والعناية بيها أصبحت غير مؤيد لعودة النديم إلى مصر.. هو هناك في مكان أفضل.. لو أصبحت سبب من أسباب رجوعه مش بعيد بعد كام سنة اعيط في مقال تاني عن الإهمال اللي

بيتعرضله قبر النديم.. ولنا في مقبرة الكواكبي والشيخ العز خير مثال.. أصبحت متحمس لمعرفة المكان لزيارته ودعوة الناس إنها تترحم عليه.. نعرف بس هو فين.. مهما كان.. ده كان راجل في زمن عز فيه الرجال.

راجل محتاجين نقرأ سيرته كويس أوي اليومين دول.

لعل وعسى.



مدفن بهيجة خانم أفندي زوجة السلطان عبد الحميد الثاني – مقابر يحيى أفندي - بشكتاش



مقابر يحيى أفندي - بشكتاش

سبع بولاق

تسمعوا عن "جزاء سنمار"؟

ده مثل عربي بيتقال في النذالة وسوء الجزاء.. ينسب إلى أيام النعمان بن امرؤ القيس لما رمى مهندسه سنمار من فوق أبراج قصر الخورنق المنيف علشان يضمن ان محدش غيره يعرف سر أنفاق القصر ولا يقدر سنمار يبني قصر تاني زيه لحد تاني.

جزاء سنمار مقبول من الملوك لأنهم في العادة رمم.. إنما الناس العادية تعمل كده مع بعضها ليه؟

◈◈◈◈◈◈◈

افتكرت الحدوتة دي وأنا براجع سيرة واحد يوناني اسمه برتليمو يني كان بيشتغل عند محمد بك الألفي في أيام الفرنسيس.. جميل راتب كان عمل دوره في فيلم يوسف شاهين "وداعا بونابرته".. المصريين نطقوا اسمه برطلمين.. وعلشان وشه كان احمر بزيادة اشتهر بإسم فرط الرمان.

القصة المكررة مع كل احتلال.. أبطال تتولد من العدم وخونة تطلع من تحت التراب.. وقت ما الشيخ السادات كان بينظم صفوف الناس للحرب.. المعلم يعقوب حنا وفرط الرمان اترموا في حضن المحتل علشان يعينوه على ظلم المصريين.. الفرنسيس أوكلوا لفرط الرمان كل الأعمال شديدة القذارة.. تخيل يا مؤمن ان الناس لما كانت تضج من فرط الرمان.. كان الفرنسيس يغيثوهم ويرحموهم من الوحش الآدمي ده زي ما قال كريستوفر هيرولد في كتابه "نابليون في مصر".

فرط الرمان تألق في قتل سليمان الحلبي.. أبدع في تعذيب الشيخ الجوهري.. تفنن في إهانة الشيخ السادات.. كم مهول من الكراهية تكتشفها في تصرفاته.. الشيء اللي يخليك تسأل..

وانت إيه اللي مقعدك فيها وانت كارهها بالشكل ده!!!

كليبر كان دموي مجنون اكتر من ريسه.. طلع يحارب الأتراك في عين شمس وساب فرط الرمان يقرف الناس بأفعاله القذرة اللي فاقت كل احتمال لحد ما شرارة العصيان ولعت في بولاق في أغسطس سنة ١٨٠٠م. الناس شافت فرط الرمان اترقى وبقى كتخدا مستحفظان القاهرة وبدأ يستولى على بيوت الأكابر ويعيش فيها.. يخرج على الناس كل يوم في أزهى ملابس وهو شايل أشولة فيها رؤوس الفلاحين يهادي بيها أسياده الفرنسيس.. يجري وراه العيال يقتلهم وهما بيهتفوا "الله ينصر السلطان ويهلك فرط الرمان".. قالوا مبدهاش بقى.. يا إحنا يا فرط الرمان.

وكانت ثورة القاهرة الثانية..

فلاحين فقراء.. الجهل والمرض نخل أجسامهم وبهدلهم.. العثمانلي خد معاه مصر للحضيض.. مراد بك والمماليك "حكام مصر الفعليين" عايشين في دنيا تانية خالص.. دنيا زي المانجاية اسمها نفيسة البيضاء.

صعيدي مستبيع.. دمه حامى وراسه زي الزلط قدر ينظم الصفوف ويقف بقوه قصاد المستعمر زي ما وقف بالناس قبل كده قصاد على بك الكبير.. عمر مكرم مكانش مجرد واحد رافض الاحتلال.. عمر مكرم كان فكرة مش ممكن تموت أبدا ولو انتهى كل الزمان.

شهبندر التجار احمد المحروقي تولى الأمور المالية.. كبار المشايخ قلبت بيوتها غرف عمليات.. الشباب شالت السلاح والفتوات رفعوا النبابيت وحولوا حياة الفرنسيس جحيم.. الناس عملت متاريس على مداخل الحارات والشوارع.. ٣ مدافع تركية اتنصبت على أسطح البيوت.. سنج الموازين اتحولت إلى طلقات للمدافع.. بالجهود الذاتية الناس عملت مصنع بارود في الخرنفش.. كان واضح تماما ان الثورة كبرت في دماغ الناس وخلاص.. ارحل يا كليبر ويسقط حكم الفرنسيس.

رجع كليبر من عين شمس بعد ما هزم العثمانيين لقى مقر القيادة بتاعه في الأزبكية انضرب وبولاق بقت ثكنة عسكرية اللي يقرب منها مبيرجعش.. رغم انه كان أقوى في التسليح وأكثر في العدد إلا ان الخوف كان عامل فيه عمايله.. لجأ للحيلة وللنذل مراد بك.. عينه حاكم على الصعيد في مقابل شق الصف

الثوري المصري.. رضي مراد بك بالاتفاقية وكمان مول جيش كليبر بالسلاح والمؤن ضد أهل القاهرة اللي عاش وكبر واغتني وسطهم.

اسفخص عليه راجل وسخ..

نصب كليبر المدافع واشتغل الضرب في بولاق ٣٠ يوم كاملة.. منع عنهم الميه والأكل.. دك البيوت والمتاريس والحصون لحد ما النار ولعت في مخازن الغلال والمحلات والميناء العظيمة جدا.. خرجت النار من بولاق على باقي أحياء القاهرة.. البلد ولعت حرفيا وكليبر مش في دماغه.. لازم يسلموا يعني لازم يسلموا.

الأيام العظيمة دي بيحكي عنها المؤرخ الفرنساوي جالان في كتاب "صورة مصر في أثناء إقامة الجيش الفرنسي"..

"أنذرت بولاق بالتسليم فرفض أهلها كل إنذار وأجابوا بإباء وكبرياء انهم يتبعون مصير القاهرة وانهم إذا هجموا فأنهم مدافعون عن أنفسهم حتى الموت فأخذ الجنرال فريان يحاصر المدينة ويصوب إليهم الضربات بمدافعه لكنهم رفضوا التسليم وأجابوه بضرب النار ببنادقهم الصغيرة واستمر القتال فجعلنا منطقة بولاق ضراما وأسلمناها للنهب والسلب وصار أهلها عرضة لبطش الجنود وتنكيلهم وسالت انهار الدم في الشوارع"

بس للأسف بسبب فرق التسليح وكتر الخراب اضطر الناس لقبول شروط التسليم وحقن الدماء.. اتصدر المفاوضات مشايخ زي الشرقاوي والمهدي والسرسي والفيومي.. الناس اتهمتهم بالعمالة لمصلحة الفرنسيس لما خضعوا لشروط كليبر بفرض غرامة ١٢ مليون فرنك على القاهرة و٥٠٠ ألف ريال على بولاق ومليون فرنك على مشايخ الأزهر وعلى رأسهم الشيخ السادات وإلزام الناس بتدبير ٢٠ ألف بندقية و١٠ آلاف سيف.. ده غير تسليم أهالي بولاق للخشب والحبوب والمؤن والسلاح كله لعسكر الفرنسيس.. كل ده في مقابل انه يحميهم بس.

كل دي فلوس!!

بقى هي دي فرنسا؟ شوية حرامية مش اكتر؟

أمال إيه الحضارة وبلد الحريات ومدينة النور والمش عارف إيه؟؟

"ضحكة رقيعة"

طيب كليبر هيحمي المصريين من مين علشان ابقى فاهم بس؟

من المماليك حضرتك.. ما هما أساسا جم من فرنسا علشان ينقذونا من المماليك.. كل اللي عملوه في مصر ده مقصود بيه المماليك اللي هما اتفقوا معاهم علشان يحكموا الصعيد ويسيبوهم ينفخوا المصريين.

ااااه.. المماليك.. قلتلي.

طيب.

بعد ما تمكن كليبر من إخماد الثورة.. طبعا طبعا طبعا لحس كلامه.. قبض على الشيخ السادات وأمعن في تعذيبه وإهانته وهو نقيب الأشراف.. وده تحديدا اللي خلي سليمان الحلبي يقتله.. وباقي القصة المعروفة.

الفترة بقى بين إخماد الثورة وقتل كليبر.. انطلق عسكر كليبر زي المجانين يدوروا على شخص بعينه.. واحد الناس كانت بتردد اسمه مع لقبه زي الأساطير..

شفت سبع بولاق عمل إيه؟

سمعت آخر أخبار سبع بولاق؟

وسبع بولاق يبقى شخص اسمه الحاج مصطفى البشتيلي.

مين الراجل ده.. أنا أول مرة اسمع اسمه..

من اسمه باين انه من قرية بشتيل "إمبابة".. الجبرتي بيقول انه كان راجل غني أوي من تجارة الزيوت والعطارة.. لما قام التمرد في بولاق هو كان أول واحد ينظم الصفوف ويفتح بيته للمساعدة.. حط فلوسه في خدمة الأهالي وصرف كل اللي حيلته تقريبا على أكل الناس وشراء السلاح وحرب الفرنسيس.

بس مش ده اللي خلى كليبر مبقوق منه أوي كده..

كونه عطار وتاجر زيوت.. طبيعي يبقى في بيته براميل خشب بالهبل لزوم خزين البضاعة.. الحاج مصطفي كان بيملى البراميل بارود ويعديها من حصار الفرنسيس عيني عينك كده.. تاجر بالنهار ومجاهد بليل يحول حياة العسكر لجحيم بزيته وباروده.. هو اللي مول مصنع بارود الخرنفش وهو اللي ولع في مقر كليبر في الأزبكية وهو اللي جاب قلعة كامان الأرض لما طلع عليها هو ورجالة بولاق.. ودي قلعة مكانها حاليا كوبري الليمون في رمسيس.

كليبر مقدرش يقبض على الحاج مصطفي.. بس الخونة جيرانه راحوا عند كليبر وقالوله إلحق.. الحاج مصطفي مخبي البارود في براميل الزيت.. مكدبش كليبر الخبر وبعت فرقة عساكر كاملة تقبض عليه.. ماهو مش ناسي انه لما استهان بيه قبل كده وبعتله كام عسكري ومستشار للصلح بعد حرق قلعة كامان.. الحاج مصطفي رجعله رؤوسهم في أكياس.

بالوشاية وقع الحاج مصطفى في ايدين من لا يرحم.. فرط الرمان زي ما يكون ما صدق وقع على فريسة في وقت الكل بيقول ياللا نفسي.. اللي فلت من مدافع كليبر مفلتش من سجونه.. بعض المشايخ بدأت تشكك في جدوى المقاومة خصوصا بعد ما السلطان العثماني خسر قصاد كليبر.

- نعمل إيه في البشتيلي يا برتليمو؟
- نضربه ألف جلدة.. بعدين نسلخ فروة رأسه.. وبعدين نقطع أطرافه الأربعة ونقليها في الزيت قبل ما نرميها للكلاب.. وبعدين نقطع رقبته.. وبعدين نحرق جثته ونرمى الرماد في الزبالة
- ونعمل منه بطل شعبي زي محمد كريم في إسكندرية كده؟؟ انت حمار ياض؟
- يؤمر سيدي كليبر وأنا أنفذ.

وتفتق ذهن كليبر عن خطة سم يدمر بيها الراجل وسيرته..

جمع كليبر المشايخ الوسخة وأقنعهم ان كل ما أصاب بولاق من خراب ودمار سببه الشيخ البشتيلي وباروده اللي كان مخزنه في البيت.. كان ممكن تفادي الخراب ده لو مكانش حاربنا.. والمشايخ تردد وراه.. آه.. البشتيلي غلطان.

يبقى نفضحه يا رجالة..

نفضحه يا مون بيه..

"الولية عضت إيدي وأنا بخنقها.. تقولش عدوتها" المجاهدة ريا بنت همام في فيلم ريا وسكينة.

واتحكم على المجاهد بالتجريس.. ركب الشيخ مصطفى البشتيلي الحمار بالمقلوب ولفوا بيه شوارع بولاق والقاهرة مع منادي يحكي حكايته المكذوبة.. تصرف طبيعي ومفهوم من الجنرال الدموي.

لكن اللي مش مفهوم هو رد فعل المصريين.. إزاي صدقوا الحكاية دي وبقوا يتفوا على الحاج مصطفي ويحدفوه بالطوب والطماطم والبيض؟؟

مين جاله قلب يشيل نبوت وينزل بيه على دماغ الحاج مصطفي علشان يقع الراجل على الأرض سايح في دمه؟

مين ضميره سمحله انه يضرب الراجل المصاب المتكوم على الأرض بالرجول لحد ما يطرش دم من بقه ويموت؟

بقى الراجل بعد ما رفض يعيش ملك بفلوسه المتلتلة وقرر يضحي بنفسه علشان البلد.. قوموا تعملوا معاه كده؟

أخص عليكوا..

الله يرحمك يا شيخ بشتيلي.

مفيد أبو الغار

لما فارقنا الجميل جميل راتب.. افتكرنا مسلسله الرائع الراية البيضاء وشخصية السفير السابق مفيد أبو الغار مالك الفيلا التراثية محل طمع المليونيرة السوقية فضة المعداوي.. صراع الجمال والفن ضد الهمجية والقبح.. الصراع الأزلي في مصر في الدفاع عن كل ما هو جميل ضد كل ما هو قبيح.

كانت جميلة أوي فيلا مفيد أبو الغار.. ذوقها راقي كده وفيها ريحة أيام حلوة للأسف راحت ومش راجعة تاني.

تعرفوا ان قصة المسلسل ده -بحذافيرها- حقيقية؟

طيب تعرفوا ان فيلا مفيد أبو الغار في المسلسل اتهدمت في الحقيقة بنفس الطريقة اللي اتهدمت بيها في المسلسل؟

وجع قلب.. مش كده؟

طيب تعرفوا مين صاحب الفيلا الحقيقي؟

نرجع بالزمن شوية لأيام الأبيض والأسود.. أيام الملكية.. تحديدا سنة ١٩٠٢م.

◈◈◈◈◈◈◈

السنة دي كان الخديو عباس حلمي الثاني والقصر مشغولين بالخناق مع الإنجليز.. الناحية التانية من المجتمع بقى في السنة دي اتخرج من المهندسخانة شاب طموح ذكي من النوع صاحب الكاريزما.. شاب اسمه عثمان محرم.

الفترة دي الهندسة فيها كانت حاجتين.. يا مدني يا معماري.. كله يخضع في النهاية لوزارة الأشغال العمومية.. المهانداس "على رأي زنوبة في دعاء الكروان"

كان هو الكل في الكل.. وصاحبنا عثمان محرم ده كان مهندس أوي.. مهندس جدا.. مهندس بشدة ان جاز القول.

من مهندس ري في المحلة الكبرى إلى مسئول الري في وزارة الأوقاف إلى كبير مهندسين مركز السنبلاوين إلى مفتش عموم ري الفيوم إلى كبير مساعدي البشمهندس الإنجليزي المسئول عن الأشغال العمومية في مصر.. ثم إلى خلط السياسة بالهندسة ومنصب وزير الأشغال العمومية في مصر المحروسة في ١٤ وزارة قبل الجيش ما يشقلب الدنيا سنة ١٩٥٢م.

الوزارات كانت تروح وتيجي.. الوفد يكسب أو مصر الفتاة يحكم.. الخديو يشيل الوزارة أو الوزارة تستقيل.. ييجي معتمد بريطاني مكان كرومر أو مصر يبقى لها دستور مستقل سنة ١٩٢٣م. تقوم حرب عالمية أولى وثانية.. العثمانيين ينتهوا ومصر تشتعل بتيار القومية والوطنية.. الدنيا تتشال وتتهد.. كل ده واتفق كل العالم دي على ان الأشغال في مصر.. يعني عثمان باشا محرم.. رجل قدر يحوز على ثقة احمد زيوار باشا وسعد باشا وعدلي يكن باشا وعبد الخالق ثروت باشا والنحاس باشا.. كلهم ملقوش في بر مصر حد بيحب الأشغال والأشغال بتحبه زي عثمان باشا محرم.

لما تقرأ كتاب "عثمان محرم.. مهندس الحقبة الليبرالية المصرية" للدكتور محمد الجوادي.. هتتصدم من كم المشاريع والإنشاءات اللي عملها الراجل ده.. هتعرف ان هو اللي زود ارتفاع خزان أسوان وهو اللي أعطى قبلة الحياة لقناطر محمد علي الخيرية بعد ما كانت انتهت تقريبا.. وهو اللي عمل قناطر قبلي بتاعة أسيوط.. وهو اللي عمل قناطر فارسكور الموجودة على فرع النيل في دمياط.. ده غير خزانات المية ومحطات الري.

وهتعرف كمان انه عمل محطة كهرباء شمال القاهرة ومحطة كهرباء الفيوم ومحطة كهرباء قنا ومشروع توليد الكهرباء من خزان أسوان ومحطات الصرف الكهربائية في وجه بحري.

أما عن الكباري.. فياريت تفضيلي نفسك شوية لأن الراجل ده عمل كتير في الحتة دي.

عند مدخل كل قرية أو مركز واقع على ضفاف النيل عمل عثمان باشا كوبري علشان يربط ضفتين النيل ببعض ويسهل على الناس حركة المرور والتجارة.. قلب الكباري الثابتة إلى متحركة علشان يسهل الملاحة.. الملفت للنظر ان كم الكباري المهول اللي عمله عثمان باشا محرم ده كان بدون ترخيص ورقي من الوزارة نفسها.. الراجل كان بيستغل سلطته كوزير ويعمل اللي هو شايفه في صالح الناس.. شغل الورق والوزارة والروتين ده يبقى ييجى بعدين.. المهم ان الناس حياتها تتحسن أولا.

وسبحان الله يا أخي.. سعيه الدءوب لخدمة الناس.. كان هو السكينة اللي حاولوا يذبحوه بيها بعدين.

أقولك حاجة كمان؟

تعرف شارع بورسعيد.. أطول شوارع القاهرة اللي جايب من أول الخصوص لحد فم الخليج في المنيل؟

تعرف شارع الهرم؟ اهو ده طبعا معروف من غير أي كلام.

طيب شارع قصر العيني أو شارع الأزهر؟

تعرف ان شارع الجيش اللي جايب من العتبة لحد العباسية كان اسمه شارع الأمير فاروق لما عملوه سنة ١٩٣٢م وبعد ١٩٥٢م بقى اسمه شارع الجيش؟

طيب.. تعرف بقى ان ال ٥ شوارع دول.. اللي عملهم هو عثمان باشا محرم؟

تعرف تروح الطالبية "في الهرم".. مش واخد بالك ان أكبر شارع في الطالبية اسمه شارع عثمان محرم؟

طيب بالمرة بقى وانت في الطالبية.. بص كده على مبنى شركة "سيد" بتاعة الكيماويات؟ حاجة فخيمة أوي.. فيلا قديمة كده مبنية على الطراز المصري القديم "الفرعوني"؟؟

مش كده؟

أهي دي تبقى الفيلا اللي بناها وعاش فيها عثمان باشا محرم.

وخد دي كمان.. طريق الأوتوستراد اللي ربط حلوان والمعادي بالقاهرة.. يبقى فكرة وتخطيط الباشا عثمان.. اللي عملوه بعد كده انهم خدوا ورق المشروع بختم الباشا.. وادوه لعثمان آخر "عثمان أحمد عثمان" وقالوله اشتغل.

راجل بتاع شغل صحيح.. كان بينزل يلف بنفسه على الدوائر والابعديات والمشاريع المفتوحة في الوزارة.. يقعد ياكل مع العمال ويصلح أخطاء مهندسين المواقع.. يتابع الشغل أول بأول من ارض الواقع مش من التقارير.

طيب هو كله شغل كده؟؟ مفيش أي لمسه جمالية خالص؟

مين قال؟؟

تعرف ان عثمان باشا كان السبب في وجود تمثال نهضة مصر "الموجود قصاد جامعة القاهرة" وتمثالين سعد زغلول في القاهرة والإسكندرية وضريح مصطفى كامل الأولاني اللي كان في ميدان القلعة قبل ما يتنقل الإمام الشافعي.. وضريح سعد زغلول الموجود في شارع الفلكي؟

حكاية سعد زغلول دي بالذات ليها حدوتة غريبة أوي توريك إزاي عثمان باشا محرم كان راجل له هيبة وكلمة على الحكومة.

القصر اعترض على إنشاء تمثالين وضريح لسعد باشا في الوقت اللي مفيش لمحمد علي وإبراهيم باشا إلا تمثال واحد بس.. الانجليز طبعا خدوا صف القصر ومن وراهم إسماعيل صدقي باشا رئيس الوزارة "كلهم الأول في مصر".. كل دول كانوا قارشين ملحة سعد باشا بسبب لمة الناس حواليه.. خصوصا اللي اسمه إسماعيل صدقي ده.. راحوا قالوا خلاص.. إحنا نعمل الضريح ده للرموز كلهم مش لسعد باشا بس.. اهو يبقى حاجة كده زي مقبرة العظماء في الحي اللاتيني في باريس.

عثمان باشا خد في صفه السيدة صفية زغلول "أم المصريين" ووقفوا ضد الموضوع ده تماما.. ضريح سعد باشا لسعد باشا لوحده.. وسعد سعد يحيا سعد..

وكان ما أراد عثمان باشا محرم.

بعيد بقى عن شغله كمهندس.. الراجل ده اشتغل كتير أوي علشان تبقى في نقابة للمهندسين تحميهم وتدافع عن حقوقهم وتديهم معاشات في حالات الوفاة أو الإصابات المعجزة.. قبل ما يبقى في نقابة هو اخترع فكرة صندوق الزمالة اللي بيلموا فيه من بعض علشان المصابين أو الأرامل أو الأيتام.. قدر يلم ٤٥٠٠ جنية لأرملة مهندس توفي في أثناء إنشاء محطة كهرباء الفيوم.. المبلغ ده كان ضخم وقتها لدرجة ان الست اشترت بيت كامل وقدرت تصرف على تعليم أولادها منه لحد التخرج.. والملفت انه جمع المبلغ ده في الوقت من خروج جثمان المهندس المتوفى من بيته إلى الصلاة عليه ثم الدفن.

ومن الموقف ده اشتغل عثمان باشا محرم على مشروع الإسكان الشعبي.. والكيان الرسمي لنقابة المهندسين.. علشان يستحق عن جدارة لقب "شيخ المهندسين المصريين".

حاجة تلخبط والله.. لما هو عمل كل ده.. أمال سيرته مش معروفه ليه؟

ممكن متصدقنيش أو تقول عليا مأفور لو قلتلك انه حكم الظباط..

والله أبدا..

اللي حصل ان الجيش لما قلب الملك.. بدأ حملة موسعة من شقلبة كل حاجة في البلد.. المصطلح اللعين بتاع "العهد البائد" خد في رجليه كل حاجة حلوة ووحشة.. ناس كتير تأذت واتهانت "بالظلم" بسبب كلمة العهد الزفت دي ومن ضمنهم – صدق أو لا تصدق- توفيق الحكيم.

توفيق الحكيم.. الأديب العظيم.. مدير دار الكتب.. يترفع مذكرة كيدية من موظف زبالة انه ضد النظام.. فيتحول للمحكمة.. إيه القرف ده!!

في الأول قالوا محكمة الثورة علشان الفلول.. بعدين قالوا محكمة الشعب لما خلصوا على فلوس الباشوات.. واللي فلت من دول خضع لمحكمة أقذر من الاتنين اسمها محكمة الغدر.

وكان من ضمن اللي خضعوا لمحكمة الغدر دي.. عثمان باشا محرم..

اللي يضحك بقى هو استهانة الجبابرة بالقضاء للدرجة اللي تخليهم يحولوا القضاء إلى مسخرة.. تحولت محاكمة عثمان باشا محرم إلى شهادة في حقه من كل الأطراف اللي اشتغل معاها.. أجمع كل الناس على نزاهة الرجل ونظافة يده وسيرته المالية الطاهرة.. هو نفسه مخدش أي دفاع.. سابهم يهروا مع نفسهم وكان بيسافر يتعالج في كارلزباد "كاليفورنيا" ويرجع تاني يطمن على مشاريعه الخدمية.. ويشاء ربنا ان من ضمن الشهود على نزاهة الرجل وطهارة سيرته.. أحمد عبود باشا.. حوت السكر.. الراجل اللي عثمان باشا كسر مناخيره وخلاه يدفع غصب عن بوذه ١٠ آلاف جنيه غرامة لنقابة المهندسين لأنه استخدم لقب مهندس وهو لا كان مهندس ولا بطيخ.

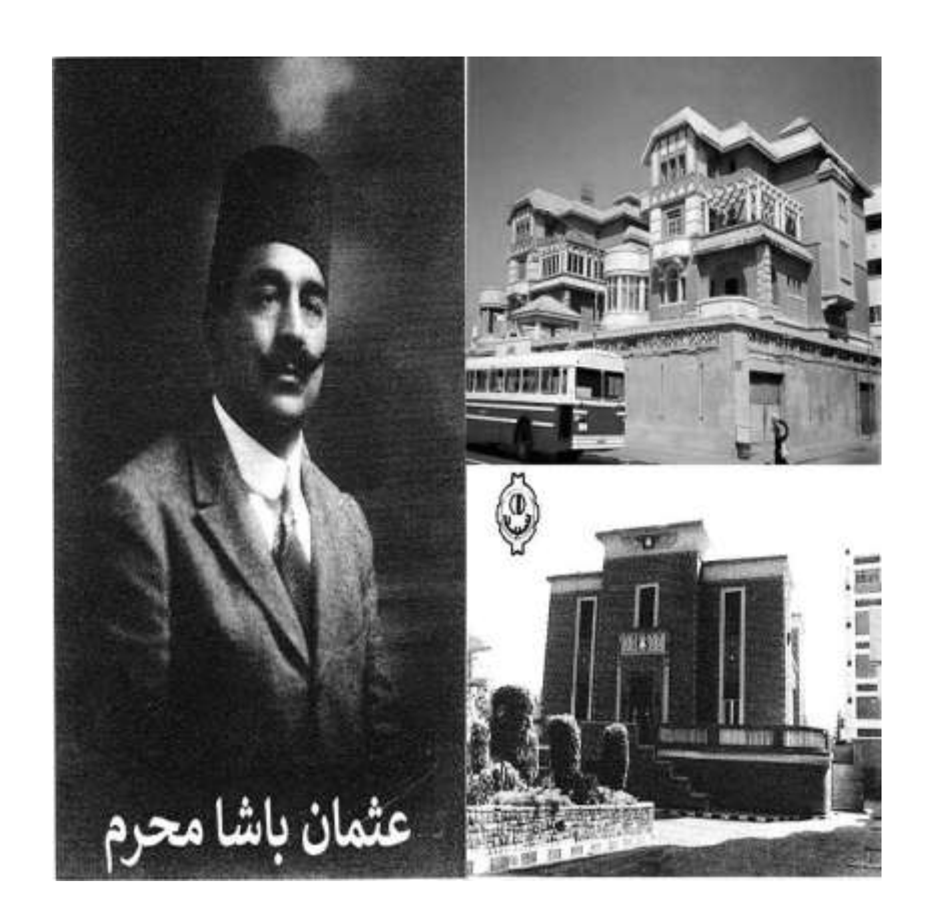
مات عثمان باشا سنة ١٩٥٨.. الناس نسيته.. حتى الفيلا بتاعة إسكندرية هدمتها فضة المعداوي.

مات وساب البلد وكان فيها لمسة حلوة..

أحسن انه مات قبل ما يشوف عملوا فيها إيه..

كان زمانه مات بالسكتة.

ربنا يرحمه ويرحمنا.


عثمان باشا محرم

أنا مصطفى دالي.. انت مين؟

خلينا نتفق على حاجة..
الفترة بتاعة علي بك الكبير وعمر مكرم والحملة الفرنسية والنص الأولاني من أيام محمد علي مش هنلاقي أحسن ولا أدق من تأريخ الجبرتي المعروف بعجائب الآثار في التراجم والأخبار.. إلى حد كبير جدا الجبرتي كان موضوعي تماما في الحكي عن والحكم على محمد علي.. الواحد فعلا مش بيعرف قيمة الجبرتي إلا لما بيقرا لمؤرخين تانيين.. ساعات بحس ان المؤرخ من دول مش ناقص إلا انه يقول عن سلطان ما "عليه الصلاة والسلام" لولا العيبة بس.
محمد علي كان شديد في كل حاجة الحقيقة.. الشغل والقسوة والحرب والحب والسياسة.. الراجل ده فعلا كان متطرف في مشاعره.. شكله كان برج الحمل.. كل من أدرك مفتاح شخصيته اتبسط جدا.. وكل من قال تلت التلاتة كام "حرفيا".. اكتشف بعدين ان المرجيحة مش حلوة أوي ولا مريحة.
يعني مثلا لو تقرأ كلام علي باشا مبارك عن محمد علي.. مش هتلاقيه بيقول إلا "العزيز محمد علي".. بينما واحد تاني زي الإمام محمد عبده بلغ بيه إنكار كل إنجازات محمد علي إلى درجة ان النهضة الطبية ومدرسة الطب اللي هي بقت قصر العيني دلوقتي.. قالك هو أساسا كان عاملها للجيش مش للشعب.. طيب ما هي بتعالج الشعب برضه والطب اتطور.. قالك لا.. هو راجل ابن تيت برضه..
طبعا ده تطرف – سواء في المدح أو الذم – الرأيين لا يعتد بيهم.. علشان كده دايما أميل إلى رأي الجبرتي.. الجبرتي مثلا ذكر ذكاء محمد علي في تشجيع ودعم أصحاب الأفكار والناس اللي عايزة تشتغل.. زي حكاية حسين شلبي عجوة بتاع البحيرة مثلا.. الراجل ده اخترع ماكينة تضرب وتبيض الرز وتوفر وقت وفلوس.. الجبرتي نقل كلام محمد علي بالنص لما قال عن المصريين "ان فيهم نجابة وقابليه للمعارف" الجملة دي برأت محمد علي مثلا من أكاذيب ادعت انه كان بيحتقر المصريين.

لما محمد علي حفر ترعة المحمودية.. الجبرتي ذكر بالتفصيل ان كان في ضحايا للسخرة في الشغل بس قال برضه انه بسبب الترعة دي ظهرت محافظة البحيرة كلها وعمرت إسكندرية وكانت مشروع هائل زق مصر للأمام زقة كبيرة.
الجبرتي كمان ذكر كذب الأسباب المعلنة في حرب محمد علي مع الوهابيين.. السياسة قالت ان الوهابيين منعوا الحجاج وعلشان كده هنحاربهم.. الحقيقة مكانتش كده.. الحقيقة ان الباب العالي خاف من خسارة الحرمين ومعندوش حيل يحارب فبعت محمد علي يرجع كل حاجة لأصلها.. الوهابيين مرجعوش الحجاج ولا حاجة.. الجبرتي قال كده بالنص.. الحجاج اللي رجعوا هما إلى معاهم سلاح وطبل وزمامير ورقص وآخر حلاوة..
الجبرتي اختصر خناقاته مع محمد علي في كلمتين قالهم في ساعة روقان..
"لو تميز هذا الألباني بالعدالة.. لصار أعجوبة عصره".
حياة الجبرتي مع محمد علي كانت كده.. شوية إشادة وشوية تلسين.. شوية شكر وشوية لعنات.. الإطار العام كان الأنصاف.. بعض الأوقات لسان الجبرتي كان بيفلت بنصيحة كده وللا الشة كده ومحمد علي كاتم في قلبه وساكت.. الجبرتي برضه مش شوية.
عندك مثلا حادث وفاة أخو مرات محمد علي.
لو دخلت حوش الباشا في الإمام الشافعي.. في وشك علطول هتلاقي مقبرة شفق نور هانم.. سيبك منها وادخل شمال في أول غرف الدفن.. هتلاقي اوضة برونز كبيرة على اليمين.. دي تبقى بتاعة أحمد طوسون باشا ابن محمد علي.. ادخل فيها وعدي قبر طوسون الموجود في نص الأوضة البرونز.. نط من الشباك الوراني.. لو لقيته مقفول افتحه متقلقش مش هيتكسر.. ٢٠ جنيه للست اللي واقفة على راسك هتخليها تقفل عليك باب المقابر من بره وتطنش تماما وجودك ان شالله حتى تشيل قبر منهم على كتفك وانت ماشي.
هتلاقي قبر كبير أوي قصادك على اليمين علطول.
القبر ده جابلي جنان حرفيا.. قبر كبير في مكان مميز وشكل صاحبه كان رجل مهم فعلا.. المكتوب كله بالتركي.. ومش أي تركي.. ده تركي من بتاع زمان.. يعني الكلمتين اللي عرفتهم من حريم السلطان وقيامة ارطغرل مش هينفعوا.

ده يبقى قبر مصطفي بك دالي([11]).. أخو مرات محمد علي.. الضابط المتوفى في ١٢ مايو ١٨١٦م.
مصطفي بك دالي وصل مصر ونط على محمد علي.. سنين حكم محمد علي الأولى نقدر نختصرها في كلمة الفتونة.. كان عفيجى أوي وايده سابقة لسانه.. كان عنده فرقة عثمانلية اسمها الدلاه.. ال ٧٧٧.. دول كانوا وحوش متنكرة في صورة بشر.. على فكرة.. كلمة دالي بالتركي معناها المجنون أو المتهور.. محمد علي ملقاش انسب من مصطفى بك أخو مراته علشان يمسكه فرقة المجانين دي.
ليه بقى؟
لما تقرا كلام الجبرتي في وصف مصطفى بك.. اللي بقى اسمه مصطفى بك دالي لانتسابه لفرقة الدلاه.. هتقدرليه محمد علي عمل كده.
الجبرتي بيقول عنه:
"انه كان موصوف بالإقدام والشجاعة.. جسيما بطينا يأكل التيس المخصي وحده ثم يشرب عليه الزق من الشراب ويتبعه بشاليه "جردل" أو اثنين من اللبن.. ثم يستلقي نائما مثل العجل العظيم ذو الخوار".
لقد سمعت انه يأكل خروفين على العشاء "بصوت الراجل الهفأ بتاع فيلم الناصر صلاح الدين".
طيب نفهم من كلام الجبرتي إيه؟
ان مصطفى بك دالي كان شديد القوة الجسدية.. بكرش وبياكل كتير وبيشخر وهو نايم.. ومن باقي الوصف هنقرأ برضه انه كان جدع وبيقف في الأزمات وايده في بق الجعان.. راجل مرعب شديد القوة واللامبالاة وتحت طوع الباشا.. كان مربى الرعب للعربان والبدو اللي جننوا المماليك.. كان كل شوية يعمل عليهم طلعات ويلم منهم فلوس بالهبل.. محمد علي طبعا باصص للموضوع من زاوية نفعية بحتة.. راجل زي ده كله منافع.. رئيس فرقة مرعبة.. بيملى الخزينة فلوس وفى حكم المبتدأ برضه مننا وعلينا بحكم انه اخو المدام.
علشان كده لما مات كانت صدمة جامدة أوي لمحمد علي واتنكد نكد رهيب.. ناخد بالنا هنا ان الكلام ده كان سنة ١٨١٦م.

(١١) يرجع الفضل في تحديد ماهية مقبرة مصطفي بك دالي للدكتور حامد محمد حامد

يعني بعد ٥ سنين من مذبحة القلعة اللي كسرته نفسيا ومراته الأثيرة "أمينة هانم" هجرته بسببها.. وفى نفس السنة اللي مات فيها ابنه طوسون.. صحيح مصطفى بك مات قبل طوسون "الحزن الكبير في حياة محمد علي" لكن طوسون كان وقتها لسه راجع من الحجاز والأخبار مش تمام.
مصطفى بك دالي مات في إسكندرية.. عملوله تابوت مخصوص علشان حجمه المرعب.. غسلوه ودهنوه بالزفت علشان ريحته متطلعش.. ماهو أصل الطريق من إسكندرية للقاهرة كان بياخد ١٢ يوم.. مكانش في ديزل وقتها.. لما وصل المدافن وفتحوا الصندوق التُربية أغمى عليهم من الريحة الفظيعة.. راحوا فارشين حصيرة على الأرض لفوه فيها ودألجوه جوا الحفرة وبنوا عليها الشاهد اللي أنا واقف جمبه في الصورة ده.
مين بقى كان المسئول عن الليلة دي كلها؟
سليمان أغا السلحدار.. صاحب المسجد الموجود في شارع المعز.. نفس الراجل اللي بلغه خبر وفاة طوسون بعد الأحداث دي ب ٤ شهور بالظبط.. هو اللي تولى مهمة نقل التابوت من إسكندرية ودفن مصطفى بك في المكان ده.. شكله كان راجل نحس فعلا.
لحد كده والحدوتة عادية.. واحد غير عادي مات واندفن.. إيه الملفت يعني؟؟
الملفت هو آخر ٤ كلمات كتبهم الجبرتي وهو بيسجل الحادث ده..
"وليس من يفكر أو يعتبر"
لما قريت الحتة دي نط في ذهني علطول عادل إمام في مسرحية الزعيم وهو بيستدرج رجاء الجداوي علشان تعايره بأصله وتنفي عنه كونه الزعيم الحقيقي لأنه خايف من زعيمة المعارضة المستخبية وراء الستارة بالمسدس.. رجاء الجداوي عمالة تعايره بأصله وهو بيتنطط ويقول..
"واخدلي بالك انت يا حاج إبراهيم"..
أهو كلام الجبرتي كان كده بالظبط.. الزغروف ده لمحمد علي مش للقارئ.
تمن حياد الجبرتي ولسانه الطويل كانت حياة خليل ابنه.. محمد علي كان عاوز مصطفى بكري مش مؤرخ.. الجبرتي رفض اكتر من مره التزييف.. كانت النتيجة ان عسكر محمد بك الدفتردار جوز بنت محمد علي استنوه بعد صلاة الفجر في شبرا وقتلوه وربطوه في رجل حماره وسحلوه في الطريق وسابوا جثته في الشارع.. صحيت الناس الصبح لقت خليل الجبرتي ميت وحواليه كتب وآلات

خاصة بالفلك.. ولا أجمل من كده موتة وسط الكتب وأدوات العلم.. نقلوا الخبر للجبرتي.. الراجل اتقهر على ابنه واتعمى من كتر الحزن.. انقطع خالص عن الكتابة واعتزل في بيته لحد ما مات سنة ١٨٢٥م. خصوصا بعد ما محمد علي زق عليه محمد بك الدفتردار تاني علشان يحرقله البيت والمكتبة ويضيع جزء مهم من كتابات الجبرتي عن الفترة دي.

أهو بسبب اللي حصل للجبرتي ده.. الناس بعدت عن كتابة التاريخ.. كله خاف على نفسه.. الباشا فعلا مش بيهزر.

ينعل أبو القهر.



قبر مصطفي بك دالي – حوش الباشا – الإمام الشافعي

قبة ومركب وسلسلة

كام مرة رحت زرت مسجد الإمام الشافعي؟

عنوانه سهل على فكرة.. أي ميكروباص على الكوكب ده لازم هيعدي على السيدة عائشة.. هتنزل هناك وتدي ظهرك للمسجد.. الشارع اللي في وش المسجد علطول اسمه شارع القادرية.. هتمشي فيه ١٥٠٠ متر بالظبط هتلاقي المسجد على ايدك اليمين.

ها.. وصلت؟؟

عنوان سهل خالص اهو..

بس خد بالك.. الأيام دي المسجد تحت الترميم.. بتوع الترميم بيقولوا إن قصادهم كمان ٦ شهور "يااارب يصدقوا المرة دي والشغل يطلع كويس".

عموما مش أزمة.. تقدر برضه تشوف اللي عايز اوريهولك حتى والمسجد بيترمم.

اقف قصاد المسجد وارفع راسك لفوق.. فوق كمان.. بص على القبة الكبيرة أوي دي.. القبة دي مبنية من الخشب المطعم بالرصاص.. بناها السلطان ناصر الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب.. اللي إحنا نعرفه بلقب الملك الكامل أو أبو المعالي.. طبعا بناها تعظيما وإجلالا لصاحب الضريح.. الضريح اللي بناه في الأصل السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي.

◈◈◈◈◈◈◈

على جمب كده.. الملك الكامل ده كان راجل ده غريب جدا على فكرة.. هو واخواته وقفوا للحملة الصليبية الخامسة زي الأسود.. اعملوا فيهم السيوف والرماح لحد ما فاقت خسائر الحملة مكاسبها المتوقعة.. الجماعة الخواجات قالوا لا ملوش لزوم بقى طالما الموضوع صعب كده.. بلاها.. ورجعوا على بلادهم تاني.. المفروض بقى إن الأخوات التلاتة يفضلوا ايد واحده.. المنطقة مهددة والاتحاد قوه اهو.. بس طبعا إزاي يحصل كده.. عيب في حقنا.. الأخوات

اتخانقوا ووصل حقارة الصراع بينهم إلى الاستعانة بالأجانب.. يمكن المعظم عيسى كانت مصيبته أهون شوية لأنه استعان بالسلطان جلال الدين خوارزم شاه "خال الأمير محمود بن ممدود اللي أصبح السلطان قطز لاحقا".. مش غريب يعني ومننا وبتاعنا برضه.. لكن الملك الكامل ده اللي كانت مصيبته سوده.. بعت للإمبراطور فردريك الثاني علشان يسنده في حربه ضد أخوه مقابل انه يرجعله بيت المقدس.

اخص على كده!!

إزاي الملك الكامل يعمل عملة زي دي وهو كان راجل محارب شجاع قوي عفيف عن الدم.. وشاعر ومحب للأدب والفنون ومعظم للطقوس الدينية؟؟

الله اعلم.

◈◈◈◈◈◈◈

المهم إن القبة دي جددها كل الناس اللي مسكت الحكم بعد كده تقريبا.

السلطان قلاوون والسلطان قايتباي والسلطان الغوري والأمير عبد الرحمن كتخدا وعلي بك الكبير والخديو توفيق والخديو عباس حلمي الثاني.. حتى في أيامنا الحالية بيتجدد دلوقتي اهو.. أي حد كان يحب يخطب ود المصريين.. يروح عامل شغل حلو في مسجد الإمام الشافعي معشوق المصريين الأول.. بالرغم انه أقام في مصر ٥ سنين أول عن آخر.

المهم بقى فوق القبة في إيه؟؟

الهلال المعتاد فوق القباب الإسلامية.. وسلسلة حديد.. وبعدين فووووووق خالص هتلاقي مركب.

مركب!!

اللي هو إزاي يعني؟؟

المركب دي اسمها العشارى.. دي كانت المراكب اللي بتمشي في النيل.. الأصل إنها كانت للأمراء واولاد الذوات.. بعد كده استخدمها التجار في نقل البضائع الخفيفة لأنها مش بحجم السفن الضخمة..

طيب.. ليه حاطين مركب أو شكل مركب فوق قبة الإمام الشافعي؟؟

اقروا معايا كده البوصيريسفينة رست البردة" كاتب عنها إيه..

بقبة قبر الإمام الشافعي سفينة   رست في بناء محكم فوق جلمود

ومنذ غاض طوفان العلوم بقبره   استوى الفلك من ذاك الضريح على الجودي

وفى كمان علاء الدين النابلسي قال فيها:

قد أصبح الشافعي الإمام   فينا له مذهب مذهب

ولو لم يكن بحر علم لنا   غدا وعلى قبره مركب

أما الرحالة عبد الغنى النابلسي في كتابه "الحقيقة والمجاز" قال عنها بعد ما زال مصر سنة ١٦٩٢م:

ورأينا على قبة الإمام الشافعي رضي الله عنه من جهة الخارج سفينة مربوطة بالهلال يوضع فيها الحب للطيور وقد قلنا في ذلك..

يا قبة للإمام الشافعي زهت   بها القرافة في مصر لهيبته

لو لم يكن بها بحر العلوم لما   سفينة الحب كانت فوق قبته

بينما علي باشا مبارك في الخطط التوفيقية قال إن المركب دي كانت تساع نص إردب حبوب.. يعني في حدود ٧٠ أو ٧٥ كيلو بالتقريب. وضحت الرؤية؟؟

المركب دي اتعملت رمز للأمام ذو العلم الغزير زي البحر.. القصد هنا إنك لما تبدأ تتعرف عليه "هتبحر" في علومه الغزيرة ومعارفه الواسعة.. ولاحقا بقوا يحطوا في العشاري حبوب وميه علشان الطير ياكل.. والسلسلة كانت علشان الناس تطلع تحط الحبوب والميه كل فترة.. رحمة ونور على روح الإمام الله يرحمه.

على فكرة.. في كتاب اسمه "تاريخ المساجد الأثرية التي صلى فيها الجمعة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول".. بتاع مفتش الآثار العربية الأثري حسن عبد الوهاب.. الكتاب تحفة بجد.. وقعت عليه بالصدفة.. انصح بيه بشدة.


المنظر الخارجي
ضريح الإمام الشافعي
٦٠٨هـ (١٢١١م)

الأرض المحروقة

جربت مرة تتكلم مع الأموات؟

لو سمعت بودنك صوت الميت بيرد عليك.. متفتكرش إنك بقيت مجذوب.. ده عادي جدا وياما حصل معايا أنا شخصياً.. عند قبر محمد علي وقبر عبد الناصر.. ياما السادات قاللي نكت تفطس من الضحك وياما وقفت متنح اسمع كلام سلاطين الشركس في صحراء المماليك.. ياما الميت جاوبني عن لغز بألغاز.. وياما الميت فكرني بحاجات تقهر.

في جولة سنكحة في مقابر الإمام الليثي.. وقفت بالصدفة قصاد قبر بسيط.. قريت المكتوب عليه لقيته "مراد بك الخولي".. حكمدار القاهرة أيام حريق يناير ١٩٥٢م. يااه عاش من شافك يا سيادة اللواء.. تعيش وتقولنا مين ابن الحرام صاحب المصلحة في تدمير ٧٠٠ مبنى من العباسية للهرم.. مين جاله قلب يولع في بلده كده.

وسمعت صوت اللواء بيرد عليا في عنجهية وغرور رجل الشرطة التقليدي.. ضحكة سمجة قاللي بعدها..

- وأنا مالي.. هو كل مصيبة في البلد.. يلبسها الحكمدار!!
- أمال نسأل مين سيادتك.. مش بعيد تكون انت اللي حرقتها.. زيك زي اللي حرقوا الفسطاط زمان.
- وهو أنا كمان مسئول عن حريق الفسطاط.. أنا معرفش أساسا انها اتحرقت.. هي مش دي الجنينة اللي في آخر صلاح سالم.
- الفسطاط يا دولة الباشا.. العاصمة اللي بناها عمرو بن العاص لما دخل مصر.. اتحرقت سعادتك.. اتحرقت لدرجة إن مفضلش من مدينة عمرها ٥٠٠ سنة.. إلا جامع يتيم.
- إزاي.. ومين حرقها..
- اسمع يا سيدي الحكاية.

محدش ينكر إن دخلة الفاطميين لمصر كانت دخلة أبهة وفخفخة.. ١٠٠٠ جمل محملين دهب بعتهم المعز لدين الله على مصر علشان يبدأ عمران وبناء قاهرة للزمن تحولت إلى قاهرة للناس مع تعاقب الجبابرة عليها.. قصور ملهاش أول من آخر.. عروش ذهب مطعمة بكل أنواع الأحجار الكريمة.. برك ميه مخلوطة بالزعفران والورد يغطس فيها الخليفة وحاشيته أول ما يقوم فرحان من النوم وهات يا لعب.. جواري وغلمان وحرير وديبقس وكل ما تشتهيه الأنفس من متع الدنيا.. الحياة كانت فل أوي مع الجماعة دول لحد ما حصلت المجاعة المشهورة أيام المستنصر بالله.. من بعدها مصر مبقتش هي مصر.

عصر الخليفة المستنصر بالله يعتبر آخر عهد الحكام الفاطميين بالحكم.. بعد موته سنة ١٠٩٤م مسك الحكم شوية عيال هفأ خالص.. ما بين واحد عبيط يقتله شوية رعاع.. إلى حاكم سوري في الكلمة "حاتم رشيد" يقتله اللي كان بيظبطه.. إلى حاكم تالت ماشي بأوامر وزيره.. إلى حاكم رابع ميعرفش من الدنيا إلا الجواري إلى حاكم أخير اتحط على الكرسي بدل أخوه الطفل بينما هو نفسه كمان كان طفل جاب داغ الدولة كلها.

الفترة من سنة ١٠٩٤م إلى سنة ١١٧١م هي منحنى سقوط الدولة الفاطمية في مصر.. تحديدا بعد ما بدأت سيطرة الوزراء على الحكم.. أو بقول أدق.. من وقت ما بدأت خناقات الوزراء على الحكم.

آخر الوزراء الأقوياء فعلا كان الصالح طلائع بن رزيك صاحب المسجد المواجه لباب زويلة حاليا.. من بعده مسك الوزارة ابنه العادل رزيك في زمن الخليفة العاضد لدين الله.. اللي لا كان عاضد ولا نيلة.. ده كان حتة عيل عنده ١١ سنة فاكر إن الحكم لعبة.. قعد يلبس الوزراء في بعض ويتفرج على خناقاتهم من بعيد وهو بيضحك ومش عارف اللي مستنيه.

بدأ الأكشن سنة ١١٦٣م. إحنا على بُعد ٨ سنين من أفول شمس الحكم الفاطمي.. حاكم الصعيد "قوص تحديدا" كان جدع قوي متمكن باصص لفوق اسمه شاور بن مجير بن نزار السعدي.. قدر يتغلب على العادل بن رزيك ويحبسه ويقعد على كرسي الوزارة بداله.. ولما بدأ يحس بقلق من ناحية العادل.. بعت ابنه "طي" علشان يذبحه.

قعد شاور على الكرسي مستقر ومأنتخ لمدة ٩ شهور بالظبط.. بعدهم طلعله خازوق اسمه أبو الأشبال ضرغام بن عامر بن سوار اللخمي..

وبدأ صراع شاور-ضرغام على كرسي الوزارة في مصر..

الصراع اللي حرفيا.. جاب الحكم الفاطمي الأرض.

يا أخي لو حبيت اختصر الأوساخ في الدنيا دي كلها لأسمين بس.. مش هلاقي ألعن من جوز الكلاب دول.. شاور وضرغام.

في صراعهم المحموم على الكرسي عملوا كل حاجة ممكن تتعمل وسقطوا كل السقطات الممكنة وارتكبوا كل أنواع المحرمات بداية من الكذب مرورا بالقتل والدم الحرام والنهب والسرقة وحتى الخيانة العظمي للدين وللوطن مع بعض.. خيانة مركبة قذرة مع كل الموجودين على الساحة وقتها.

إزاي بقى؟؟

أقولك.

أول الكلام كانت عركة سريعة بين الاتنين انتهت بانتصار ضرغام على شاور وقتل ابنه "طي".. في نفس السنة اللي شاور قدر يتغلب فيها على العادل بن رزيك.. الخليفة العيل عمال يتفرج من بعيد ويشجع "هيييه.. والنبي عيدوا اللعبة من تاني.. عاوز أشوف آخر جون".

العاضد سمي ضرغام "الملك المنصور".. بينما شاور بيتفرج عليهم ويعض في الأرض ويستحلف للاثنين.. ١٠ شهور قضاهم مستخبي من القتل.. بعدهم قدر يهرب على الشام.. في هناك الملك العادل نور الدين محمود بتاع الدولة الزنكية.. راجل ابن ليل وعترة ويعتمد عليه في الخناقات.. نروح نتفق معاه على ثلث خراج مصر "بعد مصاريف الجيش" إن هو قدرينصرنا على ضرغام.

طيب بالذمة مش دي خيانة لبلده ودينه؟

الكلام من وجهة نظر الفاطميين.. الدولة الزنكية كانت سنة.. انت راجل شيعي.. بتتخانق مع راجل شيعي في ظل حكم حاكم شيعي.. تروح تتفق مع راجل سني أجنبي علشان يدخل معاك البلد بالجيش في مقابل فلوس انت أساسا ملكش أي حق في التصرف فيها لأنها أموال الدولة؟

خيانة دي ولا لأ والنبي؟

وبعدين يصح كده لما نتخانق سوا.. نقوم نكشف مصارين البيت قصاد الأجانب؟

مفكرتش إنك كده كشفت مواطن ضعف الدولة للأمير القوي الطامع أساسا في مصر بقاله فترة؟ يعني لو نصرك النهارده في مقابل تلت الخراج.. بكتيره أوي بعد أسبوع هيقولك أنا عاوز النص.. وعلى آخر الشهر هيقولك نفض لنفسك يا نجم.

كل ده مفكرش فيه شاور.. بس نور الدين فكر.. وفكر فيما هو اكتر منه كمان.. فوق الفلوس اللي اتفقوا عليها فرض على شاور وجود أمراء شوام من عنده يشتركوا معاه في الحكم وخضوعه هو شخصيا لسلطان نور الدين في مقابل التمكين والحماية كمان بعد كده.. متنساش إن الوقت ده كانت أول الحملات الصليبية نجحت في تأسيس مملكة القدس اللاتينية فعلا ومصر مكانتش بعيدة خالص عن أطماعهم.. اللي كان مسكتهم بس هو وجود الأسطول المصري اللي لسه فيه نفس.

ووافق شاور على الشروط.

نفض نور الدين محمود لضرغام لما بعتله هو كمان يستنجد بيه ضد شاور.. هو حسبها صح.. أنا انصر الأضعف علشان ميقدرش ينقلب عليا بعدين لما اكسب القوي.

سياسة صرفة اهو.. لا دين ولا إسلام ولا بتاع.

طيب ضرغام عمل إيه؟ هيقف ساكت قصاد خيانة شاور كده؟

إزاي.. ودي تيجي..

لما نور الدين محمود نفض لضرغام.. ضرغام راح جاي باعت مرسال لعموري الأول بن فولك الخامس.. ملك القدس الصليبي.. بعتله يطلب منه العون ويستعديه على الجار المتربص بيهم هما الاتنين.. نور الدين ودولته الزنكية.. والمقابل طبعا مبلغ خرافي آخر من خراج مصر شديدة الثراء وقتها.

كنا فاكرين شاور وسخ.. طلع ضرغام هو المادة الخام للوساخة نفسها..

عموري الأول مكانش تلميذ.. قالك أنا أسيبهم يذبحوا في بعض.. بعدين ادخل أنا على اللي فاضل أكيد هلاقيه هلكان.. يبقى كده ناخد مصر والشام مع بعض بأقل مجهود.. سيبهم يقتلوا بعض دلوقتي.. شوية مسلمين رعاع.

طيب نور الدين محمود فين من ليلة الاتفاقات بين ضرغام وعموري؟؟

رسيت على إيه الخناقة دي؟؟

مين كسب.. برميل الزبالة وللا مستنقع الوساخة؟؟

◈◈◈◈◈◈◈

أواخر أيام الفاطميين من رحمة ربنا علينا.. شاور وضرغام مقطعين بعض على كرسي الوزارة والاتنين بعتوا يستنجدوا بالجار القوي نور الدين محمود ودولته الزنكية.. ضرغام بيلعب في الخباثة وعاوز يتفق مع عموري الأول ملك الفرنج في بيت المقدس بعيد عن عيون الكل.. مفاجأة يعني.

طيب نور الدين محمود فين من ليلة الاتفاقات بين ضرغام وعموري؟؟

طبعا كان عارف كل حاجة.. ده راجل ذئب متنكر في صورة حاكم.. قبل ما يخطى خطوة واحده ناحية مصر.. راح جاي عامل هجمة كفتة عند بانياس "قرب الجولان".. ال يعني عاوز يفهم الصليبيين إن مصر مش فدماغه وانه هيحط عليهم.. عموري الأول راح جرى يدافع عن بانياس.. كان جيش نور الدين في مصر فعلا وعلى رأسه واحد من مفاخر التاريخ الإسلامي "السني"..

أسد الدين شيركوه بن شاذي..

ضرغام قرا الليلة بدري وفهم إن عموري مش جاي وهو لوحده مش أد الناس دي.. يلزم مزيد من التنازلات لعموري علشان يقف جمبه بقوة قصاد أسد الدين ورجالته.. بس هو بالفعل عرض مبالغ مهولة في صورة خراج سنوي للصليبيين.. إيه ممكن يقدمه تاني؟

مفاضلش غير انه يقلع – لا مؤاخذة – ورقة التوت الأخيرة قصاد عموري الأول ويقف بعدها ملط.

وده بالظبط اللي عمله ضرغام..

ضرغام عرض على عموري الأول انه لو وقف معاه وانتصروا على قوات نور الدين محمود.. مصر هتبقى ولاية تابعة لمملكة القدس.. ضرغام هيمسك الوزارة تحت راية عموري الأول.

لا أظن إن في وساخة في الدنيا اكتر من كده.. تضحى بسلطنة كاملة.. علشان كرسيك؟؟

بالرغم من كل القذارة دي.. اتهزم ضرغام واتقبض عليه متكتف زي الفراخ.. ساقوه أسير ذليل تحت رجلين أسد الدين شيركوه اللي أمر بقتله قصاد مشهد السيدة نفيسة في القاهرة.

أحسن.. يستاهل.

طب والخليفة العاضد؟؟

ولا في الدماغ.. سمع إن ضرغام اتهزم.. راح باعت لشاور.. تعالى يا زغللة علشان كرسي الوزارة في انتظارك ومحصلش أي حاجة.

البيت الفاطمي مهلهل جدا ولا يملك من أمره ولا أمر البلاد شروي نقير.

ورجع تاني شاور لمكانه بقوة السلاح.. راحت سكرة النصر وجاء وقت دفع التمن.. منتساش أبدا إن أسد الدين شيركوه مش جاي مجانا.. ده جاي علشان يحل محل العاضد لدين الله.. هو وفى وعده وانتصر.. مستني بقى يتسلطن ويقام دعاء صلاة الجمعة باسمه أو باسم نور الدين محمود وباقي الحركات اللي إحنا عارفينها دي.

أتاري شاور طلع منوفي.. أول ما الأمور استقرت.. قالهم أنا متفقتش معاكو على حاجة.. لم عزالك يا حاج منك ليه وياللا على الشام من غير مطرود.

طبعا الكلام ده ينفع مع واحد زي ضرغام ماشي.. واحد زي العاضد ميضرش.. إنما مع شيركوه ودولة الزنك.. لا طبعا.. أسد الدين شيركوه مستناش يسمع باقي الجملة.. راح باعت علطول قواته سيطرت على بلبيس وشرق القاهرة كله.. بقى بينه وبين دخول القاهرة شوية ساعات.. ووقف حبة يرمي كارت إرهاب لشاور.

شاور كان عملي جدا.. فكر كده مين يقدر يقف قصاد الزنك.. الفرنج.. يبقى هما دول.. بعت مرسال لعموري الأول بكلمتين فيهم الشفاء.. تعالى أقف معايا..

لو الزنك خدوا مصر النهارده هيلفوا عليكو بكره.. ايدك في إيدي نوقفهم ولك مني ألف دينار ذهب يوميا.

اتقدمت قوات الصليبيين وحاصروا أسد الدين شيركوه ٣ شهور كاملة في بلبيس.. أسد الدين يبدو كده انه مش ناوي يستسلم.. الحصار زي ما بيرهق المحاصَر "بفتح الصاد" بيرهق المحاصِر "بكسر الصاد".. قبلوا الطرفين الصلح على أساس إن هما الاتنين يرجعوا كل واحد على بلده ويسيبوا مصر لأهلها.

وطلع شاور الرابح الأكبر -مرحليا- من الاتفاق ده.. الاتنين هياخدوا شوية فلوس ويمشوا وهيرتاح منهم.. شوية كده ولا هيدفع لده ولا ده.. العاضد مفيش قصاده على الساحة إلا شاور علشان يبقى وزير.. ناس كتير من أهل العلم والقوة هلكت فعلا في أثناء صراعه مع ضرغام.

كده الأمور ماشية منطقي في مصر.. طالما الحال من سيء إلى أسوأ.. يبقى هي دي مصر اللي نعرفها.

سنتين كاملتين شاور هو صاحب الأمر والنهي في مصر.. سنتين كاملتين والعاضد بالله مش واخد باله ان دولته ودولة أجداده بتنحط وتنهار وتفتقر.. سنتين كاملتين وهو عامل زي راقصة الاستربتيز.. كل شوية يقلع قطعه من كبرياؤه بتنازل زيادة قصاد شاور اللي خلي مصر مزبلة حرفيا ومجزرة كبيرة لكل معارض.

سنتين كاملتين وأسد الدين شيركوه مش ناسي فشل الحملة الأولى على مصر.. بمجرد استقرار الأمور في الشام بينه وبين الفرنج.. راح جاي مجهز حملة محترمة نزل بيها على مصر تاني.. حملة كان فيها ابن أخوه اللي ربنا كتبله من مصر بعد كده بطولات وانتصارات وتاريخ عظيم جدا هيفضلوا لمسلمين فاكرينه إلى قيام الساعة رغم ان يوسف شاهين بهدله في السينما.

قائد اسمه صلاح الدين بن أيوب بن شاذي.. اللي اهو يختلف تماما عن احمد مظهر حضرتك.

وصلت الحملة على مصر.. وكعادته لجأ شاور إلى مرمغة كرامته تحت رجلين الفرنج في مقابل الحفاظ على الكرسي.. بس المرة دي كانت الشروط اشد..٤٠٠

ألف دينار.. منهم ٢٠٠ ألف مقدم.. وفوق من ده كله.. ضمانات من الخليفة نفسه ان لو شاور مات وللا غار في داهية.. الاتفاق ماشي زي ماهو.

الجميل بقى.. ان مصادرنا العربية مفيهاش الاتفاق ده.. عموري الأول بعت اتنين من تقايل السياسة عنده "هوجو دي سيزار" و "جيفري فاوشر" ومعاهم مؤرخ اسمه "جليوم اشقف" لزوم تسجيل الحدث وبرضه ضمان وأمان من كلام الفاطميين المدهون بزبده ودايما يطلع عليه النهار يسيح.. قوم ربنا يشاء إننا نعرف كم الانهيار ده من كتابات جليوم.. مش من كتب مؤرخينا العرب المسلمين الحلوين الكيوت اللي حطوا أيديهم في ايدين الإفرنج علشان يحاربوا بعض.

اسفخص عليهم كلهم واحد واحد.

أسد الدين شيركوه حاول يلعبها بشكل مختلف في الحملة الثانية.. قسم قواته قسمين.. قسم نزل على الصعيد وعسكر هناك علشان يتفادى مواجهة مبكرة مع شاور والفرنج.. وقسم بقيادة ابن أخوه صلاح الدين راح على إسكندرية ذات الأغلبية السنية وعسكر هناك.

أول المواجهات في الصعيد كانت في الأشمونين "قرب المنيا".. اليد العليا كانت لصالح أسد الدين شيركوه.. بس مكانش انتصار نهائي قاطع.. أسد الدين شيركوه بدل ما يطارد قوات شاور والفرنج لحد القاهرة ويقضي عليهم تماما.. طلع علطول على إسكندرية علشان يسند قوات صلاح الدين هناك.. ودي كانت غلطة كبيرة دفع تمنها فشل الحملة الثانية في تحقيق أهدافها والسيطرة على مصر.

الوقت اللي استغرقه أسد الدين في الوصول من المنيا لإسكندرية وتحييد القرى والمدن في طريقه وإعادة تنظيم قوات الإسكندرية كان كافي جدا لشاور والفرنج انهم يعيدوا تنظيم القوات بعد هزائم الصعيد ويطلبوا دعم كمان من القوات الأساسية في بيت المقدس.. وبدل ما كانوا في موقف دفاع.. طلعوا على إسكندرية علشان يحاصروها ويطردوا قوات أسد الدين من هناك.

انتهى الموقف بانتصار شاور للمرة التانية.. الفرنج والزنك هيخرجوا من مصر.. مصر هتدفع ٥٠ ألف دينار غرامة لأسد الدين شيركوه اللي وافق على الخروج

بشرط ان الفرنج يخرجوا هما كمان.. شاور كخائن بطبعة طلب وجود حامية صليبية تحمى أبواب القاهرة كضمان لعدم عودة جيش نور الدين محمود مرة تانية.. وطبعا مش ببلاش.. ١٠٠ ألف دينار مصر هتدفعهم كل سنة في مقابل حماية "الفرنج" ليه من نور الدين محمود ورغبته المحمومة في ملك مصر.

يا حلاوة.



سؤال اعتراضي..

أسد الدين شيركوه والفرنج خرجوا من مصر وسابوا شاور على الكرسي سنتين مستقر يعمل ما بداله.. هل السنتين دول وبكم الفلوس اللي عمال يدفعها لدول ودول.. مكانش قادر يأسس في مصر جيش ينفخ بيه الاتنين مع بعض؟

جواب اعتراضي..

طبعا كان يقدر.. بس الكلام ده لو كان هو رجل حرب وفتوحات وأمجاد وكلام من ده.. الحقيقة ان شخصية شاور متفرقش كتير عن شخصية أي ظالم.. فكره الأساسي وتركيزه كله على "الأنا".. أنا أكون اذن يكون الكون بالكينونة المكونة من كلماتي.. أنا أريد اذن هي إرادة الله.. نفس أزمة فرعون مع المصريين لما قال "آمنتم به قبل ان آذن لكم".. لو ركزت في الكلام هتلاقي ان المشكلة مش في الكفر ولا الإيمان في حد ذاته.. المشكلة هي انك خرجت من تحت طوعي "أنا" وعملت حاجة مش على هوايا "أنا".

بالتالي شاور بدل ما يتعلم من أول علقة ويعرف انه محتاج جيش يحميه من الجيران الطامعين.. قضاها سرقة وظلم وقتل وجواري دراعاتها زي لمض النايلون.. حرب مين يا عم في الحر ده.



دخلة وخرجة الفرنج كذا مرة على مصر نبهتهم إلى الضعف الشديد في أحوال الفاطميين.. بدأ الفرسان يضغطوا بشدة على عموري الأول علشان يهاجموا مصر من تاني خصوصا ان "النخبة" من أهل مصر بعتولهم يطلبوا منهم الخلاص من شاور وقرفه.

النخبة.. يا دي النيلة..

هو النخبة دي ورانا ورانا!!!!

ده اسمه الحول السياسي يا سادة.. الناس قرفانة من شاور.. فبدل ما يطلبوا العون من نور الدين محمود واهو كلها مسلمين في بعض.. خافوا منه لأن عينه على مصر.. فطلبوه من الفرنج اللي برضه عينهم على مصر.

عموري الأول مكانش مرحب بالموضوع ده.. هو بالفعل بياخد من مصر ١٠٠ ألف دينار كل سنة في مقابل عدم الاعتداء وحماية المداخل.. الفلوس دي عمال يستفها ويظبط بيها جيشه لمواجهة شغالة بالفعل مع نور الدين محمود في بانياس "قرب الجولان".. ملوش لزمة بقى يستهلك قوات كمان في مصر.. لكنه اضطر للموافقة تحت ضغط أمراؤه اللي كانوا شايفين ان الوقت لغزو مصر قد حان بالفعل.

اتحركت قوات عموري من بيت المقدس إلى عسقلان إلى بلبيس سنة ١١٦٨م. حصار ٥ أيام وبعدها دخلوا بلبيس بأكثر الطرق همجية كعادتهم.. مطولوش في بلبيس واتحركوا على القاهرة مباشرة.. الأخبار كانت سبقتهم إلى القاهرة.. اتجمع أهل القاهرة للدفاع ضد الغزو الصليبي وعلى رأسهم – ويا سبحان الله – النخبة والوزير شاور.. اللي بدأ يبني قلعة كبيرة في الفسطاط للدفاع.. اشترك المصريين كلهم في بناء المتاريس والتحصينات وخفر الخنادق.. ابن الأثير بيقول عن اليومين دول..

"لم يبق أحد من أهل مصر إلا عمل فيه وحفر حولها خندقاً. ولو أن الفرنج أحسنوا السيرة مع أهل بلبيس لملكوا مصر والقاهرة في ساعة"

المصريين كده.. ميتحركوش إلا بعد خراب مالطة.. بس الوقت بيعدي بسرعة والفرنج قربوا.. يعمل إيه شاور في الموقف الزبالة ده؟

خد قرار جبار ميقدرش عليه إلا واحد فاجر فعلا..

أمر بإحراق الفسطاط كلها.. سياسة الأرض المحروقة يعني.

وكان يوم ولا يوم القيامة.. بيحكي عنه المقريزي في الخطط ان شاور بعت ٢٠ ألف برميل نفط و١٠ آلاف مشعل نار علشان يولعوا في البلد كلها.. وأمر الناس انها تخرج من الفسطاط في أسرع وقت وأمر العسكر كمان انهم ينهبوا كل اللي يلاقوه في الفسطاط ويخربوها تماما وميسيبوش فيها حجر فوق حجر.

خرجت الناس من البلد زي المجانين.. مقدروش طبعا ياخدوا كل حاجتهم في وجود العسكر اللي انطلقوا زي اللعنة يسرقوا ويخربوا.. يا آخى جماعة العسكر دول شاطرين أوى في كل ما هو تخريب وتدمير.. كانت فين الشطارة دي قصاد الفرنج؟

بلغ فزع الناس من اليوم ده ان الآباء كان بيدهسوا عيالهم وهما بيهربوا ولا يلتفت الأخ لأخوه.. كله بيقول ياللا نفسي.. طائفة البغالين والحمارين استغلوا الموقف حتى ان تمن النقلة الواحدة بلغ ٣٠ دينار بعد أساسا ما كان ربع درهم.

الفرنج بيقربوا من القاهرة وعموري عمال يوزع الغنائم على رجالته.. كشفوا عورات البيوت وانتهكوا الحرمات.. قتلوا للأطفال واغتصبوا النساء بدون رحمة.. بعت شاور يسأله باستهبال.. إيه إلى جابك يا معلم.. هو مش في بينا اتفاق؟ رد عليه عموري باستهزاء انه مزنوق وعليه أقساط.. ابعتلي ٢٠٠٠ دينار اسكت بيهم امراء العسكر اللي أجبروني على الحملة دي..

الخليفة العاضد عمال يولول ويعيط.. جمع حريم القصر وقص ضفائر شعورهم وبعتها لنور الدين محمود مع جواب بيقول فيه "ان لم تبادر.. ذهبت البلاد".

وصلت الناس إلى القاهرة هربانة من الفسطاط.. اترموا في الطرقات والحمامات وعلى الأرصفة لأنهم ملهمش فيها أماكن.. تساوى على الرصيف الأمير والصعلوك والتاجر والصنايعي.. كلهم أصبحوا مشردين بأمر شاور اللي أمر بإحراق الفسطاط فورا علشان الفرنج ميسيطروش عليها وتبقى قاعدة هجوم على القاهرة اللي قادرة لحد دلوقتي تصد هجومهم.. العسكر ما صدقوا وراحوا قالبينها جحيم.. ارتفعت زهور النار البرتقالية إلى عنان السماء فحرقت الطير وكونت سحب رمادية كئيبة صبغت كل شيء بالأسود.. كنت تشوف دخان النار من على بعد مسيرة أيام من الفسطاط.. فضلت النيران مشتعلة في البلد ٥٤ يوم كاملة بتاكل فيهم آثار ومباني وتاريخ عمره اكتر من ٥٠٠ سنة.. المار بالبلد دي وقتها كان هيسمع صوت عمرو بن العاص بيصرخ من قبره.. شقى عمري.. شقى عمري يا ولاد الكلب.. التاريخ وقف على قمة جبل المقطم وقال كلام ميصحش.. أموات بني أمية وبني العباس والطولونيين واولاد الإخشيد والفاطميين يراقبوا اللي بيحصل من البرزخ وبيضربوا كف على كف وبيتفوا على البلد جماعيا حزنا على تراث كامل ضاع بسبب واحد عبيط هيموت على الكرسي.. علوم وفنون وآداب ومعمار ووكالات تجارة ومساجد ودواوين وليلة كبيرة أوي سعادتك كلتها النار..

في وسط السواد ده كله كان في بارقة أمل اسمها الكامل بن شاور..

الواد ده رغم وساخة أبوه إلا إنه كان نضيف وصاحب أخلاق.. قدر يلم كبارات البلد حواليه ويبعتوا لنور الدين محمود.. ان هو بعت رجالته هيقفوا معاه وقفة رجالة ويساعدوه ومفيش خيانة من أي نوع.. وكله بتمنه طبعا.. تلت مصر ليه.. وشيركوه هيقعد بعساكره فمصر معزز مكرم.. ولهم كمان تلت التلتين اللي فاضلين.

الفرنج عمالين يهاجموا القاهرة.. شاور هو المسئول عن الدفاع.. الموضوع شد عليه أوي ومبقاش متحمل.. السقوط جاي لا محالة.. مسألة أيام مش اكتر.. حاول يخرج من الأزمة دي بالتواصل مع عموري الأول من تاني بجوابات يفكره فيها بالود القديم وانه معاه قلبا وقالبا بس خايف من نور الدين محمود.. عموري الأول عرف انه قصاد رجل مهزوم من كل النواحي.. طلب ألف ألف

دينار غرامة.. شاور وافق بشرط انهم يرحلوا قبل ما عسكر نور الدين ييجوا ويطلبوا فلوس هما كمان.. شاور دفع ١٠٠ ألف دينار مقدم لقوات الفرنج وأعلن جمع الأموال والتبرعات والضرائب من أهل القاهرة علشان يسدد فلوس عموري.. انطلق عساكره في كل مكان بحملة صبح_على_الفاطميين_بدينار ..بس للأسف مقدرش يجمع من القاهرة كلها إلا ٥٠٠٠ دينار بالعافية.. حريق الفسطاط وموجة النهب والغلاء اللي تبعته خلت مصر وأهلها على الحديدة.

وصلت الأخبار والشعر المقصوص إلى نور الدين محمود.. الراجل طلع جدع وشهم.. ٢٠٠ ألف دينار و٦٠٠٠ فارس لا يشق لهم غبار تحت أمر أسد الدين شيركوه.. كل طلباته مجابة بشرط انه ينقذ مصر من انها تبقى ولاية صليبية.. كفاية علينا بلوة فلسطين.. الراجل اتحرك فورا.. كان سعيد بوجود صلاح الدين في قوات أسد الدين شيركوه بينما صلاح الدين نفسه كان مكره.. سبحان الله.. واحد مبسوط مع ان مرواح صلاح الدين فيه نهاية دولته.. وصلاح الدين مضايق رغم انه مرواحه لمصر فيه تاريخ عظيم هيتكتب في اسمه بحروف من دهب.

وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم.

سمع الفرنج ان أسد الدين شيركوه جاي.. قالوا مش طالبة وجع قلب وفرهدة وحرب مش هنكسبها.. كمان مصر كانت جابت تحتاني خالص ومبقاش فيها فلوس.. مشيوا من سكات على بيت المقدس ومعاهم ١٢ ألف أسير بيخططوا انهم يساوموا على حياتهم فيوم تاني يكونوا مستعدين فيه لنور الدين محمود ورجالته.. دخل شيركوه على مصر من غير نقطة دم واحدة.. زفت البشرى في أنحاء الدولة الزنكية بفتح مصر.. اجتمع العاضد بالله بأسد الدين شيركوه وخلع عليه لقب "الملك المنصور سلطان أمير الجيوش".. أصبح أسد الدين هو الوزير الرسمي لمصر.. خلاص.. مفيش شاور تاني.. بلا قرف وخيانة ونذالة وخيابة.

شاور بيراقب انهيار إمبراطوريته وبقه فيه صرمة قديمة.. محدش واقف معاه إطلاقا ولا حتى فاضل معاه فلوس يشتري بيها عسكر الفرنج.. الخليفة باعه وما

صدق خلص منه.. شيركوه لو شم ريحته هيعمل معاه السليمة.. الناس مش طايقاه ولا طايقة سيرته.. خلاص.. شاور رسميا.. انتهى.

اخر خططه القذرة.. حاول يعمل دعوة وعزومة كبيرة لشيركوه ورجالته.. ويستغل الفرصة ويذبحهم كلهم.. المخطط كان قيد التنفيذ فعلا لولا ابنه.. الواد المتربي الكامل بن شاور.. هدده ان هو قرر التنفيذ.. هيبلغ شيركوه بكل شيء.. الولد صعب عليه سيرتهم ووساختها ..

- كفاية زبالة لحد كده يا آبا ..
- والله لئن لم نفعل هذا.. لنقتلن جميعا
- صدقت.. ولأن نقتل ونحن مسلمون والبلاد إسلامية خير من أن نقتل وقد ملكها الفرنج.. فانه ليس بينك وبين عودة الفرنج إلا أن يسمعوا بالقبض على شيركوه.. وحينئذ لو مشى العاضد إلى نور الدين.. لم يرسل معه فارسا واحدا.. وحينها يملكون البلاد.

بيج لايك يا كامل.. شابو.

فيوم راح شاور يزور أسد الدين شيركوه في خيمته قرب الإمام الشافعي.. شكلها تظبيطة لخازوق من بتوعه.. قالوله إن أسد الدين بيزور قبر الإمام الشافعي.. صلاح الدين قاله تعالى معايا نروحله هناك.. راح معاهم شاور بحسن نية مش من عوايده.. لما انعزلوا في المقابر اتلم عليه صلاح الدين وعساكره.. استغلوا انه لوحده وقفشوه من رقبته ورموه من فوق حصانه على الأرض.. خدوه أسير متكتف على خيمة أسد الدين علشان يعلقوله الرمانة.

أسد الدين شيركوه مقتنع تماما انه لا استقرار في مصر طول ما شاور عايش.. هو مقتنع تماما بقتله لكنه عاوز الموضوع ييجي من العاضد علشان يبدو وكأنه أمر من الخليفة.. منع العساكر من انها تقتله.. في نفس الوقت الخبر طار إلى الخليفة العاضد إن شاور وقع في اسر أسد الدين.. العاضد في التو واللحظة بعت أمر سلطاني لأسد الدين انه يبعتله رقبة شاور.. وطبعا أسد الدين مكدبش الخبر..

ونعم الصداقة يا خليفة..

وصل أسد الدين شيركوه على قصر الخليفة ومعاه رأس شاور في كيس.. بمجرد ما العاضد عرف إن شاور اتقتل.. أصدر الأمر في التو واللحظة للعساكر انها تهاجم بيت شاور وتجيب عاليه واطيه.. للأسف في الهجوم ده مات ابنه المحترم "الكامل". شيركوه زعل عليه جدا.. كان ناوي يكافئه.. بس سيوف العسكر سبقته.

مسك أسد الدين الوزارة واجتمع عنده ضحايا حريق الفسطاط.. الراجل أول مرة يعرف الحكاية دي.. أمرهم بالرجوع لبيوتهم تاني وسخر من آراء شاور بحرق الفسطاط.. بدأ الناس يرجعوا حوالين جامع عمرو.. المبنى الوحيد اللي فلت من يوم الحريق العظيم.. بدأت الفسطاط تعمر تاني واحده واحدة لحد ما خربت تاني سنة ١٢٠٠م في أيام العادل أبو بكر سيف الدين بسبب الوباء العظيم.

أسد الدين شيركوه معمرش كتير بعد قتل شاور.. ٩ أسابيع بالظبط وقابل وجه كريم علشان يمسك مكانه نائبه.. صلاح الدين.. اللي أساسا جه مصر متضرر وقال لعمه:

"والله لو أعطيت ملك مصر ما سرت إليها فلقد قاسيت بالإسكندرية وغيرها ما لا أنساه أبدا"

هي إسكندرية كده.. في الصيف بتبقى أعوذ بالله.

الكلام ده كان سنة ١١٦٩م .

لمدة سنتين فضل صلاح الدين ماشي بأستيكة على ميراث الشيعة في مصر.. عامة الشعب لم تكن على المذهب الشيعي فعلا.. علشان كده صلاح الدين مقابلش صعوبات كتير في تهميش دور الأزهر تماما وإحلال مسجد الحاكم بأمر الله مكانه.. وساعده كمان انه ولى على القصر واحد ميعرفش أبوه في تنفيذ القانون.. بهاء الدين الأسدي أو قراقوش.. المفترى عليه.

صاحبنا العاضد مستحملش الانهيار ده كله.. مات في هدوء سنة ١١٧١م. علشان تتقفل صفحة الفاطميين في مصر للأبد بعودة الأذان إلى ألفاظه

التوقيفية وإقامة خطبة الجمعة للخليفة العباسي المستضيء بالله.. في اتعاظ الحنفا.. المقريزي بيقول:

"ولما مات العاضد وجد صلاح الدين من الأعلاق النفيسة والأشياء الغريبة ما تخلو الدنيا من مثله ومن الجواهر ما لا يوجد عند غيرهم مثله. ونقل أهل العاضد وأقاربه إلى مكان بالقصر ووكل بهم من يحفظهم.. وأخرج سائر ما في القصر من العبيد والإماء فباع بعضهم وأعتق بعضهم ووهب منهم.. وخلا القصر من ساكنه كأن لم يغن بالأمس".

وسبحان من له الدوام.

أما أبو حمزة الجبرتي فقال عن الفترة دي..

"وتقلبت الأحوال بمصر من الفاطمية إلى بني أيوب ثم مماليك الترك وبعدهم العثماني بجيوش جرارة لم يقدر عليها إلا العلوية. ثم صحينا الصبحية على صوت ابن الصعيدية يسقط الملكية ويعلنها جمهورية..

وشكرا على كده.

◈◈◈◈◈◈◈ -

- خدت بالك من الكلام بقى يا سيادة اللواء مراد؟
- مممممم.. فعلا.. عندك حق.. بس عندي تعقيب مهم
- اتفضل
- لو حد كان قاللي إن الفسطاط اتحرقت.. كنت قبضت على اللي حرقها في يومين.. أنا عندي مرشدين في كل مكان وليا عيون بالهبل جوا جماعة الإخوان نفسهم.
- آمن بالله.. انت "لواء" فعلا.. أنا ماشي
- استنى يا ولد.. احكيلى صلاح الدين عمل إيه في مصر.. وإزاي مع كل ده ملوش عندنا ملف في القلم السياسي.
- لا بقى.. ده يوم تاني من أوله كده.. أسيبك تستغفر ربنا شوية.. لعل وعسى.

أين تقع في الخارطة أوروبا؟

في فيلم موعد مع الحياة الرائعتين الراحلتين شادية وفاتن حمامة غنوا أغنية من ألطف ما يكون.. يمكن لو حد غيرهم كان غنى كلمات فتحي قوره اللي كلها فشل دي.. مكانش حد قبله أبدا.. القبول من ربنا فعلا.

فاتن حمامة بعسل الدنيا كله بتسأل.. س سؤال.. أين تقع في الخارطة أوروبا؟

وتجاوبها شادية بحلاوة الدنيا كلها.. ج جواب.. تبقى على شمال كوبري القبة.

ويرد عليهم الأستاذ رمضان مبروك أبو العلمين حمودة وهو قلبه بيتقطع انه هيزعل القطط دي..

- صييييييفر.. يمين بعظيم أبدا.. صيييييفر يا بت منك لها.. ابقوا ذاكروا كويس.. أو ابقوا روحوا اسألوا الجمعية الجغرافية المصرية لو محتاجين تعرفوا أي شيء عن الخرائط.
- طب ودي تطلع فين يا أستاذ رمضان؟
- تعرفي المجمع العلمي يا بت ياللي زي كوز العسلية منك ليها؟ المجمع اللي كان اتحرق أيام الثورة.. خليه على شمالك وامشي علطول في شارع قصر العيني.. أول تقاطع هيقابلك دا يبقى شارع عبد القادر باشا حمزة.. اهو في التقاطع ده على الشمال برضه هتلاقي مقر الجمعية.. خبط لزق في مجلس الشورى.
- طب ودي حكايتها إيه يا أستاذ رمضان؟
- شوفي يا صحن المهلبية منك لها..

سنة ١٨٧٥م الخديو إسماعيل طلع مرسوم بإنشاء الجمعية الجغرافية الخديوية المصرية.. وقتها كان في حملات كتير لاكتشاف إفريقيا ومنابع النيل وبلاد السودان "السود يعني مش السودان الحالية".. الرحالة الخواجات كانوا رايحين جايين على مصر ولا كأنها بلد أبوهم.. ما هو الخديو كان فاتحهالهم على البحري.. كل واحد ييجي من بلدهم يكتشف حاجة ياخد نصها وهو ماشي أو يكتشف مكان ويرسم خريطة يعيش بيها سلطان في مصر لحد ما ييجى واحد تاني يستلم منه عدة الشغل.. وهكذا.. مع تزايد الحركة الكشفية وتراكم الخرائط.. انتبه الخديو لضرورة الحفاظ على التراث ده كله.. واصدر المرسوم ده زي ما قلنا سنة ١٨٧٥م واسند رئاسة الجمعية لرحالة وعالم نبات ألماني مشهور اسمه جورج شفاينفورث.. وكمان خصص للجمعية معونة سنوية من الحكومة قيمتها ٤٠٠ جنيه كاملة.. بأسعار الوقت ده تعتبر ثروة مهولة.. كل ده علشان الجمعية تعمل شغلانتين اتنين بس..

(١) دراسة علم الجغرافيا بجميع فروعه وتنظيم الرحلات الكشفية لأفريقيا.

(٢) نشرات دورية تصدرها الجمعية توثق فيها جهود الكشوف الجغرافية لأفريقيا بالإضافة إلى ملخصات الأعمال العلمية في كل ما يتعلق بالعلوم الجغرافية عن أفريقيا ومصر والصحراء الكبرى.

بس يا سيدي.. واشتغلت الجمعية على كده.

بص كده على التاريخ المصري وشوف أسماء الأخوة الأفاضل اللي عملوا أحداث كبيرة في مصر.. زي سعد باشا زغلول واحمد لطفي السيد باشا والملك احمد فؤاد والخديو عباس حلمي الثاني ومحمود باشا الفلكي وطلعت باشا حرب وشريف باشا صبري وإسماعيل باشا صدقي.. كل دول حضرتك احتكوا بالجمعية الجغرافية يوما ما.. ما بين رئيس أو عضو.. بالمناسبة.. كل وثائق الجمعية دي كانت بالفرنساوي.

برحيل الخديو عباس حلمي الثاني تحولت مصر من خديوية إلى سلطنة.. واتغير اسم الجمعية إلى الجمعية الجغرافية السلطانية المصرية برئاسة الأمير – وقتها – أحمد فؤاد الأول وان فضل نشاطها زي ما هو.. لما مات السلطان حسين كامل انقلبت مصر من سلطنة إلى مملكة يحكمها الملك أحمد فؤاد الأول..

واتغير اسم الجمعية تاني إلى الجمعية الجغرافية الملكية المصرية.. ولما قامت ثورة ٥٢ شالوا من اسمها كلمة الملكية وأصبح اسمها لحد النهاردة الجمعية الجغرافية المصرية واقتصر نشاطها على إصدار النشرات الجغرافية مع بعض الحواديت التاريخية.. ماهو خلاص بقى مبقاش في كشوف.. اوعى تستهين بالحواديت التاريخية والخرائط.. هتعرف حالا إزاي الجمعية دي أنقذت شرف مصر في خناقة كبيرة أوي سنة ١٩٨٩.

- طيب جميل.. فين الحكاية بقى يا أستاذ رمضان (بصوت الجميلة فاتن حمامة)

- انسدي يا بت.. جايلك في الكلام اهو

الخديو إسماعيل يعمل الجمعية دي فين يا ولاد؟

يبص يمين يبص شمال.. في الآخر قرر انها تتعمل في اوضة في بيت محمد بك الدفتردار "جوز الأميرة زينب هانم بنت الغالي محمد علي باشا" في الجمالية.. بعدين الجمعية انتقلت إلى فيلا كبيرة على ناصية شارع قصر العيني وشارع مجلس الشعب.. الأرض دي كلها بما فيها مقر مجلسين الشعب والشورى اشتراها بعد كده مملوك في حاشية الوالي محمد سعيد باشا اسمه محمد راتب طوبان قبة.. المملوك ده اتجوز واحدة شركسية من معتوقات الخديو إسماعيل "من الأكابر يعني" وبقى اسمه محمد راتب طوبان الشركسي.. واتنطط واترقى في الوظائف أيام الخديو إسماعيل لحد ما بقى وزير الحربية مرة واحدة "سبحان العاطي الوهاب".. وراح باني قصر كبير أوي في المنطقة دي عاش فيه هو ومراته كليبير هانم الشركسية.

محمد راتب طوبان كان يملك ٥٩٠ فدان من أجود الأراضي الزراعية في مركز بسيون "غربية".. قبل ما يموت عمل الأراضي دي كلها وقف سنة ١٩٠١م لمراته كليبير هانم.. كليبير هانم هي كمان قبل ما تموت سنة ١٩٣١م راحت عاملة القصر بتاعهم وال ٥٩٠ فدان وقف لصالح الجمعية الجغرافية الخديوية المصرية.. أصل الاتنين مخلفوش أي عيال.. ونركز على المعلومة دي.. الاتنين مخلفوش أي عيال خالص.. والكلام ده اتسجل في المحكمة الشرعية وبقى قصر محمد راتب طوبان قبة الشركسي هو مقر الجمعية الجغرافية المصرية

لحد النهاردة.. بعد كده اقتطعوا منه جزء عملوه مجلس الشورى وجزء تاني عملوه وزارة الري وجزء تالت بقى وزارة النقل ووزارة الحكم المحلي.. مصر هي البلد الوحيد اللي مفيهوش حاجة بتفضل على حالها أبدا.. انتهى الأمر بمقر الجمعية إلى قصر محمد راتب طوبان وبس.. اللي هو المقر الحالي.. ودخلها كان من ريع الأرض الموقوفة عليها.. ال ٥٩٠ فدان بتوع محمد راتب طوبان.. اللي هما بقوا تبع أوقاف طنطا.

بقدرة قادر سنة ٢٠٠٤ طلع واحد اسمه محمد عبد الحميد راتب بيقول انه من نسل محمد راتب طوبان باشا ومعاه حجج وورق وكلام فارغ يثبت أحقيته في ال ٥٩٠ فدان بتوع بسيون وارض تانية في حلوان والقصر بتاع جاردن سيتي اللي هو مقر الجمعية.. المحاكم المصرية يومها ب ٢٠ سنة.. فضلت القضية تلف في المحاكم وورق يروح مع مخصوص وورق ييجى مع محضر.. كل ده وإيراد الجمعية الأساسي متوقف لأن عليه مشاكل.. انحدرت الجمعية من سيء إلى أسوأ مع انحدار كل شيء له قيمة في مصر.. من حسن الحظ انها فلتت بمعجزة من حريق مشابه لحريق المجمع العلمي.. بس فضلت برضه من غير فلوس اللهم إلا اشتراك الأعضاء اللي هو ٢٠ جنيه في السنة.

- طيب يا أستاذ رمضان.. الجمعية دي عملت إيه لمصر.. الواحد عاش ومات ومسمعش عنها حاجة (بصوت الكتكوتة شادية)
- عارفة يا بت ياللي زي المانجاية انتي.. لولا اني بحبك حب جنوني.. أي والله جنوني.. كنت علقتك من ودانك الحلوة دي في النجفة. تعرفوا قضية طابا؟
- أيوه يا أستاذ طبعا.. بس نحب نعرف منك زيادة.
- بعد ما كسبنا اليهود في حرب ٧٣ بدأنا ناخد سيناء حتة حتة.. اليهود رخما أوي وكل شوية يعطلوا الاتفاق والتسليم.. أصل الأرض معرفش إيه.. أصل الخريطة أبصر إيه.. لحد ما وقفوا على طابا وقفشوا خالص وقالوا إن كل الخرائط الموجودة وقتها مفيهاش حاجة تقول إن طابا تبقى تبع مصر.. وبقت أزمة للدكتور مفيد شهاب – رئيس وفد التفاوض وقتها – يعمل إيه الجدع ويروح فين وييجي منين.. مأنقذش

الموقف المصري وقتها إلا الخرائط الأثرية التاريخية الموجودة في الجمعية الجغرافية المصرية ونشراتها الدورية وحواديتها اللي زي ما اتكلمت عن إفريقيا.. اتكلمت برضك على شبة جزيرة سيناء وطابا.

- يا سلام؟؟
- أي والله زي ما بقولك كده.. ده كمان مكانش عندنا بيان أو إحصائيات عن القرى اللي اليهود دمروها في فلسطين قبل سنة ٥٢ إلا الدراسة اللي عملتها الجمعية دي تحت اسم "القرى المدمرة في فلسطين حتى عام ١٩٥٢م"
- كل ده وإحنا منعرفش؟
- أيوه يا أختي.. ماهو انتو مش فالحين إلا في تحدي كيكي.. بالك انتي لو رحتي على المتحف اللي تبع الجمعية دلوقتي هتلاقي إيه؟
- إيه؟
- هتلاقي متحف كبير من ٥ قاعات فيهم جغرافية مصر البشرية وتاريخها من أيام الخديو إسماعيل لحد نهاية الملكية.. قطع أثرية نادرة ومخطوطات بالهبل.. كسوة الكعبة وجمل المحمل.. مواكب الزفاف والكوشة والتختروان بتاع العرايس زمان.. بانوراما كاملة وخرائط ومجسمات لأعمال الحفر في قناة السويس.. ده غير خرائط أصلية رسمها الإدريسي والأطالس الأسطورية اللي عملها الأمراء المغامرون زي البرنس عمر طوسون "حبيب الشعب" والبرنس يوسف كمال اللي مسابش حتة في إفريقيا معلمش عليها.. ويا عيني بقى لما تطلعوا الدور الثاني.. هتلاقوا مكتبة فيها ٣٠ ألف كتاب من أندر الكتب التراثية من مكتبة محمود باشا الفلكي والأمير حيدر فاضل والأمير محمد علي توفيق.

طيب.. الزغروف بقى بتاع الحكاية دي..

شفت المقابر اللي في الصور دي؟

آه.. اللي منشور فيها غسيل وعيل واقف بالفانلة واللباس وفيها ست واقفة تقلي بتنجان.

أهي دي تبقى مدافن اللواء علي رضا باشا وأخوه المشير محمد راتب طوبان قبة الشركسي سردار الجيش المصري أيام الخديو إسماعيل وجوز معتوقة الخديو إسماعيل كليبير هانم الشركسية وصاحب القصر الكبير في جاردن سيتي وال ٥٩٠ فدان بتوع بسيون.

يا لهوي.. القصر اللي بقى مقر الجمعية الجغرافية المصرية!!

أيوه.. الله ينور عليك.. هو ده.

"بوووووووم.. صوت ارتطام جسد آدمي بالأرض بعد إصابة صاحبه بالسكتة"







مصطفي الكاشف كرد

خلونا نتفق على حاجة مهمة هترفع عندك درجة الحياد في قراءة الأحداث التاريخية في مصر.

من أعمالكم سلط عليكم.. ربنا مش ظالم أبدا.. لما تسمع عن حاكم في مصر تفرعن أو سال الدم في عهده.. توقع إن المصريين "في غالبهم" وصلوا من قبله وفى أيامه إلى درجة غير مسبوقة من الانحطاط.. في الأغلب بيكون الحاكم ما هو إلا انعكاس لحالة الناس والعامة.. العقل الجمعي يفرز حاكم صالح متعلم أو عبيط دموي تافه.

بيحصل إن يبقى في فرق بين الحاكم والشعب.. الحاكم عنده بعد نظر ورؤية وخطة مُصر على تنفيذها.. حصل في تاريخ مصر إن جالها حاكم قصير بعينين زرق.. عنيف ودموي بس بتاع شغل وذكي لأبعد حد.. قلبه صخري تماما.. كريم بزيادة في الثواب وشديد في العقاب برضه.. الرحمة لم توجد في قاموسه ولا العدالة.. قاموس حياته لا يعرف إلا كلمة واحدة بس.

الشغل.

أول حرف من اسمه.. محمد علي.

من أول ما حط محمد علي رجله على ارض مصر وهو مدرك انه هيقعد على الكرسي.. لفت نظره فقر غير منطقي لدولة متعددة الموارد.. حط ايده على أسباب الانحطاط وبدأ يشتغل بخطة بطيئة للوصول إلى العرش.. ٥ سنين يعمل في صمت من وراء الكواليس لحد ما اجبر الشعب والزعامات انهم يروحوا بيته ياخدوه من ايده بالعافية كده.. ويحلفوا على المية تجمد انه هيبقى الوالي.

وقبل محمد علي نزولا على رغبة الشعب.

<أوسكار أحسن أداء>

أول حاجة عملها محمد علي انه تخلص من كل أنواع المعارضة الموجودة بما فيهم من ساعدوه على الوصول للكرسي.. مفضلش حواليه إلا ناس هو بيثق فيهم.. أطلق البعثات التعليمة وسن القوانين وبدأ يحتكر التجارة والصناعة.. بني جيش قوي يساعده في تحقيق طموحاته العريضة.. سيطر على بورصة القطن وعمل انقلاب في الزراعة المصرية.. ماسورة فلوس ضربت في جيب الباشا ثم في البلد.. مصر بتتغير وتركيبة الناس بتتغير..

بس برضه الدنيا لسه مش متظبطة.

الأسواق مش تمام وفى بضاعة مستخبية.. الأسعار مش مستقرة وكل يومين في أزمة شكل..

يعمل إيه محمد علي؟

وقتها كان في وظيفة اسمها المحتسب.. ده راجل بيعدي على الأسواق.. يراقب التزام التجار بالأسعار ويراجع الموازين وينصح الناس بالمعروف ويعاقب المخالفين.. بالبلدي كده نقدر نقول إن المحتسب ده يبقى مفتش تموين العصر ده.

سنة ١٨١٧م بعد ما مصر دانت بالخضوع التام لمحمد علي.. كان عنده محتسب اسمه عثمان أغا الورداني.. الراجل شايف شغله بما يرضى الله لكن التجار المصريين في الأساس لا يعرفوا الله.. النتيجة العامة إن محمد علي قاله شكرا يا عم عثمان.. اقعد شوية انت في البيت.. أنا عندي واحد بقى هيعرف يتعامل مع الأشكال دي كويس.

واحد اسمه مصطفي الكاشف كرد.

ده واحد منعرفلوش أصل من فصل.. إنما نعرف كويس إن طالما الباشا وثق فيه.. يبقى أكيد ده راجل معندوش يامه ارحميني.

مسك مصطفى الكاشف الحسبة في مطلع رمضان ونزل يلف على الأسواق.. طاح في الناس ضرب وجلد وبهدلة.. اقتحم المحلات وطلع منها البضائع المستخبية "المتسقعة" واجبر التجار يبيعوا للناس بهامش ربح بسيط جدا.. انزل

عقوبات فورية على أي تاجر يشتبه في ذمته أو غشه في الميزان أو البضاعة.. سمع مرة إن بولاق فيها سمن كتير وقت أزمة سمن في باقي المحروسة.. راح على هناك متنكر وقدر يطلع ٣٥٠ برميل سمن كبير كان العسكر مخبيينهم.. هزأ العسكر وقالهم أنتم عسكر ليكم رواتب وسمن ولحمة.. كمان هتحتكروا التجارة وتزودوا الأسعار على الناس.. واخد السمن منهم بالعافية ووزعه على الناس.

مصطفي الكاشف كرد كان له عقوبات غريبة جدا.. اعتقد إن الهدف منها كان رسائل إرهاب لكل من تسول له نفسه السرقة أو الغش.

خد عندك مثلا..

راجل بياع قلل في سمنود "غربية" كان بيضحك على الناس ويقولهم القلل دي قناوي "سينييه يعني" من مصنع مستر قناوي شخصيا.. الناس اشتكوا من القلل المغشوشة.. مصطفى الكاشف أمر إن الناس تكسر القلل المغشوشة دي على دماغ البياع.

مره تانية كان بيلف في السوق فلقى خناقة بين جزار ومواطن.. المواطن بيقول إن الجزار اداله اللحمة ناقصة أوقيتين.. الكاشف أمر بقطع الأوقيتين من لحم جسم الجزار وحطوهم مع ورقة اللحمة.. وكان بيعاقب الجزارين الغشاشين عموما بخرم في مناخيرهم يعلقلهم فيه حتة لحمة معفنة.

مره تانية سمع خناقة بين مواطن وكنفاني.. راح جايب الكنفاني مقلعه البنطلون وقعده فوق صفيحة الكنافة المولعة.. الراجل يا عيني يصرخ ويستغيث.. لكن مين يقدر ينقذه من ايدين مرسال الباشا.. تتحرق "مؤخرتك" وللا تطير رقبتك؟

وقال الرجل وداعا يا عزيزتي الغالية.. أشوفك في عالم تاني أفضل بلا محتسب عنيف.. وفضل الراجل يا عيني نايم على بطنه لحد ما المصلحة خفت من الحرق.

لا تخلو جولات مصطفي الكاشف من الكوميديا..

مره قابل بياع بطيخ.. بكام يا حاج البطيخ ده.. والراجل مش بيرد.. يشاور بس على ودنه.. الكاشف يعيد ويزيد في السؤال.. والراجل مفيش عليه إلا ودني أهي.. بعد كده الراجل نطق وقاله أنا عارف إنك هتقطع ودني علشان السعر غالي.. علشان كده من الأول اهو بقولك اقطع ودني وخلصني.

ونجا الراجل من العقاب بسبب خفة دمه.. بس طبعا الكاشف اجبره يبيع بالسعر اللي قررته الحكومة.

ضجت التجار من أفعاله فقفلوا المحلات "عصيان مدني يعني" بالرغم من موسم رمضان والكحك والكنافة والياميش وخلافه.. صاحبنا الكاشف ولا في دماغه.. التاجر اللي يقفل محله بلا سبب كانت تتصادر بضاعته وتروح لتاجر تاني مع فرض أسعار اقل.. أديك واخدها ببلاش اهو.. المهم نفك ونسهل على الناس.

شايفين.. مفيش مهرب ولا مفر.. هتعمل اللي عايزه الباشا ورجلك فوق رقبتك.

التجار حاولوا يشتروه.. يرهبوه.. يقتلوه.. مفيش فايدة.. محدش عارفله سكن ولا بينام امتى ولا بيصحي امتى.. كان بينام في أي وقت وأي مكان.. وسط النهار ممكن تلاقيه مكوع جمب أي جامع ولا في دماغه.. الناس بدأت تحس بالفرق وان الراجل ده فعلا مش بيهزر.. ففتحوا المحلات تاني وبدأوا يتقوا الله في البيع والشراء.

يعني ممكن نقول إن مصطفي الكاشف كرد كان رجل عدالة اهو.. الأسواق اتظبطت والبضاعة توفرت.. صح كده؟

لا مش صح..

مصطفي الكاشف كرد كان بيمثل وجهة نظر محمد علي.. اللي على الكيف هو اللي يعدي واللي واقف في الزور تطير رقبته زي حجاج الخضري مثلا.. تمام زي ما قال الجبرتي في ملخص كلامه عن محمد علي..

"لو تميز هذا الألباني بالعدالة.. لصار أعجوبة عصره"

- ثواني كده.. انت قلت حجاج الخضري؟
- آه
- مين ده وعمل إيه؟
- ده راجل كان...

وللا أقولك.. خليها في الجزء الثاني من الكتاب.

ريا المملوكية وسكينة القلاوونية

أقروا معايا الحتة دي كده.. دي من كتاب السلوك بتاع المقريزي على فكرة.

"وكانت ذات حسن وجمال تمشى بالمدينة ومعها عجوز تطمع الناس في نفسها.. وكان من طمع فيها وطلبها تقول له العجوز تعال انت إلى بيتها".

<فاصل إعلاني>

إيه يا عم نظام MBC ده!!

أيوه.. ها.. وبعدين بقى.. قول بقى متبقاش غتت.

طبعا مخك راح ل +١٨.. يؤسوفني "بصوت سعيد صالح" أقولك معلش.. طلعت منك أوت.. لست أنا الرجل الذي يخوض في مثل هذه التفاهات.

إنما ممكن نخوض في بلاوي تانية مثلا.

◈◈◈◈◈◈◈

هات ايدك واطلع معايا أول عربية في آلة الزمن.. هنخطف رجلنا في مشوار سريع إن شاء الله نعود منه سالمين.. مشوار لحد سنة ٦٦٢ هـ.

مصر في زمن الظاهر بيبرس..

الله.. مش ده اللي هو رشدي أباظة في الفيلم إياه؟

هو رشدي أباظة في الفيلم وجمال عبد الناصر في المسلسل القديم وعابد فهد في المسلسل الجديد.. ده في السينما.. إنما في الحقيقة هو السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس العلائي البندقداري الصالحي النجمي.. أبو الفتوح.. المؤسس الحقيقي لدولة المماليك البحرية.. السلطان الحازم العادل الشجاع أوي.. اللي شال قلبه وحط مكانه زلطة سوداء ومهببة على دماغ عدوينه.

بيبرس حكم مصر ١٧ سنة.. قدر يحول فيهم مصر من شبه دولة أهلكها صراع آل أيوب مع بعض داخليا وهجمات التتار والصليبيين خارجيا إلى سلطنة عظيمة مهيبة الجانب.. أقصى اتساع للسلطنة المصرية "كأراضي" كان في عصر الظاهر بيبرس.. علشان كده سموه أبو الفتوح.

لكن مش كل سنين حكم بيبرس كانت وردية.

دخلت سنة ٦٦٢ هـ "١٢٦٤ ميلادي" على مصر دخلة وحشة أوي.. النيل شاحح والتجارة بارت.. الأسعار ولعت والأرزاق وقفت.. الغلاء كوى الناس لحد ما تحول اغلب الشعب إلى شحاتين.. شدة عظيمة جدا بهدلت الناس وأكلت مدخراتهم.

يعمل إيه السلطان؟

أمر بوقف التسعير وفرض على كل تاجر وأمير التبرع بقيمة ٥٠٠ أردب حبوب كل يوم للفقراء والأرامل والأيتام.. وأطلق المنادي في بر مصر يؤمر بتجميع الفقراء عند أسوار القلعة.. ولما اتجمعوا قسمهم على أولاده وعلى الأمراء وكبار التجار من أصحاب الأموال.. كل واحد من الأغنياء دول في رقبته ما تتحمله ثروته.. ١٠٠.. ٢٠٠.. ٥٠٠.. انت ومقدرتك.. بس هتكون مسئول عنهم مسئولية كاملة من مأكل وملبس ومأوى.

طيب والجزاء؟

عند الله..

طيب واللي يعترض؟

يصبح يلاقي نفسه زيهم.. ويمكن أفقر كمان.

يا أخي السلطان لما بيكون عادل.. بتحس إنك بتترحم عليه من جوا قلبك.

طيب.. الناس كانت بتصرف أمورها إزاي وقت الغلاء ده؟

العادي بتاع المصريين.. نبيع اللي حيلتنا.. نشتغل أي حاجة.. ننصب على بعض.. نشتغل في الولامؤاخذة.. مش مهم.. المهم نجيب فلوس.

ما عدا الجماعة دول بقى..

عملوا حل مبتكر ابن لزينا..

دي كانت واحدة ست اسمها غازية.. شابة وحلوة.. استخسرت نفسها في الفقر والمرمطة.. كانت تتزوق وتتعطر وتلبس الحتة اللي على الحبل وتسحب في ايديها ست عجوزة وتخرج تتقصع وتتمايل ناحية باب الشعرية.. والتحرش المملوكي يشتغل على ودنه..

- يا بت ياللي زي العصيدة والطباهج..
- مملوك من الحلمية هيمان في باب الشعرية..
- ممكن تشربي معايا قهوة في حانة ابن الأتابك تغري بردي؟؟

طيب هي كانت بتصورهم يعني وللا إيه؟

يا أخي تصورهم إزاي.. الوقت ده مكانش فيه كاميرات.. اللي بيحصل ان البنت كانت بترد بالنظرات الساحرة.. والست العجوزة تستلم الحوار مع الجدع من دول..

لو ليك مزاج.. تعالى انت.. هي متقدرش تيجي.. معندناش بنات تروح مع رجالة بيوت مملوكية غريبة.. نحن بنات عائلات محترمات.. آه.

ويقع الشاب من دول فريسة للتستوستيرون بتاعه.. يروح معاهم بيتهم زي البأف.. يتقفل علية الباب وهو ضارب حبايتين حتى مطلع الفجر ومجهز نفسه علشان لقاء نووي.. فجأة يطلعله من تحت الأرض ٢ رجالة زي الشحوطة يكتموا نفسه لحد ما يفرفر وبعدين يقلبوا الفلوس اللي معاه ويدفنوه مكان ما خنقوه بالظبط.

إيه ده!!!

حسب الله وعبد العال!!!

مش ده الفيلم بتاع ريا وسكينة؟؟

آه هو.. بس نسخة المماليك..

شهر كامل الناس عمالة تختفي وتموت ومحدش فاهم إيه اللي بيحصل.. غازية والعجوزة يصطادوا الرجالة أو النسوان المتصيغة.. يسمعوهم حسرة عليهم يا حسرة عليهم.. وبعدين اخنق يا معلم وادفن تحت الأرض.

لحد ما فيوم وقعوا في واحدة ماشطة..

الماشطة "الكوافيرة يعني" كان اسمها حداقة.. ست مشهورة أوي بتظبط الحريم للأفراح وكده.. معروف انها غنية ودفيانة.. راحتلها العجوزة وقالتلها عندنا عروسة وعايزينك بالعدة بتاعتك.. ومتنسيش تجيبي معاكي دهب وجواهر وحرير لزوم الضحك على دقن العريس وكده.. صدقتهم حداقة الماشطة وخدت معاها جارية تشيل عنها.. الجارية وصلتها بيت العجوزة وروحت.. ٤ ساعات.. ست ساعات.. ومفيش حس.. اليوم انقضى وحداقة مرجعتش.. راحت الجارية تسألهم فين ستي.. قالولها مشيت من بدري ومشفنهاش من بعدها.

مدخلش الفيلم ده على الجارية.. خدت بعضها وطلعت على صاحب الشرطة.. اللي هو أنور وجدي.. بلغته باللي حصل.. خد معاه قوة وجابهم من قفاهم على دار العسكر.. وهناك بقى إحنا عارفين إيه اللي بيحصل.

البت الجارية دي شكلها رزيلة وهاه أوي "بصوت المعلم عبد الرازق"

شلة الأنس اعترفوا بكل حاجة بعد ما نفخوهم ضرب وتعذيب.. راحت قوة العسكر على بيتهم يفتشوه.. لقوا حفرة كبيرة فيها عدد جثث مهول.. لما المؤرخ يقول "فيها خلق عظيم مقتولين" يبقى اعتقد ان العدد لن يقل عن ١٠٠ جثة في المتوسط.. متحاولش تقارن هنا بريا وسكينة.. أيام المماليك مكانش في بلاط ولا سيراميك للبيوت والبيوت كانت واسعة.. يعني سهل أوى تعمل حفرة زي دي.. ده غير ان غازية وصحبتها اتنقلوا من مكان لمكان.. وزي ريا وسكينة بالظبط.. كل بيت سكنوا فيه كان فيه مقبرة جماعية.

أمر السلطان بقتل العصابة كلها.. ٥ أفراد وحرمتين بالإضافة إلى طواب "بتاع طوب يعني" كان بيستلم منهم الجثث ويرميها في محرقة قمائن الطوب علشان يخفي أثر الجريمة... سمروهم على صلبان خشب وسابوهم متعلقين لحد ما ماتوا كلهم ما عدا الحرمة غازية نفسها.. اتوسطلها بعض الأمراء فأفرجوا عنها.. الناس سموها غازية الخنّاقة.. ربنا مكتبلهاش تعيش كتير بعد الإفراج.. اتفق بدر الدين العيني في عقد الجمان وابن أيبك الدواداري في كنز الدرر وجامع الغرر انها عاشت بعد الإفراج يومين بس.

طيب الكلام ده حصل قبل أو بعد كده؟

هل هو حادث اعتيادي في مصر وللا غريب على المجتمع حصل بسبب الغلاء والفقر؟

بعد كده آه.. ريا وسكينة اهو..

قبل كده.. بيقول المقريزي في السلوك ان يوم الأربعاء ١٢ ربيع الأول سنة ٧٥٠ هـ اتشنقت جارية رومية عند باب النصر بسبب انها اتفقت مع باقي الجواري على قتل ستهم أم الأمير يلبغا اليحياوي عن طريق الخنق بالمخدات.. وبعدين سرقوا فلوسها.. وتاني يوم عملولها جنازة وشبعوا فيها عياط ولطم.. تمثيلهم دخل على الناس لولا ان واحدة فيهم استقلت نصيبها في المسروقات راحت جاية فاضحة الكل.

نسوان مخها طاقق.

وراح المقريزي سارد بقى كام حادثة مشابهة.. بجملة الكلام يعني.. تحس انه افتكر مرة واحدة.. راح جاي حاكي حكاية غازية الخنّاقة بتاعة السلطان بيبرس.. وحكاية واحدة تانية اسمها الخنّاقة برضه بس دي كانت أيام المنصور قلاوون "قلاوون الكبير" واللي قبض عليها وقتلها كان الأمير علم الدين سنجر الخياط "والي القاهرة".. وواحدة ثالثة كانت قوية شوية.. دي الواحد فرح فيها والله لما عرف انها اتشنقت.. ظهرت أيام الناصر محمد بن قلاوون في أرض الطبالة.. كانت بتخطف النسوان وتقتلهم هي وأهلها.. قبضوا عليهم الشرطة

وسمروهم على صلبان خشب برضه ولفوا بيهم القاهرة على الجمال علشان الناس تتفرج عليهم.. النسوان كانت تشمت فيها وهي تبص وتقولهم..

"آه يا قحاب.. لو عشت لكن لأفنيتكن.. ولكن ما عشت".

عارفين حسب الله وسكينة قالوا إيه وهما على حبل المشنقة؟

سكينة قالت "آه.. اني قتلت النسوان.. اني جدعة وغفلت الحكومة"

حسب الله قال "لو كنت عشت سنة واحدة كمان.. لكنت قطعت لكم دابر العواهر وحرمتهم يمشوا في الشوارع"

هل أثرت الحكاوي الشعبية في ريا وسكينة ومنها خدوا طريقتهم في إخفاء الجثث؟

معقول التاريخ بيتكرر بالتطابق المرعب ده!!!

والشيء بالشيء يذكر بقى..

من ضمن حملات تسطيح العقل المصري والضحك على دقون الناس الطيبة اللي بتصدق أي حاجة والسلام.. الحدوتة دي..

من كام سنة كده طلع مخرج على واحدة من القنوات الفضائية وتمخض لا فض فوه وأفتى بأن ريا وسكينة كانوا أبطال شعبيين تخصصوا في قتل عسكر الإنجليز.. وان الجثث اللي لقوها في بيوتهم دي ما هي إلا جثث عساكر انجليز.. وعلشان البلد كانت محتلة وقتها والانجليز مسيطرة على كل حاجة.. فخرجت لنا القصة المزورة اللي إحنا عارفينها دي وأوردها صلاح عيسى بتفاصيل التفاصيل في كتابه المشهور "رجال ريا وسكينة".

وتردد الناس في الحكاية وتعيد وتزيد وتجوّد كمان.. بقى في ناس تقولك يا أخي انت مش مصدق ليه.. ده ال "BBC" نشرت الكلام ده.. دخلت أدور وأشوف إيه الليلة.. وطلع الكلام كله ما هو إلا تخريف في تخريف زي ما كنت متوقع.

محطة ال "BBC" كاتبة كده بالظبط.. فيلم جديد بيقدم فكرة براءة ريا وسكينة.. يعني "BBC" نفسها مقالتش انهم أبرياء وللا لأ.. واللينك اهو

http://www.bbc.com/arabic/tvandradio/2015/12/151223_xtra_raya_skina

- طيب يا حضرة المخرج المصري.. في دليل على كلامك ده؟
- لا
- في أي ورقة حكومية أو غير حكومية ذكر فيها ما شابه من كلام حتى؟
- لا
- طيب ذاكرة الناس الشعبية.. هل في شهود حكوا القصة دي؟
- لا
- طيب حفيد ضحيتهم نظلي أبو الليل اللي لسه عايش في بحري لحد النهاردة وبينفي كلام حضرتك ده.. نقوله إيه؟
- مش عارف
- طيب كم الأدلة والتحقيقات والمستندات والصور وتقارير الطب الشرعي الموجود في المتحف الحربي.. انت عارف يعني إيه متحف الأول؟؟
- آه عارف.. كله فستك ومزور
- مين قال؟
- أنا
- في دليل غير حضرتك؟
- لا.. أنا وبس
- قلتلي انت بتشتغل إيه؟
- مخرج سينما
- مخرج.. مش مؤرخ ولا باحث ولا دارس تاريخ يعني.. تصدق ظلمتك يا أخي.. وأنا اللي كنت فاكرك بتعمل قلق ودعاية علشان الفيلم اللي حضرتك بتحضره.

لنا الله

غادة رشيد

- أنا يا أستاذ.. أنا يا أستاذ
- قول يا احمد
- يتفرع نهر النيل من بداية الدلتا إلى فرعين.. فرع دمياط وفرع رشيد.. وتتميز الدلتا في مصر بخصوبة الأراضي ووفرة المياه الملائمة للزراعة.. لذلك قال عنها المؤرخ العظيم هيرودوت.. مصر هبة النيل.
- برافو.. سقفوله.

كنت صاروخ في الجغرافيا والتاريخ في المدرسة على فكرة.. كنت بحفظ الكتب عن ظهر قلب زي أسمي.. عمري ما سألت عن دمياط ورشيد دول.. طول عمري اعرف انهم فرعين النيل وخلاص.. لحد ما دخلت الإعدادي كنت فاكر إن رشيد لسه فيها المماليك بيحاربوا حملة فريزر.. ولما كبرت شوية وأختي اتجوزت عرفت إن دمياط هي مركز صناعة الخشب والموبيليا والمشبك في مجرة سكة التبانة.

عرفت دمياط وزرتها كذا مرة.. لكن فضلت رشيد برضه مجهولة.. ملهاش ذكر إطلاقا إلا في كتب الدراسات الاجتماعية في المرحلة الابتدائية أو في دنيا الأدب في رواية الشاعر على الجارم "غادة رشيد."

حتى لما عادل إمام عمل فيلم رسالة إلى الوالي وظهر فيه بطل الفيلم الفارس حرفوش بن برقوق الراكبدار بتاع النسوان.. كانت بدايته من رشيد.. قلت أخيرا اهو هنشوف حاجة عن رشيد أهو.. لقيتهم جايبين اسم محافظ رشيد غلط "اسمه الحقيقي على بك السلانكلي مش السلانيكى" والتصوير تم في القاهرة ولا أي ذكر عن رشيد خالص.

يا إخوانا.. يا ناس..

رشيد تبقى مدينة مصرية.. فيها ٣٧ أثر ولها تاريخ عظيم جدا.. فيها ناس عايشة محتاجة نظرة يا حكومة بدل ما يطلبوا حق اللجوء السياسي لإيطاليا اوعدنا يارب اللهم أجمعين.. فيها بوغاز بيطلع منه مراكب هجرة غير شرعية شايلة شباب صغير كله أمل وطموحات انه هيروح أوروبا ويبقى النمر الأسود موخاماد خاسان أو يشتري مطاعم توسكانينى ويتجوز مزة أوروبي زي القمر ويرجع يغيظ إيمان وأم فرحات جارتهم.. بس للأسف اغلبه بيتحول إلى وجبات لأسماك المتوسط.. خدي بالك من رشيد يا حكومة.. على الأقل كرامة لبطولات أهلها قصاد حملة فريزر سنة ١٨٠٧م .

أو كرامة لزبيدة بنت محمد عبد الرحمن البواب الميزوني..

غادة رشيد.



لما تفتح كتاب الجبرتي وتقرأ عن حملة الفرنسيس على مصر هتحس إن الموضوع كان أكبر من كونها مجرد حملة عسكرية جت قعدت ٣ سنين ومشيت بعد ما اتقتل واحد من أهم قوادها.

هتحس إن الموضوع أكبر من شوية لصوص جت مصر علشان تسرقها وتفرض على شعبها غرامة مليون فرنك بينما السلطان العثماني كان بيحفى علشان يطلع منها ٣٠٠ ألف ومعرفش.

الموضوع أكبر من جيش متطور ومماليك خونة وشعب مقهور وقصص بطولات وملاحم شعبية.. الموضوع أكبر من نابليون ومراد بك وإبراهيم بك وعمر مكرم ومحمد علي ونفيسة البيضاء ومصطفي البشتيلي واحمد المحروقي والشيخ الجوهري والشيخ السادات.

الموضوع يا سادة إن نابليون جه مصر علشان يوسع فرنسا.. يزود مساحة فرنسا.. يبني المجد لفرنسا.. بونابرته كان معاه خطة عظيمة وطموحة جدا لبناء مستعمرة فرنسية في الشرق تقطع خطوط التجارة بين أوروبا وآسيا وتنكد على أعداؤه الانجليز ليل ونهار كل ما يفكروا يبعتوا أو يستقبلوا حاجة من الهند.. كم العلماء والباحثين والأطباء والصنايعية المصاحب للحملة يقول

إن نابليون مكانش جاي مصر ياكل عيش ولا جاي في سلام ولا جاي يخلص مصر من المماليك زي ما قال.

الراجل ده جاي علشان يقعد ويطول.. ما علينا انه دخل البلد بالحنجل والمنجل والمسكنة.. العين الحمراء ظهرت وقت اللزوم.. مفيش حد بيتحرك بجيش معاه كل السلاح ده وكل الجنرالات دي إلا لو كان ناوي على الشر.

والشر بدأه فعلا نابليون..

والشر طال صاحبه كليبر..

كليبر الحقيقة كان قليل الأدب ورذيل أوي.. معندوش احترام للناس ولا هو كلمنجى ولسانه طليق زي مديره ولا هو أساسا كان مقتنع أساسا بجدوى الحملة مصر.. فضل يطلع زهقه علينا ويستفز في الناس ويقل أدبه على الخلايق لحد ما فلتت أعصاب سليمان الحلبي وراح مناوله بالسكينة فمنطقة حساسة جاب اجله علطول.

أحسن.. يستاهل.. ده كان راجل وسخ.

جميل.. مين بعد كليبر بقى يمسك الحملة اللي نابليون سابها غرقانة وهرب دي؟

الجنرال جاك فرانسوا مينو.. حاكم رشيد.

العقل يقول إن القيادة دايما للأصلح.. الأقوى.. الأذكى.. الأشجع.. أي حاجة حلوة يعني تميز القائد عن باقي العساكر ..

مش كده؟

آه.. بس مش ده اللي حصل في الحملة الفرنسية على مصر.. يبدو إن عندهم وسايط برضه وتوريث وبيروقراطية وحاجات كده.. اللي حصل إن مينو مسك قيادة الحملة وهو واحد من أسوأ جنرالات فرنسا.. لا لشيء إلا انه أكبر الجنرالات سناً.. أقدمية يعني.. في العسكرية الأقدمية طبعا لها اعتبار.. لكن مش في القيادات.. اللي بيحصل في الجيوش إن القيادة لازم تكون متنقية على

الفرازة.. ولو هيجيبوا قائد لجيش مثلا وفى أكبر منه سنا في الخدمة لسه.. يقوموا يحيلوا الكبير ده للتقاعد علشان ميبقاش في قفش.. المهم إن الكوماندر يبقى شخص غير عادي.

أمال إزاي بقى مينو وصل للمنصب ده؟



اختفي الوجه الناعم لبونابرته وراح كلامه المعسول والإيمان اللي كان بيخر من لسانه مع أول خلاف أو قلق من جهة المصريين.. والشر اللي بدأه نابليون طال صاحبه كليبر لما زود في قلة الأدب وتعمد يهين الشيخ السادات ويضربه على رجليه وهو ابن الأكابر الأشراف.

رذالة كليبر بانت بعد ما نابليون مشي.. بني آدم لا يعرف معنى كلمة الاحترام أو الدبلوماسية اللازمة للقيادة حتى لو كانت قيادة استعمارية.. مكانش مقتنع بجدوى حملة مصر من الأساس وعمال يطلع زهقه على الناس في مصر ويستفزهم ويقل أدبه على الخلايق لحد ما فلتت أعصاب سليمان الحلبي بعد أفعاله من الشيخ السادات وراح طالع عليه في جنينة القصر وهو عامل فيها شحات.. كليبر قاله بغطرسة مفيش مفيش.. امشي.. فضل سليمان الحلبي متنح وهو بيشاور على ايد كليبر.. كليبر افتكره عاوز يبوس ايده.. كليبر مدله ايده بكل غرور وكبر.. سليمان مسك ايد كليبر بأيده الشمال.. ومن قلب جلابيته الرثة راح مطلع سكينة بنت حلال سلاحها بيضوي تحت ضوء الشمس.. رفع سليمان دراعه اليمين لفوق بالسكينة.. ضوء الشمس انعكس من النصل اللامع زغلل عيون كليبر.. عيون كليبر أدركت إن ملك الموت قاعد مستعجل أوي على سن نصل السكين ومفيش أي مهرب من الذراع القوي اللي ماسكه من ايده اليمين.. ملحقش كليبر ينده لعساكره ولا يطلب الغوث من كبير المهندسين المعماريين بروتان اللي كان بيتمشى معاه.. سليمان الحلبي ناوله بالسكينة فكرشه ٤ طعنات ورا بعض منهم واحده مفترية بنت أبالسة جابت اجله.. بروتان حب يعمل منظر كده ويدافع عن كبيره.. سليمان هوشه ب ٦ طعنات لم تكن كافية لإنهاء حياته القذرة.

غار في داهية كليبر.. واستشهد وسكن الجنة بإذن الله سليمان الحلبي..

على خلاف العقل والمنطق.. مسك مينو قيادة الحملة في مصر.. مش عن كفاءة أو تاريخ عسكري مميز.. إنما لأنه كان أكبرهم سنا.. أقدمية يعني.. مفيش تفسير لسكوت الجنرالات على وجود واحد مدهول زي ده في المنصب ده إلا انه كان جنرال "على ما تفرج".. جنرال لحد ما فرنسا الكبيرة تبعتلهم جنرال تاني من اللي بيعرفوا.. عموما.. أيا كان السبب والتفاصيل.. الخلاصة هنا إن مينو جنرال هفأ مسك مكان جنرال دموي في وقت الحملة فيه فشلت في تحقيق أي هدف من أهدافها والبلد بتغلي والشباب والمشايخ والفتوات سنانهم حامية أوي على الفرنسيس وكل يومين في ضرب وعركة وخناق وقلق بينما جنرالات الحملة نفسهم تقبلوا وجود مينو على مضض.

يعمل إيه بقى مينو علشان يأمن نفسه؟

قالك أنا هتجوز..

ومش أي جواز.. أنا عاوز أتجوز بنت مصرية من أسرة كبيرة ذات حسب ونسب.. الجماعة المصريين دول بيؤمنوا بفلان ابن فلان وعلان ابن ترتان.. يبقى من المنطقي اني لما ابقى جوز بنتهم.. زي ابنهم يعني.. هينوبنى من حب الحماية جانب.. مش هبقى لوحدي كده فوش الكل..

وبدأ مينو يقلب في "أسر" البلد بحثا عن عروسة..

خد بالك.. بيقلب في الأسر مش في البنات.. هو فعليا مش ناقص حريم ولا عاوز جواز من أصله.. هو عايز حماية وبس.

انتشر خبر بحث مينو عن عروسة وأسرعت عائلات رشيد تجوز بناتها من شباب مصريين فوراً.. كل ما مينو يدق باب.. يقولوله معندناش بنات للجواز.. ومنهم على فكرة أسرة الجارم.. اللي ينحدر منها الشاعر علي الجارم صاحب رواية غادة رشيد.

ولأن الحلال أجمل سأنتظر فضل رينو يدور على بنت الحلال لحد ما وقع على صاحبتنا دي..

صاحبتنا تبقى زبيدة بنت تاجر الأرز المعروف محمد عبد الرحمن البواب الميزوني..

مفيش ناس اتكلموا كتير عنها وعن سيرتها.. معرفش الحقيقة الشاعر على الجارم جاب منين انها كانت عذراء ساحرة الجمال والشباب هتموت عليها وكم دلدلقة المشاعر والمحن اللي كتبه في روايته ده.. المتوافر عنها من كذا مصدر انها كانت ست عادية الجمال جدا ومش آنسة.. دي كانت زوجة لواحد من عسكر الاوجاقيات العثمانية اسمه سليم أغا نعمة الله ولسه مطلقة جديد لما شافها مينو.. يعني مأوفتش عدة.. ومش بعيد كمان تكون نكدية وبتدي جوزها كيس الزبالة وهو نازل وفضلت تقوله رايح فين وجاي منين لحد ما زهق وطلقها.

في رسالة من مينو لواحد من جنرالات الحملة بيتكلم فيها عن زبيدة بيقول فيها..

"زوجتي طويلة القامة، مبسوطة الجسم، حسنة الصورة من جميع الوجوه، لها عينان رائعتان، ولون بشرتها هو اللون المصري المألوف، وشعرها طويل فاحم، وهي لطيفة الطبع، وجدتها تتقبل كثيرا من العادات الفرنسية بنفور أقل مما توقعت، وأنا لم ألح عليها بعد في الخروج سافرة على الرجال، فهذا سيأتي شيئا فشيئا، ولن أنتفع بما أباحه النبي من الزواج بأربع نساء خلاف السراري، فإن في النساء المسلمات شهوة حارة عنيفة، وفى زوجة واحدة أكثر من الكفاية".

يبدو كده إن مينو كان مبسوط بيها أوي.. حتى إن إجازة جوازهم كانت شهرين عسل مش شهر واحد.. عريس جديد بقى وكده سامحوه يا ناس لسه ميعرفش.

بس هنرجع تاني نلاقي عبد الرحمن الرافعي في تاريخ الحركة القومية بيقول إن مينو لم يقصد زبيدة بالذات، وإنما كانت لديه الرغبة في مصاهرة عائلة تتصل بالسلالة النبوية.

جميلة.. مش جميلة..

آنسة.. مش آنسة..

كل ده مش مهم.. المهم هنا هو إن أبوها تاجر ومليونير ومعروف.. وهو ده السبب اللي جاب مينو لحد عندهم طالب القرب والنسب.. هو ده اللي خلاه رضخ لكل شروط أسرة الميزوني علشان ياخد بنتهم.. أعلن إسلامه وسمى

نفسه عبد الله مينو.. كع دم قلبه في المهر.. ١٠٠ محبوب "كيس" كل واحد منها بمائة وثمانين نصف فضة.. مؤخر صداق قيمته ٢٠٠٠ ريال فضة تاخدهم من حباب عينيه سواء اتطلقت أو مات وهي في عصمته.. اهو ده بقى عيب اللي يروح يتجوز من غير ما ياخد أمه معاه.. هيلبس هيلبس.. مش بعيد كمان مينو يكون مضى على الدهب في القايمة.. ماهو خايب.

تم الزواج في مارس ١٧٩٩م بمراسم إسلامية وعلى يد مأذون واتوثق في محكمة رشيد الشرعية في وجود شهود مسلمين من أكابر رشيد زي العلامة السيد أحمد الخضري المفتي الشافعي والشيخ محمد صديق المفتي الحنبلي والسيد محمد المفتي المالكي.. كل ده موجود في وثيقة زواجهم المعروضة في متحف رشيد الوطني.. لحد النهاردة على فكرة.

انتقل مينو للعيش مع زبيدة في بيتها الفخم أبو ٤ أدوار واللي ما زال موجود لحد النهاردة في رشيد يشهد على مكانة آل الميزوني.. مش كده وبس يا معلم.. ده بعد سنة بالظبط من الزواج الميمون شق سكون الليل في رشيد صراخ طفل وليد في بيت الميزوني.. طفل اسمه سليمان مراد جاك فرانسوا مينو..

شفت نفسنة الجنرالات؟؟

مينو علشان مكانش بيحب كليبر.. راح جاي مسمى ابنه سليمان.. على اسم سليمان الحلبي.

جنرالات الحملة طبعا ولعوا منه.. إزاي يهين ذكرى كبيرهم الراحل بالشكل ده.. كليبر على فكرة كان نموذج للجنرال الفرنسي.. مكانش مكروه بين أهله خالص.. مينو هو اللي كان هفأ وبيكرهه..

عموما.. كلهم في الكلوبية سواء.

وكسب مينو عداوات زيادة فوق العداوات اللي كسبها لما أعلن اعتناقه للإسلام علشان يتجوز زبيدة.

لويس عوض في كتابه تاريخ الفكر المصري الحديث "الجزء الثاني" بيقول إن مينو – أو عبد الله – كان بيعامل زبيدة معاملة سيدات الطبقة الراقية الفرنسية.. اتيكيت بقى وحركات.. يسحب لها الكرسي علشان تقعد.. يمدلها ايده علشان تطلع السلم.. يجيبلها منديل الأكل لو وقع منها.. حاجات المحن

اللي بتعجب الحريم الخايب دي.. وادعى لويس عوض إن ده كان مفتاح تحرر وتطور المرأة المصرية.. وكالعادة اتهاجم لويس عوض لأنه مزور وكلامه بلا أي مرجعية محايدة.. إنما كان دائم الاستناد إلى هواه الشخصي.

(الزوج الفرنسي لو سحب الكرسي لمراته علشان تقعد.. يبقى اتيكيت.. بينما الزوج المصري لو عمل كده يبقى ابن كلب وبكرش.. إيه يعني الزوج المصري سحب الكرسي لمراته جامد شوية فلما جت تقعد قعدت على الهواء ووقعت!! ذنبه يعني انه قوي.. مش هنبطل بقى عقدة الخواجة دي!!)

الثابت في التاريخ إن أيام عسل زبيدة مع مينو مطالتش كتير.. الانجليز والأتراك اتفقوا على وجوب خروج فرنسا من مصر.. ولما تسمع كلمة اتفاق الانجليز مع الأتراك يبقى لا تخرج قبل أن تقول سبحان الله.. واللي يقولك الأتراك والإسلام والإسلام والعثمانيين ابقى حط صوابع ايديك في عينيه الاتنين.. الأسطول الإنجليزي حاصر مينو في إسكندرية ووقع مينو في مأزق.. اضطرت زبيدة انها تهرب من رشيد وابنها على كتفها على الرحمانية ومنها إلى القاهرة.. عاشت شوية في بيت محمد بك الألفي في الأزبكية وبعدين لما الضرب سخن طلعت استخبت في قلعة الجبل في انتظار ما ستسفر عنه الأحداث.

والأحداث أسفرت عن هزيمة مينو وركوبه السفينة ديدون في رحلته الأخيرة للخروج من مصر إلى ميناء تولون في فرنسا..

المنطق يقول إن زبيدة تنفضله وترجع بلدهم.. مش كده؟

آه.. ده المنطق..

طيب.



إحنا دلوقتي في الإسكندرية.. مينو مستني زبيدة تحصله علشان يغور من مصر بلا عودة بعد فشل حملة البلطجة الفرنسية على مصر.. بمساعدة الجنرال ديزييه وخادمها المصري سرور قدرت زبيدة تلحق جوزها على نفس السفينة بعد مفاوضات كتير.. تخيل إن الانجليز كانوا عاوزين يردوها لأهلها.. وهي مصرة تمشى مع جوزها.. ويودعوا الاتنين مصر سوا في الطريق إلى فرنسا.

وقفت زبيدة جمب مينو في كل أزماته وأولها مرضه وهو على ظهر السفينة.. لكن مينو مكانش راجل جدع.. أول ما وصلوا فرنسا هو اتعين حاكم على إقليم فلورنسا.. ساب زبيدة لوحدها في مرسيليا بدون أي مصدر دخل ولا إنفاق ولا معاها أي حد إلا خادمها سرور.. سابها لوحدها بعد ما استولى على كل دهبها ومجوهراتها اللي قدرت تخرج بيها من مصر.. هو رجع تاني للمسيحية ونفض خالص لزبيدة وابنها.. لم حواليه بنات ورقاصات المواخير اللي كان بيسهر فيها كل يوم وعاش حياته بالطول وبالعرض وسايب البنية تتحرق هي وابنها.. كل ما يهفه الشوق للمزة المصري كان يروح يقضي الليل عندها.. يروق مزاجه ويرجع تاني لشغله اللي مسك فيه حكم ٣ أقاليم في ٥ سنين.. وهي ولا كأنها كلبة.

كل ده وزبيدة ساكتة ومش بتنطق.. مفيش أي اعتراض.

نتيجة سوء سلوك مينو تم طرده من العسكرية الفرنسية واتحرم من أي مركز قيادي.. تراكمت عليه الديون وأفلس بعد ما خلص منه دهب زبيدة.. بينما زبيدة على وشك إنجاب الطفل الثاني منه.. مينو حب ياخد الطفل الثاني يعمده مسيحي وكفاية الأولاني اللي فلت منه بإسلامه.. زبيدة رفضت وقالت "لا أنصّر ولدي أصلا".. مينو ضحك عليها وجابلها واحد من المستشرقين بتوع مقارنة الأديان اسمه البارون دساسي.. واحد من الناس المطلعة على الدين الإسلامي ولغات الشرق ويملكوا مهارات النصب بتاعة نوال سعداوي وسيد القمني.. عملوا كماشة على الست وأقنعوها إن الإسلام لا يمنع تعميد الطفل كمسيحي والدليل اهو..

"إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ"" البقرة-٦٢ (١٢)

وانطبق الفخ على الست غير المتعلمة.. مقدرتش ترد عليهم طبعا ووافقت على تعميد ابنها مسيحي.. مسألتوش مثلا لما هو عادي كده ومفيش فرق بين كون الطفل مسلم أو مسيحي.. انت ليه هتموت وتعمده مسيحي؟

(١٢) هذا ما ذكره رفاعة الطهطاوي في تلخيص الإبريز وما ذكره محمد جلال كشك في "ودخلت الخيل الأزهر" من طرق التدليس على زبيدة.. لا هو بالرأي الشرعي ولا يعبر عن وجهة نظر كاتب هذه السطور اطلاقا

مينو أخد منها الواد بعد ما اتعمد مسيحي واداه لأسرة فرنسية تربية بينما هو فص ملح وداب لحد ما مات في داهية سنة ١٨١٠م. يعني ضحك على البت في مصر.. سيبها أهلها وحالها ومحتالها في مصر وخدها معاه فرنسا.. أخد منها ابنها التاني ورماها من غير مصاريف ولا مصدر رزق بيصرف عليها خدامها.. وفوق من ده كله مات ومسابلهاش أي حاجة.. ولا حتى سيرة كويسة تتسند عليها.

إيه بقى حصل لزبيدة بعد كده؟

محدش عارف..

محدش قدر يتوصل لأولادها ولا ليها هي شخصيا.. كلها تكهنات مؤرخين عن انها اشتغلت في الدعارة وتحولت للمسيحية علشان تقدر تعيش في فرنسا.. مفيش أي حكايات مؤكدة عن الست المنكوبة دي إلا ما حكاه رفاعة الطهطاوي في تخليص الإبريز لما هو راح فرنسا تبع بعثات محمد علي.. حكى عن عودة مينو للمسيحية وقلعه العمامة ولبسه للبرنيطة الفرنساوي وتعميد ابن زبيدة الثاني مسيحي.. حكي عن زبيدة كواحدة كده من ضمن المصريين اللي شافهم في فرنسا.. غير كده مفيش أي رواية مؤكده عن زبيدة نفسها.. عاشت فين وماتت إزاي وهل ماتت على الإسلام أم تحولت للمسيحية.. وفين ولادها بالظبط.

محدش عارف..

طيب إيه خلاها تسافر معاه؟

هنقول العرق المصري الطيب في كون الزوجة تمشي ورا جوزها..

طيب ماشي.. مشيتي وراه وسافرتي.. طلع وسخ وبخيل ورمة وراميكي في بلد وهو عايش مع اللي زيه في بلد تانية.. انتي عايشة إزاي مع خدامك كده.. مش ده غلط لأنه مش محرم؟؟

ولما لقيتيه بالوساخة دي.. مرجعتيش مصر ليه؟؟

اهلك زي ما هما.. عزوة وسند ومفيش أحسن من كده مكان ترجعيله خصوصا إن الكلب مينو مخدكيش على باريس ولا شفتي ريحتها.. مفيش غير مرسيليا وشوارعها المليانة بروث الخيل.. مش أملة يعني لو اتقارنت ببلدك رشيد وبيتك الفخم الواسع المليان خدم وحشم.. مفيش أي سبب منطقي أو

غير منطقي يخليكي تقبلي تكملي حياتك في بلد لا ليكي فيها حد ولا تعرفي لسانها ولا انتي على دينها أساسا.

مش كده برضه!!

عموما.. مفيش أي خبر أكيد عن زبيدة بعد موت مينو.. الأكيد بس إننا عرفنا إن مينو كان ابن كلب رمة زيه زي باقي الفرنسيس مش زي ما درسولنا في كتاب المدرسة قبحه الله من انه كان طيب ومسلم وحبيب المصريين.. خلاصة القراءة في تاريخ الحملة الفرنسية انه إن شاء الله لو الزمن لف وقدرنا على الفرنسيس.. يبقى لا تأخذنا بهم رحمة ولا شفقة.. العين بالعين والسن بالسن وهما اللي بدأوا مش إحنا.

طيب ما يمكن ده تصرف فردي من الجنرالات.. إنما العساكر غلابة.. أكيد يعني مكانوش زي قياداتهم.

أرد أقولك إن عسكر الفرنسيس لما عرفوا انهم ماشيين من مصر انطلقوا زي المساعير ينهبوا كل ما طالته أيديهم من جواهر ونفائس وآثار.. واللي كان يملك فيهم أي شيء كان بيبيعه بالقوة للمصريين.. ومن ضمن الممتلكات.. النساء.

النساء يعني الجواري والزوجات برضه..

اوعى تقع في فخ التفرقة بين اللواء والعسكري.. شوف رب العزة قال إيه في سورة القصص.. الآية ٨..

" فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ "

واخدلي بالك انت..

فرعون.. وهامان.. وجنودهما..

الجنود.. ذراع الظالم.. سوط الفرعون.. هما دول الأدوات اللي من غيرها فرعون كان بقى بطة بلدي.. هما دول اللي مفروض الأول تدفنهم بالحياة قبل ما تحاصر فرعون منفردا في طابيته وانت بتجري وراه وبتطارده لحد ما تزنقه في الآخر فوق القلعة وظهره للأرض قبل ما تقرب منه وتروح رافسه بالرجل

على طريقة محمد رمضان علشان يقع من فوق تلال الظلم والطغيان على جدور رقبته تنكسر.

التاريخ بيقولنا إن فاااراااج مش بريء..

اوعى يصعب عليك الشاويش عبد المعطي..

دول ولاد ستين كلب زيهم زي اللي مشغلهم بالظبط..

هما دول السبب في إن زبيدة عاشت في أواخر أيامها عيشة ضنك وهي بنت الحسب والنسب..

ربما كانت بتسرح في الشوارع تبيع ورق يانصيب..

ربما كانت بتكسب من بيع الخضار أو بيع الخمور أو تنظيف إسطبلات خيول أسر النبلاء الفرنسيس..

ربما كانت بتلف على كعوب رجليها طول النهار علشان ترجع البيت آخر اليوم بشوية فرنكات قليلة يا دوب تكفي تمن الساليزون والكرواسون أو شوية طبيخ اورديحي من غير اللحمة والفراخ والهبر بتاعة مصر أيام العز..

ربما كانت بتقابل الطلبة المصريين اللي بعتهم الوالي الألباني الجديد وتقعد تسمع منهم حكاوي مصر المحروسة الجديدة..

ربما شحتت فلوس فيوم من حسن الإسكندراني أو حسين أفندي أو قاسم الجندي..

ربما رقصت في يوم لإبراهيم وهبة والأخبار وصلت لأفندينا في مصر علشان تتسبب في جواب التهزيء اللي بعته الوالي الجاد جدا من مصر للأفندية المغتربين في الخارج بغرض تحصيل العلم ..

ربما.. كل شيء وارد..

بس الأكيد انها كانت بتقعد كل يوم بليل تفتكر نبوءة العرافة اللي قابلتها في رشيد وهي طفله وقالتلها "في يوم هتكوني ملكة أكيد يا زبيدة.. الطالع بتاعك بيقول كده"..

صحيح.. كذب المنجمون ولو صدفوا ..

وصدق كل من قال إن الفرنسيس ما هم إلا مجموعة من اللصوص الدمويين أعداء الإنسانية والحضارة والأديان..

من فرنسا بدأت دعوات الحملات الصليبية القذرة على يد البابا اوربان الثاني سنة ١٠٩٥م.

ومن فرنسا خرجت حملة نهبت آثار وكنوز مصر بعد ما سفكت دماء أكثر من ربع سكان القاهرة..

ومن فرنسا انطلقت الجحافل علشان تعيث في الجزائر والمغرب وتونس فساداً ودموية..

ومن فرنسا انطلقت رسومات كاذبة صورت الفلسطينيين بيقتلوا اليهود بينما العكس هو اللي كان حاصل..(١٣)

وفى فرنسا حاليا جريدة تخصصت في إهانة الأديان وخصوصا الدين الإسلامي..(١٤)

في فرنسا حاليا تمثال لفرانسوا شامبليون في مدخل جامعة السوربون وهو حاطط رجله فوق تمثال رأس أخناتون.. (١٥)

ومن فرنسا انطلقت شائعة سخيفة بتقول إن رمسيس الثاني هو فرعون الاضطهاد عن طريق طبيب باطنة كاذب.. (١٦)

يا فرنسا قد مضى وقت العتاب

وطويناه كما يطوى الكتاب

يا فرنسا إن ذا يوم الحساب

فاستعدي وخذي منا الجواب

"كلمات من النشيد الوطني الجزائري".

---

(١٣) جريدة "Le petit Journal" غلاف عدد ٨ سبتمبر سنة ١٩٢٩م.

(١٤) جريدة شارلي ابدو

(١٥) اليوم السابع.. بتاريخ ١١ فبراير ٢٠١٣

(١٦) طبيب يهودي اسمه موريس بوكاي استغل وجود مومياء الملك رمسيس الثاني في فرنسا للعلاج والترميم وألف كتاب مليء بالأكاذيب اسمه القرآن والتوراة والإنجيل والعلم افترض فيه ان رمسيس الثاني هو فرعون الاضطهاد وابنه مرنبتاح هو فرعون الخروج وضم الكتاب كم غير عادى من التدليس والتفسير الخاطئ لآيات القرآن الكريم

البيضة والحجر

سنة ١٩٩٠ السيناريست محمود أبو زيد قدملنا فيلم تحفة يحمل نفس اسم عنوان المقال.. العبقري الراحل أحمد زكي حوله إلى تحفة شديدة الندرة في السينما المصرية.. فيلم البيضة والحجر يعتبر مدرسة.. أي والله مدرسة.. لأي بني آدم يحب يشغل عقله لمدة ثواني.

في الفيلم الرائع الوزير القوى جاسر صهوان حاول الاستعانة بالدكتور الطعظي عالم الفلك والنجوم علشان يقراله الطالع بخصوص عملية جراحية شديدة الخطورة لبنته الشابة.. دكتور طعظي خاف ينجم.. مش علشان دي حياة إنسان وهو في حكم المبتدأ مجرد دجال رغم حصوله على درجة الدكتوراه في الفلسفة.. إنما خاف علشان أبوها يبقى جاسر صهوان.. والنتيجة إن جاسر صهوان رماه في الحبس.. مش علشان هو دجال ونصاب زي ما اعترف من كتر رعبه.. إنما علشان ظن إن الدكتور طعظي مش عاوز يتعاون معاه نتيجة ولاءه لرجل النظام السابق.. صالح فياض.

في مديرية الأمن اعترف دكتور طعظي انه دجال ونصاب.. الظابط المحقق كان لواء.. رفض تماما أي اتهام للدكتور طعظي بالنصب.. الراجل بيعترف وبيحلف على أيمانات المسلمين انه نصاب ودجال.. واللواء مصمم إن يومه مش بيبدأ إلا لما ياخد البركة من توقعات دكتور طعظي في الجرائد..

الوزير رفض يصدق اعتراف الدجال لأنه يخالف يقينه بقوى الدجال الخارقة..

اللواء رفض يصدق اعتراف الدجال ليقينه التام بملكية الدجال للقوى الخارقة..

السؤال هو..

الناس دي جابت اليقين ده كله منين إذا كان صاحب القوى الخارقة نفسه معترف انه نصاب و أونطجي!!!

وكالعادة.. لا جديد تحت شمس المحروسة المحرقة.

دلوقتي إحنا في سنة ٧٨١ هـ في زمن السلطان علاء الدين علي..

مين ده؟؟ الواحد مسمعش عنه حتى في مجلة ميكي..

اه.. ما هي دي كانت فترة أفول دولة المماليك البحرية بتاعة الحروب والفرسان وبداية ظهور دولة مماليك الأبراج اللي كان أهم علاماتها الرشوة وفكر السبوبة والدجل.

المنصور علاء الدين علي يبقى ابن الأشرف زين الدين شعبان ابن المظفر زين الدين حاجي ابن الناصر محمد بن قلاوون.. يعني يبقى ابن حفيد الرجل القوى الناصر محمد صاحب المسجد أبو قبة خضراء الموجود في قلعة الجبل في القاهرة.. ركبوه على العرش وهو عنده ٧ سنين "ويقال ٨". عيل صغير مش فاهم إيه اللي بيحصل ولا مين تبع إيه.. اقعد يا لولو على النوتي تشير.. حاضر يا عمو المملوك.

طبعا كل ده شغل الأمراء..

الفترة دي مصر كانت تحت سيطرة الاتابك القوي سيف الدين برقوق.. الوضع بيقول إن في سلطان جديد في الطريق.. لكنه لسه مش مالي إيده من موقف أمراء السبوبة.. علشان كده وافق برقوق على علاء الدين علي وحلف ليه يمين الولاء وباس الأرض بين رجليه كما هي العادة.. سنتين كده ونخلعه من على الكرسي بأي حجة.. كمان سنة لطفل آخر هو أخوه صلاح الدين حاجي.. ونقفل صفحة المماليك البحرية للأبد.

حصل إيه بقى في السنة اللطيفة دي؟

حصلت حادثة غريبة جدا في منطقة اسمها رحبة باب العيد..

وتبقى فين يا معلم رحبة باب العيد دي؟

في درب قرمز في الجمالية هتلاقي قيسارية "سوق" ومسجد الأمير جمال الدين يوسف الاستادار أو ما تبقى منهم.. هنا بالظبط كان باب العيد بتاع قصر الحكم الفاطمي.. قصاد باب العيد كانت في فسحاية واسعة بتتجمع فيها العساكر علشان تحيي الخليفة وقت خروجه في الأعياد من الباب ده.. مع

الوقت وتهدم القصور الناس عاشت هناك وبقى المكان ده اسمه "رحبة باب العيد".

نروح هناك بقى.. عند بيت واحد اسمه أحمد بن الفيشي.

ده كان راجل طيب وعلى أد حاله شغلته يشهد على أي حاجة.. اتفاق.. عقد.. خناقة.. طلاق.. وساعة الخلاف القاضي يقول للمختصمين "في شاهد على الكلام ده؟" فيجيبوا واحد من الشهود دول.. اللي هما زي احمد بن الفيشي كده.

أحمد بن الفيشي كان قاعد في بيته فيوم بليل وفجأة سمع صوت خشن مرعب بيكلمه من جوا الحيطة وبيقوله "يا رجل.. اتق الله وعاشر زوجتك بالمعروف".

الراجل اتخض واتسرع.. صوت إيه ده اللي طالع من جوه الحيطة فنص الليل ده..

ده أكيد عفريت لا محالة..

قام يلف حوالين الجدار ويخبط عليه.. لعل وعسى في الأمر خدعة بشكل ما أو صحابه بيشكوه مقلب أو ما شابه..

ولا الهوا..

الجدار ما هو إلا حجر أصم مبني فوق إسطبل خيل العسكري اللي ساكن تحته.

لما الموضوع اتكرر.. الراجل حكى لأصحابه.. جم بأعداد كبيرة يتفرجوا على الجدار اللي بيقول نصائح وأوامر ده.. كل واحد ييجي يعمل ناصح.. يسمع صوت الجدار.. يطلع يجري وهو بيقول يا فكيك.

بس هو معقول يعني إن الحجر منطقش إلا علشان يقوله خد بالك من المدام؟؟ إيه الفيلم الهندي ده.. إلا مثلا ما قاله تحتي كنز وللا عمك اللي في سلطنة البرازيل مات وسابلك جرة مليانة دنانير دهب.. كله على مراته كده؟؟

جاب أحمد الفيشي مراته ورقعها علقة محترمة "حل جميل وفعال".. الست قرت واعترفت إن هي اللي كانت بتستخبى جوا الجدار بناء على نصيحة واحدة من جاراتها.. لأنه أساء معاملتها فلجأت للطريقة دي علشان ترده.

هي صحيح ولية تستاهل قطع رقبتها.. قطعت خلف الراجل علشان تقوله عاملني كويس.. مش عارف هيعاملها كويس إزاي وهو غالبا من الخضة بقى هو وهي واحد.. بس للأمانة.. الست صعبت عليا.. في حكم المبتدأ هي مش شريرة.. هي بس عاوزه شوية لطافة.. ما علينا من الطريقة الزبالة.. دماغ نسوان بقى..

اللي شرير بجد هو جوزها..

ليه بقى؟

الراجل عجبته الفكرة وقال نطلع منها قرشين.. نشر في البلد خبر الحيطة اللي بتتكلم.. وعلشان المصريين شعب يعشق العلم والعلماء ولا يؤمن بالخرافة إطلاقا.. في خلال اقل من شهر أصبح حائط رحبة باب العيد المسكون بالجان أشهر من سيدنا الحسين.. بيتجمع عنده الناس بالنذور والهدايا علشان يسمعوا الحيطة وهى بتقول "يا فلان.. اتق الله" أو "يا علان.. طلق مراتك".. تقف الناس تسمع وتمشى وهى بتضرب كف على كف وبتقول "يا سلام سلم.. الحيطة بتتكلم".. الناس كانت على وشك عبادة الحائط حرفيا زي ما قال المقريزي في أحداث السنة دي.

وصل الموضوع لمين بقى؟

محتسب القاهرة.. القاضي جمال الدين بن محمود العجمي.. ده كان راجل صالح وبتاع ربنا وشديد في الحق.. مدخلش عليه فيلم الحيطة المعفرتة دي.. خد بعضه وطلع على هناك مع فرقة عسكر.. قعدوا جمب الحيط يقروا قرآن ويقولوا أذكار.. وكلم القاضي العجمي أحمد بن الفيشي وقاله قول للجدار كفاية فتنة لحد كده.. عيب اللي بيحصل ده.. وهنا نطق الجدار وقال "ما بقى بعد هذا كلام يا سيدي القاضي".

بس الفيشي مبطلش.. وفضل الحائط مزار وسبوبة فلوس عنب وزباينه بقوا من علية القوم.. أمير واتابك ومقدم درك.. حاجة رعب يعني.

القاضي قالك مبدهاش بقى.. بعت جاب احمد بن الفيشي ومراته وراجل فقير لقاه عندهم في البيت بالصدفة اسمه عمر الركن.. سلمهم للمملوك فاااارااااج البندقدارى الصالحي المفتري اللي نزل فيهم عجن لحد ما الولية قالت يا باشا.. أنا هعترف يا باشا.

وقرت الولية بكل حاجة..

وخدهم القاضي وطلع على بيت الأمير "وقتها" سيف الدين برقوق علشان يفصل في أمرهم.. برقوق حكم على الرجالة بالضرب بالمقرعة وحكم على الحرمة ب ٦٠٠ خرزانة تاخدهم على جتتها.. وأمر كمان إن الثلاثة يتمسمروا على عمدان خشب ويتحطوا على جمال تلف بيهم القاهرة كلها على سبيل الفضيحة والتجريس.

الولية دي منحوسة أوى.. كل ما يحصل حاجة.. يضربوها.

بس سؤال..

هو برقوق كان عنيف معاهم كده ليه.. دول حيالله نصابين.!!

اتاري احمد بن الفيشي كان ملبس برقوق العمة..

يا سلاااام!!

برقوق.. كان مصدق الهري ده!!

اه وربنا.. المقريزي بيقول إن احمد بن الفيشي طلع مرة على قصر برقوق قبل كده ومعاه شوية هدايا وطبق كحك.. قدم منه للأمير وقاله الشيخ محمد شيخ الحائط بيسلم عليك وبيقولك اتق الله واعدل في الرعية.. وبرقوق اتهز وصدق وبدأ فعلا يعدل في حكمه مع الناس رغم سلوكه الشخصي الحاتم رشيد.

مش كده وبس..

ده الفقير اللي كان معاهم ده.. عمر الركن.. طلع كان درويش مشهور عايش معتكف لوحده على سطح مسجد عمرو بن العاص لمدة ٣٠ سنة.. الناس كانت بتروح تتبرك بيه وتاخد من طيب دعائه بدون مقابل.. راجل بركة يعني.. ولما طلعت حكاية الحيطة بتاعة الفيشي دي.. ساب سطح المسجد ونزل قعد عنده في البيت.. فلما الناس لقت الشيخ عمر الركن جمب الحيطة المسكونة بالجان.. صدقت زيادة واتجننت زيادة.

قبل القبض عليهم بكام يوم حلمت مرات الفيشي إنها واقفة على منبر بتخطب في الناس.. فسرولها الحلم بأنها داخلة على فضيحة لأن النساء ملهاش في المنابر.. الولية عينها الشمال رفت.. بس ملحقتش تلم نفسها.. القاضي العجمي عمل معاهم السليمة.

شوف بقى رد فعل المصريين.. شعب جميل والله.

المتهمين اعترفوا.. بيلفوا على الجمل متجرسين بعد ما اعترفوا.. اعترفوا اهو.. قروا بالجريمة أهو.. ومع ذلك الناس وقفت في الشارع تتفرج ويتصعبوا – أي والله يتصعبوا – على حالهم.. ولما نزل القاضي العجمي في الشارع.. الناس حدفته بالطماطم ودعت عليه لأنه ظلم مشايخ الحائط.

يا مثبت العقل.. هو البيضة والحجر ده كان قصة حقيقية ولا إيه!!!

القاضي العجمي اللي كان مشهور بالعدل.. ولما ساب الحسبة قبل كده.. نفس الناس دي تجمهرت علشان يرجعوه بالعافية وعلى غير رغبته.. قوم لما يكشف النصابين ويعاقبهم.. تدعوا عليه!!!

نسيب بقى زمن المماليك ده ونرجع على سنة ٩٠.. على فيلم البيضة والحجر.. هشغله دلوقتي على يوتيوب اهو..

سبحان الله.. عارفين الفيلم لما اشتغل فتح على أنهى لقطة؟؟

أحمد زكى "دكتور طعظي" وهو بيقول..

"ويل للعالم إذا انحرف المتعلمون وتبهيظ المثقفون."

أفرجها علينا بالنيزك يا كريم.

مصادر ومراجع

- السلوك لمعرفة دول الملوك – تقي الدين المقريزي
- الكامل في التاريخ - ابن الأثير
- الروضة المأنوسة في أخبار مصر المحروسة - - ابن السرور البكري
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - ابن تغري بردي
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة - ابن حجر العسقلاني
- النزهة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية - ابن السرور البكري
- البداية والنهاية - ابن كثير
- بدائع الزهور في وقائع الدهور - ابن إياس
- تحفة الأحباب وبغية الطلاب - السخاوي
- مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس – عبد الرحمن الجبرتي
- كشف الكربة في رفع الطلبة – ابن السرور البكري
- مكان رأس الحسين - ابن تيميه
- ولاة مصر – أبو عمر الكندي
- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان – شمس الدين بن طولون الصالحي
- السيف المهند في سيرة الملك المؤيد - بدر الدين العيني
- التحفة البهية في تملك آل عثمان للديار المصرية – ابن السرور البكري
- أوضح الإشارات فيمن تولى مصر من الوزراء والباشات - احمد شلبي بن عبد الغنى الحنفي المصري
- تاريخ مصر من خلال تاريخ البطاركة – ساويرس بن المقفع
- سير أعلام النبلاء - الإمام شمس الدين الذهبي
- كتاب السنسكار "سير الآباء القديسين والشهداء"
- اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفاء – تقي الدين المقريزي
- عجائب الآثار في التراجم والأخبار – عبد الرحمن الجبرتي
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار – تقي الدين المقريزي

- الروضتين في أخبار الدولتين - الدمشقي
- الدولة الفاطمية في مصر - أيمن فؤاد سيد
- العصر المماليكي في مصر والشام - سعيد عبد الفتاح عاشور
- تاريخ طبرستان - بهاء الدين محمد بن اسفنديار
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب - عبد الحي ابن العماد الحنبلي
- الأشراف العباسيون في مصر "عباس حسين بصري العباسي
- الفاطميين في مصر - حسن إبراهيم حسن
- القاهرة تاريخها وآثارها من جوهر القائد إلى الجبرتي - عبد الرحمن زكى
- ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر.. التاريخ السياسي - عبد المنعم ماجد
- قرافة القاهرة - محمد حمزة الحداد
- كنوز الفاطميين - زكي محمد حسن
- الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام - الشيخ شمس الدين الذهبي
- عبد الله النديم خطيب الثورة العرابية - نجيب توفيق
- الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي - عبد الرحمن الرافعي
- نابليون في مصر – كريستوفر هيرولد
- عثمان محرم.. مهندس الحقبة الليبرالية المصرية - محمد الجوادي
- الحقيقة والمجاز - عبد الغنى النابلسي
- تاريخ المساجد الأثرية التي صلى فيها الجمعة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول - حسن عبد الوهاب
- أيام لها تاريخ – احمد بهاء الدين
- محمد فريد رمز الإخلاص والوطنية – عبد الرحمن الرافعي
- النظام القضائي المصري الحديث – لطيفة محمد سالم
- ودخلت الخيل الأزهر – محمد جلال كشك
- رجال عرفتهم – عباس محمود العقاد
- مذكرات محمد فريد

- الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد.. تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن - سليمان صالح
- مرآه العصر في تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر – الياس زاخورا
- التصوف وأيامه دور المتصوفة في تاريخ مصر الحديث - محمد صبري الدالي
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون – سعاد محمد ماهر
- المختار المصون من أعلام القرون - ابن عقيل موسى
- الطيران ورواده في التاريخ الإسلامي - قتيبة الشهابي
- حلب في مائة عام (١٨٥٠-١٩٥٠ م) - محمد فؤاد عنتابي
- مذكرات خالد العظم
- تقويم النيل- أمين باشا سامي
- تاريخ الكنيسة القبطية – ايزيس حبيب المصري
- القاهرة قصص وحكايات - عبد المنعم شميس
- عصر محمد علي – عبد الرحمن الرافعي
- عرابي الزعيم المفتري عليه – محمود الخفيف
- مذكرات الزعيم أحمد عرابي
- مقالات غير منشورة – دكتور حامد محمد حامد
- قصة حياتي – احمد لطفي السيد
- تاريخ الحركة القومية – عبد الرحمن الرافعي
- فصول من تاريخ المدينة المنورة – على حافظ
- بيت السادات الوفائية – محمد توفيق البكري
- مرشد الزوار إلى قبور الأبرار – موفق الدين بن عثمان
- مراقد أهل البيت في القاهرة – محمد زكي إبراهيم
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة – محمد أبو الفضل إبراهيم
- الأوبئة والكوارث الطبيعية وأثرها على مصر خلال العصر المملوكي - رسالة ماجستير من جامعة آل البيت ٢٠١٥م – على عبد الله صالح السبعاوي

- الصعيد في عهد شيخ العرب همام - ليلي عبد اللطيف أحمد
- التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر - عبد المنعم ماجد
- أسعار السلع الغذائية والجوامك في مصر عصر دولة المماليك الشراكسة – رأفت محمد النبراوي
- مصر في عصر دولة المماليك الشراكسة - إبراهيم على طرخان
- الصعاليك على عرش مصر نظرات في تاريخ المماليك - جمال بدوي
- سلاطين المماليك - قاسم عبده قاسم
- تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام د. محمد سهيل طقوش
- ثقافة الطبقة الوسطى في مصر العثمانية - نيللي حنا
- تاريخ الفاطميين في مصر والشام - محمد سهيل طقوش
- بناة القاهرة في ألف عام – عبد الرحمن زكي
- شوارع لها تاريخ – عباس الطرابيلى
- النقود والمكاييل والأوزان - محمد المناوي
- المكاييل والموازين الشرعية - على جمعه
- نابليون بونابرت في مصر - احمد حافظ عوض
- كيف سقطت الدولة العثمانية – سليمان بن صالح الخراشي
- قاهريات مملوكية - جمال الغيطاني
- العثمانيون في التاريخ والحضارة – محمد حرب
- السلطة والمجتمع في سلطنة المماليك - حياة حجي
- حركات التمرد في العصر العثماني – أسامة أبو نحل
- مذكرات ضابط عثماني في نجد – حسين حسني
- المسيحيين وثوراتهم ضد الحكم العربي – جمال محمد أبو زيد
- زعماء الإصلاح في العصر الحديث – احمد أمين
- التاريخ السري لاحتلال انجلترا مصر - الفريد بلنت
- الدولة العليا العثمانية – محمد فريد
- السلطان عبد الحميد والرقص مع الذئاب – مصطفى ارمغان
- جمال الدين الأفغاني – محمود أبو ريه

- المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى العصر الفاطمي - هويدا عبد العظيم رمضان
- سلسلة صفحات من تاريخ مصر – مكتبة مدبولي
- كتاب مصر والجغرافية – فريدريك بتولا - ترجمة أحمد زكى سني ١٨٩٢م.
- كنت قبورياً – عيد المنعم الجداوي
- جيش الشرق – تيري كرودي
- موقع الجمعية الجغرافية المصرية على شبكة الانترنت

تم بحمد الله وتوفيقه

خاتمة

الحمد لله السميع العليم حمدً كثيراً طيباً مباركاً على نعمته وتوفيقه في إكمال ما تقرؤه حضرتك من صفحات.. حاولت بكل الطرق انه يكون سهل وبسيط.. صممت انه يكون باللغة العامية المصرية البسيطة بكل عيوبها ومميزاتها والشاتها.. حاولت اني اسلك الطريق للعقول بالمنطق وليس عبر القلوب.. حاولت التمس أبواب التيسير بدل ما استعرض إمكانياتي في دهاليز اللغة العربية ومفرداتها الجزلة الثقيلة.. تمسكي بالعامية ليس عن جهل بالفصحى وقواعدها.. إنما الهدف كان جو قعدة القهوة.. نموذج الحكواتي أبو ربابة.. حبيت أوصل إحساس الصداقة والمودة وقعدة الدردشة.. بس المرة دي مش بنرغي في أي كلام نشيل بيه طن سيئات ونقوم علينا كفارة المجلس.

الهدف الأكبر هو دفع حضرتك دفعا إلى فتح الكتب ومراجعة ما ذكر من معلومات أو البحث عن معلومات أخري لو عجبك الموضوع.. الكتب فيها أضعاف أكبر في الكم وأجمل وأمتع في الكيف من الموجود بين ايديك دلوقتي.. دي نصيحتي لأي سائل دائما.. العلم في الكتب.. افتح الكتاب واقرأ مباشرة.. وما كان كاتب هذه السطور ومن هم اعلي قدراً منه أحسن منك في أي شيء اللهم إلا الصبر على البحث والقراءة.

استعير أو اشتري كتب إذا كانت أمورك ميسرة.. اقرأ في الصباح وفي الظهيرة وقبل النوم.. اقرأ الكتروني وورقي.. اقرأ لزوجتك أو خطيبتك أو لأولادك.. اقرأ لأمك أو إخوتك أو أصدقائك.. نقرأ كلنا أفضل ما نردد زي الببغاوات كلمات سطحية عديمة المعني.

لو حد قالك انسى التاريخ.. أصله مزور.. متسمعش كلامه.. هو كسول بيريح دماغه.. قد يكون حاول وفشل وحابب إن الناس كلها تكون زيه.. إن كان التاريخ مزور بالفعل.. يبقى إزاي عرفنا اللي كان بيحصل في المعتقلات كمثال؟

التاريخ مش مزور ولا حاجة.. انما تعددت روايات التاريخ من المؤرخين كل حسب رؤيته ووجهة نظره.. كتب الدولة الرسمية اكيد هتنقل وجهة نظر الدولة الرسمية.. عمري ما سمعت عن تيار معارض بيحكي عن الحكومة انها

مش بتقوم من على السجادة.. طبيعي جدا ان كل مؤرخ او كتاب معين يحمل وجهة نظر صاحبه.. دورك هنا هو البحث في عدة مصادر مختلفة للوصول الى أقرب تصور عن الحدث او الشخصية محل البحث.. المهم إنك تقرأ..

ما تم نشره في هذا الكتاب هو حصيلة سنوات من المطالعة والقراءة والزيارات الميدانية.. ان أعجبتك موضوعات الكتاب فلا أطلب منك الا طيب الدعاء لأولادي بصلاح الحال ودوام النعمة والمستقبل الزاهر.. وان لم يعجبك.. فلا تحملني من الأمر مالا أطيق.. انا حاولت قدر استطاعتي.. وفوق كل ذي علم عليم.

دمتم بكل خير.

أحمد حسني

الرياض ٢٠١٨

التعريف بالكاتب

أحمد حسني.. مهندس نظم معلومات ورحالة وباحث تاريخي حر.. مواليد ١٩٧٧.. حاصل على بكالوريوس نظم المعلومات سنة ٢٠٠٠ وماجستير إدارة الأعمال سنة ٢٠٠٩.

زار اكثر من ٧٠ دولة في افريقيا واسيا وأوروبا وأمريكا.. تخصص في الكتابة عن السفر وأدب الرحلات بنكهة تاريخية.. قام بالعديد من الزيارات الميدانية للمواقع الأثرية والتاريخية في مصر والخارج.

صدر للكاتب

يوميات رحالة ١ – دار الصقر

يوميات رحالة ٢ – دار الفؤاد

تاريخ حي ١ – دار الفؤاد

صفحات الكاتب على موقع فيس بوك

https://www.facebook.com/ahosni77

/https://www.facebook.com/AhmedHosniHamed